

نظرة حول اضطرابات

النفس وعلاجها

من منظور شرعي



تأليف:

محمد بن زيد الكثيري

المُرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

الطبعة الخامسة

عام ١٤٤٦هـ

نظرت حول اضطرارنا
النفس والعلاجها
من منظور شرعي

تأليف :

محمد بن زيد الكثيري

المُرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

الطبعة الخامسة

عام ١٤٤٦هـ

ح) دار طبية الخضراء، ١٤٤٦ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

الكثيري، محمد بن زيد

نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من المنظور الشرعي .

محمد بن زيد بن علي الكثيري ط ٥ - مكة المكرمة، ١٤٤٦ هـ

٣٧٠ ص، ١٧ × ٢٤ سم

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٣٩٧٣-١-٧

رقم الإيداع: ديوي ١٤٤٦/١٦٢٩٢

رقم الإيداع : ١٤٤٦/١٦٢٩٢

ردمك: ٩٧٨-٦٠٣-٩٣٩٧٣- ١-٧

الفهرس

الصفحة	الموضوع
٨	برقية شكر صاحب السمو الملكي الأمير / فيصل بن بندر بن عبد العزيز آل سعود أمير منطقة الرياض على إهداء نسخة من هذا الكتاب.
٩	خطاب شكر صاحب السمو الملكي الأمير / تركي الفيصل بن عبدالعزيز آل سعود، رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية على إهداء نسخة من مختصر هذا الكتاب.
١٠	المقدمة
١٧	١ - نظرة حول أصول الطب في الشريعة
٢٨	٢ - نظرة حول الطبيب الحاذق
٣٤	٣ - نظرة حول الثقة بالمعالج
٣٨	٤ - نظرة حول التشخيص
٤٠	* تصنيفات الاضطرابات العقلية.
٤١	* العلاج النفسي.
٤٧	٥ - نظرة حول أمراض القلوب
٥٦	٦ - نظرة حول عظمة النفس.
٦٣	* وقفات.
٧١	٧ - نظرة حول الاضطرابات النفسية
٨٦	القلق
٩٠	الرهاب
٩٤	الاكتئاب
٩٧	الهوس
١٠٠	ثنائي القطب

الصفحة	الموضوع
١٠٣	الوسواس القهري
١٠٦	الفصام
١١٠	الاضطرابات النفسجسدية
١١٧	٨ - نظرة حول أعراض الاضطرابات النفسية وأعراض العين والسحر وتلبس الجن بالإنس
١٢١	٩ - نظرة حول أثر الوهم
١٢٩	١٠ - نظرة حول العلاج بالتخييل
١٣٤	١١ - نظرة حول رؤية الجن
١٣٩	* عداوة الجن للراقي
١٤٣	١٢ - نظرة حول حقيقة تلبس الجن بالإنس
١٤٤	* صرع الجن
١٥٠	* صرع الأخطا.
١٥٢	* الرد على إنكار تلبس الجن بالإنس من قبل بعض المختصين النفسيين:
١٥٩	* حكم تلبس الجن بالإنس.
١٦٣	١٣ - نظرة حول إجماع تلبس الجن
١٧٠	١٤ - نظرة حول الرقية الشرعية
١٨٤	١٥ - نظرة حول أثر الرقية الشرعية
١٩١	١٦ - نظرة حول المقارنة بين تأثير الرقية وتأثير الأدوية النفسية على المريض
١٩٣	* أولاً: قوة تأثير الرقية بالمقارنة مع ضعف تأثير الأدوية النفسية الحسية المباشرة على المريض

الصفحة	الموضوع
١٩٥	* ثانياً: ضعف تأثير الرقية أحياناً بالمقارنة مع قوة تأثير بعض الأدوية النفسية على بعض المرضى، والكل من عند الله، وبأمره سبحانه وتعالى
٢٠٢	* الحكم الشرعي للجلوس في المقرأة
٢٠٣	١٧ - نظرة حول العين والحسد
٢٢٢	١٨ - نظرة حول أثر إصابة العين
٢٣٤	١٩ - نظرة حول أثر السحر
٢٤٩	٢٠ - نظرة حول الخيالات البصرية والأصوات الوهمية
٢٦٢	*الخيالات البصرية والأصوات الوهمية من أثر تعاطي المخدرات العقلية.
٢٦٥	٢١ - نظرة حول المقارنة بين المصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين والمريض النفسي في أثناء الرقية
٢٦٧	٢٢ - نظرة حول أنواع الخوف
٢٧٧	٢٣ - نظرة حول التأثير النفسي السلبي
٢٧٩	٢٤ - نظرة حول أثر الألعاب الإلكترونية
٢٨٢	٢٥ - نظرة حول أثر استماع القرآن.
٢٩٣	٢٦ - نظرة حول أثر الدعاء والأذكار.
٣٠١	٢٧ - نظرة حول أثر الصدقة.
٣٠٥	٢٨ - نظرة حول أثر عبادة المريض.
٣٠٨	٢٩ - نظرة حول أثر مجالس الذكر.
٣١٣	٣٠ - نظرة حول أثر الفراغ.
٣١٧	٣١ - نظرة حول أثر ممارسة الرياضة.
٣٢١	٣٢ - نظرة حول أثر المعصية.
٣٣٢	٣٣ - نظرة حول أثر جليس سوء.
٣٣٦	٣٤ - نظرة حول أثر الأسرة.

الصفحة	الموضوع
٣٣٨	كيف تتخلص من القلق؟
٣٤١	رسالة من مريض
٣٤٨	تزيكات وشهادات وخطابات شكر.
٣٥٩	تزكية بقلم فضيلة الشيخ عبدالرحمن بن عبد الله آل فريان رحمه الله رئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن.. تزكية بقلم فضيلة الشيخ عبدالله بن عبدالرحمن آل فريان وفقه الله عضو الدعوة والإرشاد بالرياض سابقاً. تزكية بقلم فضيلة الشيخ أ.د. سعد بن تركي الخثلان، عضو هيئة كبار العلماء سابقاً، وفقه الله، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
٣٦٠	خطاب شكر من رئيس قسم الإرشاد والتوعية الدينية معتمد من مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض على القيام بالرقية الشرعية وأثرها الإيجابي في العملية العلاجية.
٣٦١	خطاب شكر من معالي وزير الصحة سابقاً، د. توفيق بن فوزان الربيعه على إهداء نسخة من هذا الكتاب
٣٦٢	خطاب شكر من معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، د. عبداللطيف بن عبدالعزيز آل الشيخ على إهداء نسخة من هذا الكتاب.
٣٦٣	خطاب شكر من معالي الدكتور/ عبدالسلام بن عبدالله السليمان عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى على إهداء نسخة من مختصر هذا الكتاب.
٣٦٤	خطاب شكر من معالي الدكتور/ عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ رئيس مجلس الشورى على إهداء نسخة من مختصر هذا الكتاب.
٣٦٥	خطاب شكر من معالي محمد بن حسن بن عبدالرحمن آل الشيخ، عضو

الصفحة	الموضوع
	هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى على إهداء نسخة من مختصر هذا الكتاب.
٣٦٦	خطاب شكر من فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الله الناييل رئيس قسم الإرشاد الديني معتمد من مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض على قناة نظرات (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي).
٣٦٧	خطاب شكر معتمد من د/ محمد بن مشعوف القحطاني، المدير التنفيذي لمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض على الإشادة بتميز هذا الكتاب.
٣٦٨	درع تكريمي من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية على إلقاء المحاور الخاص بعنوان: (الخلط في التشخيص بين الأمراض الروحية والنفسية والرقية الشرعية في مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض).
٣٦٩	خاتمة الكتاب

إسلامة الوثيقة الأصلية

إدارة العلاقات العامة والإعلام

مكتب الأمير

إمارة منطقة الرياض (٢٧٢)

١٤٤١/١١/٢٤

١٠٩٤٢٠ صادر برقي خاص

٧٠٠٠١٥١٩٣١٢

سجل ميوان الإمارة (٧٠٠٠١٥١٩٣١٢)

(برقية)

الأستاذ / محمد بن زيد الكثيري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

تلقينا خطابكم المؤرخ في ١٤٤١/١١/١٦ هـ المرفق به نسخة من كتاب

(نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) .

نشكركم على هذا الإهداء ، متمنياً لكم التوفيق ، ولكم تحياتنا .

١٤٤١

فيصل بن بندر بن عبدالعزيز

أمير منطقة الرياض



تركى الفيصل بن عبد العزيز

التاريخ: ١٤٤٦/٠٩/٠٤ هـ

الموافق: ٢٠٢٥/٠٣/٠٤ م

سعادة الأستاذ محمد بن زيد الكثيري حفظه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، وبعد:

تلقيت بوافر الشكر إهداءكم لي نسخة من كتاب (مختصر نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي)، متمنياً لكم دوام التوفيق.

وتقبلوا أطيب تحياتي،،،

تركى الفيصل

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

وبه نستعين

مقدمة

إن الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، صلوات الله وسلامه عليه وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

وبعد:

فإن نور الشريعة وهدايات الوحي الإلهي لم تترك شيئاً من شأنه صلاح أحوال البشر إلا بيته ودلت عليه وأمرت به كما قال تعالى: ﴿مَا فَرَّطْنَا فِي الْكِتَابِ مِنْ شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨] وقوله تعالى: ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّذِي هُمْ أَقْنَمٌ﴾ [الإسراء: ٩]، وقال تعالى: ﴿وَكُلُّ شَيْءٍ وَفَضَّلْنَاهُ تَفْصِيلاً﴾ [الإسراء: ١٢]، وقال تعالى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتِمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣]، وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾ [النحل: ٨٩] وفي الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: مَا أَنْزَلَ اللَّهُ دَاءً إِلَّا أَنْزَلَ لَهُ شِفَاءً^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب: ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء، رقم ٥٦٧٨، ٧/ ١٢٢.

فهذا مما عنت به الشريعة الإسلامية في مجال الطب وما يتعلق به، وموضوعه هو الإنسان، حياته، وموته، وصحته، ومرضه، سواء أكان ذلك عضوياً أو نفسياً، فله الحمد والمنة على كمال الشريعة.

ولا شك أن الله عز وجل هو خالقنا وهو أعلم بما يصلح أحوالنا،

قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ (١١) [الملك: ١٤].

والله سبحانه وتعالى شرع لنا منهجاً من سار عليه أفلح، ومن حاد عنه

ضل، كما قال تعالى: ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ

فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّيْنُكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٣]

وقال سبحانه ﴿فَمَنْ أَتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَى﴾ (١٣٣) ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ

ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ [طه: ١٢٣-١٢٤].

ويسرني أن أضع بين يدي القارئ الكريم بعضاً من النظرات والوقفات

حول العين والسحر والمس من الجن والاضطرابات النفسية، وما يلحق

بها من أعراض وأمراض وعلاجها من منظور شرعي، وذلك من خلال

تجربة ومشاهدة وتطبيق على أرض الواقع في أثناء عملي بمجمع إرادة

والصحة النفسية بالرياض، وكذلك خارج المستشفى.

وفي الحديث عنه ﷺ: ((ليس الخبر كالمعاينة))^(١).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده ٣/ ٣٤١، ورجاله ثقات، رجال الشيخين، رقم ١٨٤٢، وصححه

الألباني في صحيح الجامع رقم ٥٣٧٤.

وكم كنت متردداً في تأليف هذا الكتاب على أثر خواطر كانت تعتريني ما بين فينة وأخرى، خاطرة إحباط، لسان حالها يقول: (التزم الصمت) الفاصل ما بين الاضطرابات النفسية وإصابة المرضى بالمس من الجن أو السحر أو العين من الصعوبة بمكان.

وأخرى طموحة، لسان حالها يقول: (إلى متى الصمت؟) ولم يدل أحد بدلوه على حد علمي حول هذا العنوان.

وأخرى تواقّة، لسان حالها يقول: (اكتب ما استطعت) مهما كثر النقد؛ لاسيما من بعض الأطباء النفسيين أو من بعض الرقاة مادام أن الفائدة تصب في مصلحة المريض، فلو أن كل شخص خشي من النقد ما كتب كاتب.

وللنقد أهداف ودوافع كل بحسب نيته ومآربه، وكل يعمل على شاكلته، وعند الله تجتمع الخصوم، قال تعالى: ﴿وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ﴾^(١).

فالنقد المنصف منهج شرعي لما فيه من التعاون على البر والتقوى، وهو مبني على العدل والإنصاف وحب الخير، والبعد عن الهوى، ولا يؤتي ثمرته إلا بالآداب الشرعية.

ويقول الشيخ زيد بن عبدالعزيز الفياض - رحمه الله - : «إذا كان

(١) سورة محمد: ٣٠.

المديح المجازف بلاء على الأمة فإن النقد الهادم مصيبة عليها، فبعض الناس لا يعجبهم العجب فهم ينظرون للأشياء بمنظار أسود، وكل شيء جميل فهو في رأيهم قبيح، فهم يتخيلون النور ظلمة، والبياض سواداً، والجميل دميماً، فلا يهنأ لهم بال حتى يقدحوا ويشتموا ويعيبوا، فتراهم ساخطين على كل شيء ناقلين على الدنيا وما فيها.

وإذا كانت الأمة لا تستغني عن النقد فهي تحتاج إلى النقد الهادف الذي ينشد الحقيقة ويتعد عن البذاءة والمهازل»^(١).

قال تعالى: ﴿وَلِكُلِّ دَرَجَةٍ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوقِفَهُمْ أَعْمَالُهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾^(٢).

[منهجية الموضوع]

حينما أتطرق في كتابتي حول عنوان هذا الكتاب لا يعني أنني أتجاهل ما كتبه الفضلاء من أهل العلم في مجال الرقية الشرعية، ولا أتجاهل ما كتبه المختصون في مجال علم النفس، أثاب الله الجميع.

لكنني أسعى جاهداً في نظرات تبدأ من حيث ما انتهوا إليه حول هذا الموضوع، وانتقاء المختصر المفيد في ضوء الكتاب والسنة وشيء من التفسير وما جاء عن السلف رحمهم الله وربطها بالطب النفسي المعاصر.

هي نظرات تهدف إلى الحد من ازدواجية المريض ما بين الراقي

(١) في سبيل الإسلام، زيد بن عبدالعزيز بن فياض، ص ١٧٠.

(٢) سورة الأحقاف: ١٩.

والطبيب النفسي، فطالما أرقّ المعالجين إصرار بعض أهالي المرضى على أن سبب إصابة مرضاهم ناجم عن تلبس الجن أو السحر أو العين.

فربما دفع هذا الإصرار بعض المرضى إلى ترك العلاج نتيجة كثرة الجدل ما بين بعض الرقاة وبعض الأطباء النفسيين حول علاقة العين والمس من الجن والسحر بالاضطرابات النفسية، الذي أسهم في زعزعة الثقة بين الطرفين وأوقع بعض المرضى في حيرة، وحمل آخرين مع الأسف إلى اللجوء للسحرة والمشعوذين، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

ومن جهة أخرى، المبادرة إلى خطوة علاجية تقتصر على بعض القصص والتجارب حول كل موضوع تحكي واقعنا المعاصر من خلال عملي في هذا المجال، وتتراوح فترتها الزمنية ما بين عام ١٤١٩هـ تقريباً إلى عام ١٤٤٦هـ.

وكذلك من أجل إدخال السرور وبثّ الطمأنينة على نفوس المرضى وأسرههم وإشراقة أمل، بعيداً عن الإرجاف والوهن الذي أصاب الكثير من الناس فضلاً عن المرضى من جراء التوسّع في أنواع السحر والمبالغة في قصص الجن المخيفة وكذا المبالغة في الإصابة بالعين، سواء أكانت في بعض القنوات الفضائية أو مواقع التواصل الاجتماعي.

وقد سلكت في إعداد هذا الكتاب أسلوباً سهلاً يستهدف العامة، ويتناول طابعاً خاصاً في مفهوم علم النفس لأهل الاختصاص من منظور شرعي، ونظرة ميدانية نقدية في جزء من واقع الرقاة، وليست دراسة أكاديمية تستدعي

تخصص الطب النفسي خصوصاً في استحداث بعض العناوين الجديدة.

ولا شك أن للعلاج السلوكي المعرفي دوراً فاعلاً في حياة المريض.

وسيالاحظ القارئ الكريم إيراد النصوص الشرعية في سياق مضامين هذا الكتاب، متى ما تدبرها المريض معتقداً تأثيرها - بإذن الله - فتح له ذلك بارقة أمل بالشفاء والخروج من الأزمات النفسية؛ لأن حياة المؤمن وتصرفاته منوطة بأحكام الشرع، قال تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١). وقال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِي﴾^(٢).

هذا، ولا يفوتني في مطلع هذا الكتاب أن أرفع أسمى كلمات الشكر والتقدير والامتنان إلى ولاة أمرنا أثابهم الله حيال الجهود المباركة التي يبذلونها للمرضى. والشكر موصول لصاحب السمو الملكي / الأمير فيصل بن بندر بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، أمير منطقة الرياض، ولصاحب السمو الملكي الأمير / تركي الفيصل بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله، رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، اللذان توجعا كتابي بخطابيّ الشكر فجزاهم الله عني خير الجزاء.

كما أنني أكرر شكري ودعائي لكل من ساندني تحريراً (بتزكية وغيرها من خطابات الشكر والتقديم من أصحاب السمو وأصحاب الفضيلة وأصحاب المعالي، وأصحاب السعادة)^(٣) أو شفهاً برأي أو مشورة أو طباعة أو ترجمة أو

(١) سورة الأنعام، الآية: ١٦٢.

(٢) سورة الذاريات، الآية: ٥٦.

(٣) انظر: (ص ٣٤٨).

نشر، أو بنقد هادف وبناء.

هذا مع إيماني الجازم أن كل كلام ليس بكلام الله - عز وجل - ولا كلام رسوله ﷺ، فإنه لا يخلو من النقص والتقصير، والكمال عزيز.

ويأبى الله سبحانه وتعالى العصمة إلا لكتابه العزيز الذي قال عنه: ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(١).

وقال تعالى في حق الرسول ﷺ: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾^(٢).

هذا ومن كان عنده زيادة علم فليجد به علينا مشكوراً، ومن الله وحده أستمد العون والسداد والتوفيق.

والحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.



محمد بن زيد الكثيري
المرشد الديني بمجمع إرادة
والصحة النفسية بالرياض
١٤٤٦/٩/١٨ هـ

<https://www.tiktok.com/@user1011397298172?-t=8s1UNij2CK08&-r=1>

تويتر: @alkathirimoh

واتس: ٠٠٩٦٦٥٣٤٠٢٠٠٣٠

<https://youtube.com/chennel/UC3wx48ZIFTyk6AmjwtfNhA>

(١) سورة النساء: ٨٢.

(٢) سورة النجم: ٣، ٤.

١ - نظرة حول أصول الطب في الشريعة الإسلامية

قال الإمام العزّ بن عبد السلام رحمه الله : الذي وضع الشرع هو الذي وضع الطب، فإن كل واحد منهما موضوع لجلب مصالح العباد ودرء مفاسدهم^(١).

والطب من ميراث النبوه، كما ذكر شيخ الإسلام بن تيميه رحمه الله : «يقول ناس : إن أصل الطب مأخوذ عن بعض الأنبياء عليهم الصلاة والسلام»^(٢)

وقد وصف ابن أبي أصيبعة صناعة الطب بأنها من أشرف الصنائع وأربح البضائع، وقد ورد تفضيلها في الكتب الإلهية والأوامر الشرعية حتى جعل علم الأبدان قريناً لعلم الأديان^(٣).

وقال الشيخ عبدالرحمن السعدي (رحمه الله)^(٤): «أصول الطب ثلاثة:

١. حفظ الصحة باستعمال الأمور النافعة.

٢. الحمية من الأمور الضارة.

٣. دفع ما يعرض للبدن من المؤذيات.

ووسائل الطب كلها تدور حول هذه القواعد، وقد أشار القرآن

(١) قواعد الأحكام في مصالح الأنام (٦/١).

(٢) مجموع الفتاوى، لشيخ الإسلام بن تيميه (١٨١/٣٥).

(٣) عيون الأنباء في طبقات الأطباء (ص ٧).

(٤) القواعد الحسان لتفسير القرآن (ص: ١٠٩).

الكريم على حفظ الصحة ودفع المؤذي في قوله تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُسْرِفِينَ﴾^(١).

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - : والله قد أباح للمؤمنين الطيبات فالذين يقتصدون في المآكل نعيمهم بها أكثر من نعيم المسرفين فيها فإن أولئك إذا ادمنوها وألفوها لا يبقى لها عندهم كبير لذة مع أنهم قد لا يصبرون عنها وتكثر أمراضهم بسببها^(٢).

وأشار القرآن الكريم إلى التداوي والعلاج بالعسل، فقال سبحانه وتعالى في وصف النحل: ﴿يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَنُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِلنَّاسِ﴾^(٣).

وعن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: (الشفاء في ثلاث: شربة عسل، وشرطة محجم، وكيّة نار، وأنهى أمتي عن الكي)^(٤).

وروى أبي سعيد الخدري: أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: أخي يشتكي بطنه، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثانية، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه الثالثة، فقال: اسقه عسلاً، ثم أتاه فقال: قد فعلت؟ فقال: صدق الله، وكذب بطن

(١) سورة الأعراف: (٣١).

(٢) جامع الرسائل لابن تيمية الجزء الثاني (ص ٣٤٠).

(٣) سورة النحل: (٦٩).

(٤) أخرجه البخاري كتاب الطب، ، باب الشفاء في ثلاث برقم (٥٦٨٠) (٧/ ١٢٢).

أخيك، اسقه عسلاً، فسقاه فبراً^(١).

وروى أبي ذر الغفاري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (زمزم طعام طعم وشفاء سقم)^(٢).

ومن فوائد شرب ماء زمزم قصة والد ابن الجزري عالم القراءات وكان تاجراً فمكث أربعين سنة لا يولد له ثم حج فشرب ماء زمزم بنية ولد عالم فولد له هذا العالم^(٣).

وكان عبدالله بن مسعود رضي الله عنه يقول: (عليكم بالشفائين: القرآن، والعسل)، وكان يقول: (العسل شفاء من كل داء، والقرآن شفاء لما في الصدور)^(٤).

وقال الإمام القرطبي رحمه الله: «قال بعض الحكماء: أكبر الدواء تقدير الغذاء، وقد بين النبي ﷺ هذا المعنى بيانا شافيا يغني عن كلام الأطباء فقال: (مَا مَلَأَ آدَمِيٌّ وَعَاءَ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ لَقِيَّاتٍ يُقْمَنَ صَلْبُهُ فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ فَثُلُثُ لَطْعَامِهِ وَثُلُثُ لَشْرَابِهِ وَثُلُثُ لِنَفْسِهِ)^(٥)، خرجه الترمذي من حديث المقدام بن معدي كرب.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب الدواء بالعسل، رقم ٥٦٨٤، ١٢٣/٧.

(٢) المطالب العالية، رقم ١٣١٢، (١٣٧/٧)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٣٥٧٢، (٦٦٨/١).

(٣) الضوء اللامع لأهل القرآن (٩/٢٥٥).

(٤) مصنف ابن أبي شيبة (٣٠٦٤٢، ٣٠٦٤٣)، والطبراني في الكبير (٨٩١٠).

(٥) أخرجه الترمذي، باب ما جاء في كراهية كثرة الأكل، رقم ٢٣٨٠، ٥٩٠/٤، وصححه الألباني في صحيح الجامع، رقم: ٥٦٧٤، ٩٩٠/٢.

قال علماءنا: لو سمع أبقرط هذه القسمة لعجب من هذه الحكمة، ويذكر أن هارون الرشيد كان له طبيب نصراني حاذق فقال لعلي بن الحسين: ليس في كتابكم من علم الطب شيء، والعلم علمان: علم الأديان وعلم الأبدان. فقال له علي: قد جمع الله الطب كله في نصف آية من كتابنا، فقال له: ما هي؟ قال قوله عز وجل: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(١). فقال النصراني: ولا يؤثّر عن رسولكم شيء من الطب، فقال علي: جمع رسول الله ﷺ الطب في ألفاظ يسيرة، قال: ما هي؟ قال: (المعدة بيت الأدوية والحمية رأس كل دواء وأعط كل جسد ما عودته)، فقال النصراني: ما ترك كتابكم ولا نبيكم لجالينوس طباً^(٢).

قلت: أما قوله: المعدة بيت الأدوية....، فهي حكمة طبية سائرة ومشهورة، ومعناها صحيح، قال ابن القيم رحمه الله: وهي تنسب إلى «طبيب العرب بل أطبهم الحارث بن كلدة، وكان فيهم كأبقرط في قومه»^(٣)، وفي الأحاديث الصحيحة الثابتة ما يدل على ذلك، قال النبي ﷺ: (مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ، حَسْبُ ابْنِ آدَمَ أَكْلَاتٌ يُقْمَنَ صَلْبُهُ، فَإِنْ كَانَ لَا مَحَالَةَ، فَثُلُثُ طَعَامٍ، وَثُلُثُ شَرَابٍ، وَثُلُثُ لِنْفَسِهِ)^(٤).

(١) آية ٣١ من سورة الأعراف.

(٢) تفسير القرطبي (٧/ ١٩٢).

(٣) زاد المعاد (ص ٧٦٤).

(٤) سبق تخريجه (ص ١٩).

فهذا النص النبوي الكريم، وأمثاله كثيرٌ جداً يدل على عناية الشرع بصحة الإنسان، سواء كانت الصحة البدنية أو النفسية.

فعن عون بن أبي جحيفة، عن أبيه، قال: **آخى النبي ﷺ بين سلمان، وأبي الدرداء، فزار سلمان أبا الدرداء، فرأى أم الدرداء متبدلة، فقال لها: ما شأنك؟ قالت: أخوك أبو الدرداء ليس له حاجة في الدنيا، فجاء أبو الدرداء، فصنع له طعاما، فقال: كل فإني صائم، قال: ما أنا بأكل حتى تأكل، فأكل، فلما كان الليل ذهب أبو الدرداء يقوم، فقال: نم، فنام، ثم ذهب يقوم، فقال: نم، فلما كان آخر الليل، قال سلمان: قم الآن، قال: فصلياً، فقال له سلمان: إن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولأهلك عليك حقاً، فأعط كل ذي حق حقه، فأثنى النبي ﷺ فذكر ذلك له، فقال النبي ﷺ: «صدق سلمان»^(١).**

كما أن الشريعة الإسلامية لها عناية بصحة الإنسان فإن لها كذلك عناية بما هو أعظم من ذلك، ومنها:

١ - العناية بصحة العقيدة على ضوء الكتاب والسنة، وما كان عليه سلف الأمة.

٢ - العناية بصحة العبادة بتحقيق التوحيد لله وحده لا شريك له.

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب صنع الطعام والتكلف للضيف برقم ٦١٣٩ (٣٢ / ٨).

- ٣ - العناية بصحة الأخلاق والسلوك.
- ٤ - العناية بصحة المعاملات بأنواعها في جميع مجالات الحياة.
- ٥ - العناية بأداء الحقوق العشرة التي دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، كما ذكرها الشيخ العلامة محمد بن عثيمين رحمه الله، وهي على النحو التالي:
 - ١ - حقوق الله تعالى.
 - ٢ - حقوق النبي ﷺ.
 - ٣ - حقوق الوالدين.
 - ٤ - حقوق الأولاد.
 - ٥ - حقوق الأقارب.
 - ٦ - حقوق الزوجين.
 - ٧ - حقوق الولاية والرعية.
 - ٨ - حقوق الجيران.
 - ٩ - حقوق المسلمين عموماً.
 - ١٠ - حقوق غير المسلمين^(١).

والعناية بهذه الأمور والقيام بها وتطبيقها على الوجه المشروع هي الحياة

(١) حقوق دعت إليها الفطرة وقررتها الشريعة، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين، (ص ٥).

الطيبة، كما قال تعالى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أَنَّىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيٰوةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾^(١).

أما الاهتمام والعناية بصحة البدن والمظهر بدون هذه الأشياء فليس بشيء، كما قال تعالى عن المنافقين: ﴿وَإِذَا رَأٰتَهُم تَعٰجَبْكَ أَجْسَامُهُمْ﴾^(٢). وهذه الآية الكريمة ذكرت حال المنافقين في سياق الذم لهم.

وصدق القائل:

يَا خَادِمَ الْجِسْمِ كَمْ تَسْعَى لِحَدَمَتِهِ
أَتَطْلُبُ الرِّبْحَ مِمَّا فِيهِ خُسْرَانُ
أَقْبِلْ عَلَى النَّفْسِ وَاسْتَكْمِلْ فَضَائِلَهَا
فَأَنْتَ بِالنَّفْسِ لَا بِالْجِسْمِ إِنْسَانُ ... ؟^(٣)

يقول الدكتور: أحمد عكاشة وقد كان لتعاليم المعالج الكبير ابن الرازي أعمق الأثر على الطب العربي وكذلك الطب الأوربي ومن أهم كتاباته "المنصوري" وكتاب "الحاوي" ويتكون الكتاب الأول من عشر فصول تتضمن وصفاً لأنواع الأمزجة المختلفة ويعتبر دليلاً متكاملًا في مجال الخَلْقَة تدل على الخَلْق، أما كتاب "الحاوي" فيعتبر أكبر موسوعة طبية

(١) سورة النحل: ٩٧.

(٢) سورة المنافقون: ٤.

(٣) ينظر: أدب الدنيا والدين للهاوردي، ص (٤١).

أصدرها طبيباً عربياً وقد تم ترجمتها إلى اللاتينية عام ١٢٧٩ ونشرت في عام ١٤٨٦ ويعتبر أول كتاب اكلينيكي يعرض الشكاوى والعلامات والتشخيص المفارق والعلاج المؤثر للمريض، وبعدها بنحو مائة عام ظهر كتاب القانون لابن سينا والذي يعتبر كتاباً تعليمياً يتميز بالتصنيف الأفضل والترتيب الذهني والتوجه المنطقي، وقد قدر له أن يمثل أساس التعليم الطبي في أوروبا لعدة قرون. وقد جاء بعد (القانون) في الطب لابن سينا عملاً آخر لا يقل روعة ألا وهو كتاب (الملكي) لعلی عباس الذي يعتبر مثل الحاوي عملاً خالداً في مجال التنظير والممارسة في الطب .

يقدم د. محمد كامل حسين و د. عبد الحلیم العقبی في كتابهما عن (الحاوي) للرازي كالاتي:

الماليخوليا^(١) والمراقية والشراسفية :

هذا باب جيد وأسلوبه واضح وضوحاً يدل على ثقة المؤلف بما يعرف عن هذه الأمراض وفي وصفه لعلاماتها دقة وجلاء تتميز بها أعراض كل هذه الأمراض رغم ما فيها من تقارب شديد ثم هو بعد ذلك حسن العلاج، وقوله أنه أبرأ قوماً بنصيحة واحدة ليس بعيداً عن الصواب .

(١) ذكر لي الدكتور الكيلاني محمد الحاجي استشاري طب نفسي تخصص علاج سلوكي معرفي، جامعة فرنسا - باريس - ديكرت، والذي يعمل حالياً في مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض: (عن مصطلح المالموخوليا يطلق قديماً عن الاكتئاب الحاد جداً، يصل فيه المريض إلى مرحلة متقدمة من الاكتئاب مع عدم الإحساس بأعضاء جسمه، (إهمال كلي للذات)، الحزن والكآبة إلى درجة المعاناة، ولا يوجد حل بالنسبة إليه سوى الانتحار لكي ينهي معاناته.

ويعجبنا أنه يفرق بين فساد الحس مع صواب الحكم، وصواب الحس مع فساد الحكم، وكذلك يروِّقنا قوله إن المراقبة تشبه الماليخوليا إلا أن اختلاط الذهن فيها أقل . وعلاجه لهذه الحالات أكثره بالإقناع ... والتماس أسباب الفرح والسرور والانشغال بأمور عملية . وهو يذكر أحياناً أنه يعالج المريض بحل فكره، كل هذه علاجات لاتزال صادقة إلى يومنا هذا . ورأيه أن أكثر أسباب الماليخوليا هو الفراغ^(١) قول يجب أن يتدبره كل إنسان مريضاً كان أو معالِجاً .

والظاهر أن الأمراض النفسية ظلت على ماهي عليه من قديم الزمان . وهو يذكر أنواعاً من الخوف الزائد عن الحاجة ومنها الخوف من الظلام^(٢)

ونرجو أن يروض القارئ الحديث نفسه على قبول الشروح القائمة على الأخلاط ومازالت الماليخوليا يعبر عنها في كثير من اللغات بنسبتها إلى المرة السوداء أو الطحال وكلمة الماليخوليا نفسها معناها المرة السوداء .

تصوّر القدماء أن هذه المرة تنصب من الطحال إلى المعدة ومنها إلى الدماغ وقد تنشأ الأرياح في الدماغ نفسه . وقد تكون المرة السوداء إذا احترق في كبِد معلولة ومهما يكن رأينا في صواب هذا التعليل منطقي يقول الرازي:

الماليخوليا وسواس بلا حمى وهي ثلاثة أصناف :

(١) سيأتي الكلام عن الفراغ ص (٣١٣).

(٢) انظر رهاب الظلام ص (٩٢).

إما أن يكون في الدماغ نفسه خلط أسود .
 وإما أن يكون الدم الذي في البدن كله أسود .
 والذي يحدث عن خلط في جداول الكبد فيصير الدم هناك فيه بخار
 سوداوى إلى الرأس .
 واللازم لهذه العلة الخوف والغم والولوع لشيء ما بإفراط، ويسود
 شعورهم وإن كانوا قد شابوا عاد أسود .
 المستعدون للماليخوليا أصحاب اللثغة والحدّة وخفة اللسان وكثرة
 الطرب، واللون المفرط الحمرة والأدمة وكثرة الشعر وخاصة في الصدر
 وسواده وغلظه، وسعة العروق وغلظ الشفتين، لأن بعض هذه الدلائل
 تدل على رطوبة الدماغ وبعضها على غلبة الخلط الأسود .
 من العلامات الدالة على ابتداء الماليخوليا حب التفرد، والتخلي من
 الناس على غير وجه حاجة معروفة أو علة، كما يعرض للأصحاء لحبهم
 البحث والستر للأمر الذي يجب ستره .
 وإذا صعدت عليه أبخرة الصفراء أحدث الصداع^(١) والأكال ويعرض
 لهم من التخيّلات^(٢) أشياء عجيبة متفننة^(٣) .
 هذا ونظراً لأهمية النفس ومكانتها وعظمتها فقد أفردت لها بحثاً موجزاً

(١) انظر: ص (٢٢٦).

(٢) سيأتي الكلام عن الخيالات البصرية والأصوات الوهمية ص (٢٤٩).

(٣) الطب النفسي المعاصر، ص (٢٥ - ٢٧).

في هذا الكتاب^(١).

وبعد هذا أذكر فائدة طبية شرعية علمية نفيسة ومهمة جداً ذكرها
العلامة ابن القيم - رحمه الله - مكونة من عشرين وصفاً تتعلق بالطبيب
الماهر، كما سيأتي:



(١) سيأتي الكلام عن عظمة النفس ص (٥٦).

٢ - نظرة حول الطَّبِيبُ الْحَادِثُ

إن من حكمة الله البالغة أنه سبحانه وتعالى جعل بين الخلائق وأعمالهم في هذه الحياة تفاوتاً كبيراً، وكلُّ ميسر لما خُلق له، قال تعالى: ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾^(٢). فالتفاضل والتفاوت بين الخلق كلٌّ في مجاله واختصاصه، من سنن الله الكونية وربك حكيم عليم، قال تعالى: ﴿عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾^(٣) وبراعة الإنسان في عمله مهما كان بسيطاً، وإتقانه وتفوقه فيه على زملائه وأقرانه حينما يترك أثراً^(٤) سامياً، يعود في نظري لأسباب عديدة، منها:

أولاً: إخلاص النية لله سبحانه وتعالى وتقواه في هذا العمل، قال تعالى: ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ﴾^(٥).

قال ابن القيم رحمه الله - في حال شيخ الإسلام رحمه الله: (إذا أعيته المسائل واستصعبت عليه فرّ منها إلى التوبة والاستغفار والاستغاثة بالله واللجأ

(١) سورة الليل: ٤.

(٢) سورة القصص: ٦٨.

(٣) سورة العلق: ٩٦.

(٤) كما قال أحمد شوقي: وكن رجلاً إن أتوا بعده يقولون: مرّ وهذا الأثر

(٥) سورة البقرة: ٢٨٢.

إليه واستنزال الصواب من عنده والاستفتاح من خزائن رحمته، فقلما يلبث المدد الإلهي أن يتتابع عليه مدداً، وتزدلف الفتوحات الإلهية إليه، بأيمن يبدأ^(١).

ثانياً: الجد والاجتهاد فيه بالصبر والمثابرة، وابتغاء الأجر من الله عز وجل مع ما يجنيه من أجره العمل، فإن الله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

ثالثاً: أن يعلم الغاية والهدف من هذا العمل والرسالة التي يؤديها خدمة لدينه وأمته، عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ قال: **(إن الله - عز وجل - يحب إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه)**^(٢).

والطب - في الوقت نفسه - مهنة شريفة وخطيرة؛ لأنها تتعلق بحياة الإنسان وصحته، فهي ليست كسائر المهن، ولذا فإن الخطأ فيها جسيم، وفيه مسؤولية.

لهذا فإن الإمام ابن القيم - رحمه الله - حينما تكلم عن الطب ومكانته وأنواعه والأمور التي يجب أن يراعيها الطبيب في مهنته، ذكر - رحمه الله - أوصاف الطبيب الحاذق وأوصلها إلى عشرين صفة، وهي على النحو التالي: يقول رحمه الله: «الطبيب الحاذق هو الذي يراعي في علاجه عشرين أمراً.

أحدها: النظر في نوع المرض من أي الأمراض هو؟

(١) أعلام الموقعين (٤/ ١٨٧).

(٢) أخرجه الطبراني في المعجم الأوسط، رقم ٨٩٧، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم ١٨٨٠،

الثاني: النظر في سببه من أي شيء حدث؟ والعلة الفاعلة التي كانت سبب حدوثه ما هي؟

الثالث: قوة المريض، وهل هي مقاومة للمرض، أو أضعف منه؟ فإذا كانت مقاومة للمرض، مستظهرةً عليه، تركها والمرض، ولم يحرك بالدواء ساكنًا.

الرابع: مزاج البدن الطبيعي ما هو؟

الخامس: المزاج الحادث على غير المجرى الطبيعي.

السادس: سن المريض.

السابع: عاداته.

الثامن: الوقت الحاضر من فصول السنة وما يليق به.

التاسع: بلد المريض وتربيته.

العاشر: حال الهواء في وقت المرض.

الحادي عشر: النظر في الدواء المضاد لتلك العلة.

الثاني عشر: النظر في قوة الدواء ودرجته، والموازنة بينها وبين قوة المريض.

الثالث عشر: ألا يكون كل قصده إزالة تلك العلة فقط، بل إزالتها على وجه يأمن معه حدوث أصعب منها، فمتى كان إزالتها لا يأمن معها حدوث علة أخرى أصعب منها، أبقاها على حالها، وتلطيفها هو الواجب،

وهذا كمرض أفواه العروق، فإنه متى عولج بقطعه وحبسه خيف حدوث ما هو أصعب منه.

الرابع عشر: أن يعالج بالأسهل فالأسهل، فلا ينتقل من العلاج بالغذاء إلى الدواء إلا عند تعذره، ولا ينتقل إلى الدواء المركب إلا عند تعذر الدواء البسيط فمن حذق الطبيب علاجه بالأغذية بدل الأدوية، وبالأدوية البسيطة بدل المركبة

الخامس عشر: أن ينظر في العلة، هل هي مما يمكن علاجها أولاً؟ فإن لم يمكن علاجها، حفظ صناعته وحرمة، ولا يحمله الطمع على علاج لا يفيد شيئاً^(١).

وإن أمكن علاجها، نظر: هل يمكن زوالها أم لا؟ فإن علم أنه لا يمكن زوالها، نظر هل يمكن تخفيفها وتقليلها أم لا؟ فإن لم يمكن تقليلها، ورأى أن غاية الإمكان إيقافها وقطع زيادتها، قصد بالعلاج ذلك، وأعان القوة، وأضعف المادة.

السادس عشر: ألا يتعرض للخلط قبل نضجه باستفراغ، بل يقصد إنضاجه، فإذا تم نضجه، بادر إلى استفراغه.

السابع عشر: أن يكون له خبرة باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها،

(١) قلت: ما أعظمها من نصيحة صادقة، فهل من أذن واعية؟

وذلك أصلٌ عظيمٌ في علاج الأبدان، فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمرٌ مشهود^(١)، والطبيب إذا كان عارفاً بأمراض القلب والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل، والذي لا خبرة له بذلك وإن كان حاذقاً في علاج الطبيعة وأحوال البدن نصف طبيبٍ. وكل طبيبٍ لا يداوي العليل، بتفقد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير، والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيبٍ، بل متطببٌ قاصرٌ، ومن أعظم علاجات المرض فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء، والتضرع والابتغال إلى الله، والتوبة^(٢)، ولهذه الأمور تأثيرٌ في دفع العِلل، وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه.

الثامن عشر: التلطف بالمريض، والرفق به، كالتلطف بالصبي.

التاسع عشر: أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل^(٣)، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبةً لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معينٍ.

العشرون: (وهو ملاك أمر الطبيب)، أن يجعل علاجه وتدبيره دائراً على

(١) سيأتي الكلام عن علاقة النفس بالجسم في تعريف الاضطرابات النفسية ص (٣٨).

(٢) قد ذكرت شيئاً من هذا تحت عنوان: أثر الدعاء والأذكار سيأتي ص ٢٩٣.

(٣) سيأتي الكلام عن العلاج بالتخييل ص ١٢٩.

ستة أركانٍ: ١ - حفظ الصحة الموجودة، ٢ - رد الصحة المفقودة بحسب الإمكان، ٣ - إزالة العلّة، ٤ - تقليلها بحسب الإمكان، ٥ - احتمال أدنى المفسدتين لإزالة أعظمهما. ٦ - تفويت أدنى المصلحتين لتحصيل أعظمهما، فعلى هذه الأصول الستة مدار العلاج، وكل طبيبٍ لا تكون هذه أخِيَّتُه^(١) التي يرجع إليها، فليس بطبيبٍ، والله أعلم^(٢).

ويقول الدكتور/ بسام سلامة: «هذا وكما أن المسلم يأخذ علاجه من الطب النبوي المستمد من الوحي، وفي الوقت نفسه يحذر ويتبعد عن الطب الخرافي المبني على الدجل والكذب والجهل والشعوذة والكهانة، والتخييل الكاذب، وأكل أموال الناس بالباطل»^(٣).



(١) أخِيَّتُه: المراد بها طبيعته وعاداته وسجيته في العلاج.

(٢) الطب النبوي لابن القيم، الناشر: دار الهلال - بيروت، (ص: ١٠٦) بتصرف.

(٣) الإيمان بالغيب، بسام سلامة، ص ٢٦٢.

٣ - نظرة حول الثقة بالمعالج

إنَّ ثقة المريض بالطبيب المعالج من الضَّرورة بمكان، ولا تقل أهميتها عن غيرها من الخطوات العلاجية، وتعتمد هذه الثقة على عدَّة محاور:

منها العلاقة العلاجية المهنية (الفهم الجيد، التقبُّل، الاحترام).

كما قال الشاعر:

إنَّ المعلِّم والطبيب كلاهما لا ينصحان إذا هما لم يُكرما
فاصبر لدائك إن أهنت طبيبه واصبر لجهلك إن جفوت معلماً^(١)
ومنها: كفاءة المعالج وخبرته وكذلك الشهرة والاستفاضة عند المجتمع.

ومما يدل على هذا قوله ﷺ: «مَنْ تَطَبَّبَ وَلَمْ يُعَلِّمْ مِنْهُ طِبٌّ قَبْلَ ذَلِكَ فَهُوَ ضَامِنٌ»^(٢).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «فالطِّبُّ بكسر الطاء في لغة العرب، يقال على معانٍ، منها: الإصلاح، يقال: طبيته: إذا أصلحته، ويقال: له طِبٌّ بالأمور، أي: لطفٌ وسياسة. قال الشاعر:

وإذا تغيَّرَ من تميمٍ أمرُها كُنْتُ الطبيب لها برأيٍ ثاقِبٍ

(١) لم أقف على القائل ونسبه بعضهم لأبي العلاء المعري.

(٢) رواه أبو داود برقم (٤٥٧٨)، وأخرجه النسائي برقم (٧٠٠٥) واللفظ له، وحسنه الألباني في

صحيح الجامع رقم ٦١٥٣، ١٠٥٩/٢.

ومنها: الحِذْق. قال الجوهرى: كُلُّ حاذق طيب عند العرب، قال أبو عبيد: أصل الطَّب: الحِذْق بالأشياء والمهارة بها، يقال للرجل: طب وطبيب: إذا كان كذلك، وإن كان في غير علاج المريض، وقال غيره: رجل طيب: أي حاذق، سُمِّي طبيباً لحِذْقه وفطنته. قال علقمة:

فإن تَسألوني بالنِّساءِ فإِنِّي خيرٌ بأدواء النساءِ طبيبٌ
إذا شَابَ رَأْسُ المرءِ أو قَلَّ مَالُهُ فليسَ لَهُ مِنْ وُدِّهِنَّ نَصِيبٌ^(١)

وقال - رحمه الله - في قوله ﷺ: (من **تطبَّب**) ولم يقل: من طبَّ؛ لأن لفظ التفعُّل يدل على تكلف الشيء والدخول فيه بعُسْر وكُلْفَة، وأنه ليس من أهله، كتحلَّم وتشجَّع وتصبَّر ونظائرهما^(٢).

وجه الاستدلال: قوله ﷺ: «**ولم يُعلم منه طب**».

فإذا عُلِمَ منه طب واشتهر بذلك فليس بضامن إلا إذا تعدَّى وحصل منه تقصير وأدى ذلك إلى ضرر يلحق بالمريض، فعلى الطبيب في مثل هذه الحالة أن يضمن حقه كما هو معروف في كتب الفقه.

هذا، ونظراً لأهمية الشهرة والاستفاضة فإننا نشاهد بعض المعالجين - عموماً - يهرعون إلى وسائل الإعلام لإعداد برامج خاصة، ويحرصون كل الحرص على تعليق لوحات في عياداتهم تحتوي على مؤهلاتهم العلمية وشهادات الشكر ونحوها.

(١) الطب النبوي (ص ٩٧).

(٢) الطب النبوي (ص ٩٨).

وكذلك السيرة الذاتية وتوثيقها على الغلاف الخارجي لمؤلفاتهم لينالوا ثقة المريض.

وتعليق التزكيات والدروع أسلوب متبع اليوم في معظم العيادات الطبية وغيرهم من أصحاب الحرف والمهن، كل فيما يخصه ومهنته.

كما علق الإمام ابن القيم - رحمه الله - على قوله ﷺ: **(من تطب ولم يعلم منه طب فهو ضامن)**^(١). (والطبيب في هذا الحديث يتناول من يطب بوصفه وقوله، وهو الذي يخص باسم الطبائعي، وبمروده، وهو الكحال، وبمبضعه ومراهمه وهو الجرائحي، وبمؤساه وهو الخاتن، وبريشته وهو الفاصد، وبمحاجمه ومشرطه وهو الحجّام، وبخلعه ووصله ورباطه وهو المجبر، وبمكواته وناره وهو الكوّاء، وبقربته وهو الحاقن، وسواء كان طبّه لحيوان بهيم، أو إنسان، فاسم الطبيب يطلق لغة على هؤلاء كلهم، كما تقدم، وتخصيص الناس له ببعض أنواع الأطباء عُرفٌ حادث، كتخصيص لفظ الدابة^(٢) بما يخصّها به كل قوم.

وفي التمر خاصية عجيبة لهذا الداء، ولا سيما تمر المدينة، ولا سيما العجوة منه، وفي كونها سبعاً خاصية أخرى، تُدرك بالوحي، وفي الصحيحين من حديث عامر بن سعد بن أبي وقاص، عن أبيه قال: قال

(١) سبق تخريجه ص ٣٤.

(٢) قلت: الدابة وصف عام لكل من دبّ ومشى على الأرض، قال تعالى: **﴿وَمِنْ ذَاتَيْنِ مَخَلَّقَتْنِي الْأَرْضُ إِلَّا**

عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا﴾ [هود: ٦].

رسول الله ﷺ: «من تصبَّح كل يوم سبع تمرات عجوة، لم يضره في ذلك اليوم سُم ولا سحر»^(١).

وفي لفظ: «من أكل سبع تمرات مما بين لابتيها»^(٢) حين يصبح، لم يضره سُم حتى يُمسي»^(٣)^(٤). اهـ. ويرى سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله أنه لا يمنع من وجود تلك الفائدة في أنواع التمر الأخرى التي أشار إليها عليه الصلاة والسلام^(٥).



(١) أخرجه البخاري، كتاب الأطعمة، باب: العجوة، رقم: ٥٤٤٥، ٧/ ٨٠.

(٢) المراد بذلك المدينة المنورة.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: الأشربة، باب: فضل تمر المدينة رقم: ٢٠٤٧، ٣/ ١٦١٨.

(٤) الطب النبوي لابن القيم ص ٦٩ - ٧١.

(٥) مجموع الفتاوى (١٠٩/ ٨).

٤ - نظرة حول التشخيص

لا شك أن الاكتشاف المبكر لعلّة المريض في غاية الأهمية لما يترتب عليه من نتائج إيجابية لتحديد اتجاه المريض في المسار المناسب، للوقاية - بإذن الله - من الأمراض النفسية المزمنة.

لكن واقع الطب النفسي اليوم يعتمد في التشخيص على الدليل التشخيصي والإحصائي دون احتوائه على الفحص المخبري الذي يعتمد عليه الطبيب النفسي - فقط - لكشف سلامة المريض النفسي من أي خلل طبي عضوي.

فعلى سبيل المثال: يعتمد طبيب الباطنة في التشخيص على أجهزة التصوير في الكشف عن إصابة المريض بحصوة في المرارة، بينما الطبيب النفسي لا يوجد لديه جهاز أو أي وسيلة ماديّة^(١) كسماعة طبيب أو الأجهزة الطبية الأخرى يستطيع أن يعتمد عليها في الفحص على الأمراض النفسية وتحديد إصابة المريض ما بين الاضطرابات العقلية منها الذهان كالفصام.

وما بين اضطرابات القلق أو الرهاب والوسواس القهري.

وما بين اضطرابات المزاج كالهوس أو الاكتئاب أو ثنائي القطب.

وما بين الاضطرابات النفسجسدية^(٢).

(١) للمزيد، انظر: ص ١٥٢.

(٢) تسمى الآن - حسب التصنيف العالمي - اضطرابات انفعالية وسلوكية ثانوية ومصاحبة

فالطبيب النفسي في وقتنا الحاضر يعتمد في التشخيص على الأدلة التشخيصية للاضطرابات العقلية محددة التصنيف للاضطرابات النفسية ضمن مرجعية معيارية للممارسة السريرية في مجال الصحة العقلية على مستوى العالم^(١).

فهو يقوم على تقييم ودراسة للحالة وطرح الأسئلة لاكتشاف الحالة عن طريق المقابلة وجمع المعلومات للوصول إلى معايير التشخيص أو إحالته إلى الأخصائي النفسي لتقييم حالته وتطبيق مجموعة من الاختبارات والمقاييس النفسية حسب الحاجة وتقييم قدراته والتعرف على شخصيته وربطها بحالة المريض ومعلوماته وجلسات التقييم والملاحظة والخروج بأدلة إكلينيكية علاجية.

ومن جهة أخرى يظهر أحياناً أن الطبيب النفسي يتميّز على طبيب الأبدان في تشخيص بعض الأمراض النفس جسدية، كما قال ابن القيم رحمه الله في أوصاف الطبيب الحاذق: «أن يكون له خبرةٌ باعتلال القلوب والأرواح

لاضطرابات فسيولوجية، حيث إن لفظ سيكوسوماتية يعني ازدواجية الجسم والنفس، وحيث إن النفس جزء من الجسم والمخ ولذا لا يصح انفصالهما. (الطب النفسي المعاصر، د. أحمد عكاشة) (ص ٥٣٧).

(١) لو افترضنا جدلاً بأن مريض اتصل هاتفياً بعدد من الأطباء النفسيين من شتى دول العالم يشتكي من سماع أصوات ورؤية أشخاص، لأجمعوا على تشخيصه بالذهان كما سيأتي الكلام عن الخيالات البصرية والأصوات الوهمية (ص ٢٤٩).

وأدويتها، وذلك أصلٌ عظيمٌ في علاج الأبدان، فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمرٌ مشهود^(١)، والطبيب إذا كان عارفاً بأمراض القلب والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل، والذي لا خبرة له بذلك وإن كان حاذقاً في علاج الطبيعة وأحوال البدن نصف طبيبٍ. وكل طبيبٍ لا يداوي العليل، بتفقد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير، والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيبٍ، بل متطببٌ قاصر^(٢).

تصنيف الاضطرابات العقلية:

(والمعروف أيضاً باسم علم تصنيف الأمراض النفسية، وهو أحد الجوانب الرئيسية في الطب النفسي وغيرها من المهن الصحية العقلية ونقطة محورية لمن تم تشخيصهم، يوجد حالياً اثنان من التصنيف الطبي تم انشاؤهما على نطاق واسع لتصنيف الأمراض العقلية.

التصنيف الدولي للأمراض ١١ - ICD الذي وضعته منظمة الصحة العالمية WHO والدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية DSM-٥ الذي وضعته الجمعية الأمريكية للأطباء النفسيين APA .

ويُعتقد أن قائمة تصنيف الاضطرابات العقلية تضم أنواعاً مختلفة عن

(١) كما سيأتي كلام ابن القيم رحمه الله عن علاقة الخوف بفساد الجوارح ص ٢٧٣.

(٢) ينظر: (ص ٣٢).

بعضها، وعلى الرغم من أنها تقاربت إلى حد كبير في التنقيحات الأخيرة، بحيث تكون في كثير من الأحيان قابلة للمقارنة، لا تزال هناك اختلافات كثيرة، وقد تستخدم مخططات تصنيف أخرى بصورة أكثر على الصعيد المحلي، على سبيل المثال التصنيف الصيني للاضطرابات العقلية، وهناك كتيبات أخرى يستخدمها أصحاب الانتماءات النظرية البديلة استخداماً محدوداً، مثل الدليل التشخيصي للتحليل النفسي .

ويتم استخدام تصنيفات الدليل التشخيصي والإحصائي للأمراض العقلية والتصنيف الدولي للأمراض في توظيف التعريفات التشغيلية، وهناك جدل علمي كبير حول صحة نظام التصنيف (التصنيفي) في مقابل (البُعدي)، وأيضاً جدل حول دور العلم والقيم في مخططات التصنيف والاستخدامات المهنية والقانونية والاجتماعية التي وضعت من أجلها.

يفيد تقرير استقصاءات منظمة الصحة العالمية أنه لا يوجد إجماع على تعريف الاضطراب/ المرض العقلي^(١).

العلاج النفسي:

(إن تفسير كلمة العلاج النفسي يختلف تبعاً للمدرسة التي يتبعها المعالج النفسي، ولكن يتفق الجميع على معنى عام هو أن الغرض الأساسي

(١) الاضطرابات العصبية، د. سعدي موسى الحانوتي، (ص ٤٧)، الطبعة الأولى ١٤٣٨ الناشر العبيكان.

هو مناقشة أفكار وانفعالات المريض واكتشاف مصادر الصراع والإجهاد ومحاولة تكيف المريض مع المجتمع في حدود قدراته الشخصية، ذلك مع إقامة تجاوب انفعال بين المعالج والمريض واستخدامه في شفائه.

ويختلف الأطباء في أساليبهم للوصول لهذا الغرض، فكل يتبع مدرسته الخاصة ويؤمن بأنها الطريقة المثلى لاستئصال أسباب الصراع، ولتغيير الشخصية، بل ويعطي الأدلة والبراهين على أن نظريته هي السائدة في العلاج النفسي، ويحتمل أن يكون كل معالج صادقاً في كلامه عن نظريته، إذ إن اعتقاده بطريقته يحمل التأثير والإيحاء إلى المريض، ولذا فأعتقد أن نجاح العلاج النفسي يعتمد على شخصية المعالج ومدى إيمانه بطريقته في العلاج، أكثر من الاعتماد على محتوى النظرية ذاتها واختلافها عن النظريات الأخرى^(١).

وكذلك الراقي أيضاً: لا يستطيع أن يُشخص إصابة المريض بتلبس الجن أو السحر أو العين بعين اليقين، لكنه يعتمد في التشخيص على اجتهادات قائمة على قرائن مبنية على آراء شخصية وخبرات فردية^(٢) تظهر

(١) الطب النفسي المعاصر د. أحمد عكاشة، صفحة (٢٢٢) الناشر مكتبة الأنجلو المصرية عام ١٩٩٨.

(٢) لهذا نلاحظ تضارب آراء بعض الرقاة تجاه تشخيص هذا المريض الذي يشتكي من سماع أصوات ورؤية أشخاص كما تقدم في المثل السابق، انظر: (ص ٣٩)، وسبب هذا الخلاف في نظري يعود إلى عدم وجود مرجعية لعمل مؤسسي بين بعض المؤهلين من الرقاة يحتوي على دليل تشخيصي يتطرق إلى علاقة تلبس الجن بالإنس والعين والسحر بالاضطرابات النفسية.

على المريض في أثناء تأثره بالرقية الشرعية، فقد يصدر منه تشخيص مبني على غلبة الظن.

فالتشخيص يختلف من راقٍ إلى آخر على حسب الخبرة والقدرة على ربطها مع القرائن بتوفيق الله وتسديده.

وتتفاوت مصداقية القرائن من راقٍ إلى آخر على قدر تفوق شهرة أحدهما على الآخر.

فالشهرة^(١) بتوفيق الله لها أوفر الحظ والنصيب بمكانة الراقي ومنزلته لدى غالبية المرضى النفسيين؛ فقد يصعد أحد الرقاة تلقائياً إلى الشهرة بنجاح حينما يلاحظ بعض الناس إسهامه في شفاء بعض المرضى - بإذن الله - من بعض الأمراض العضوية على أثر رقيته، فسرعان ما تنتشر هذه الأخبار بين المرضى.

حينها يأخذ الكثير من المرضى النفسيين برأيه ويتركون ما سواه.

فربما يكون غير مدرك للاضطرابات النفسية!!

كما أن الشهرة أيضاً تلعب دوراً هاماً في مدى قناعة المريض النفسي من طبيب نفسي لآخر على قدر تفاوت الشهرة بينهما.

وهذا من الأسباب التي أدت إلى ازدواجية المريض بينهما.

(١) سبق الكلام عن الشهرة والاستفاضة (ص ٣٥).

فعلى سبيل المثال:

لن ينحرف المريض العضوي عن المسار الصحيح؛ ساعة إصابته بكسر في أحد أعضائه، بالاتجاه فوراً إلى طبيب العظام، ولن يلتفت إلى غيره.

فعندما يقرر طبيب العظام ضرورة إجراء عملية جراحية أو جبيرة استناداً على وسيلة مادية كصورة الأشعة لتحديد مكان الإصابة ونوعيتها، فإن المريض يقتنع تماماً بهذا الإجراء، بينما لا تجد هذه القناعة عند المريض النفسي في اللحظة التي يخرج فيها من عند الطبيب النفسي، فقد تجده ملتفتاً إلى غيره.

ولعلي أستشهد بقول أحد الإخوة من الأطباء النفسيين تجاوز عمره العقد الخامس في مجال الطب النفسي.

قال لي ذات يوم بعد حوار طويل دار بيني وبينه حول هذا الموضوع وكأنما يهمس في أذني: ما نصه (المُخ هذا حاجة فظيعة جداً ومعقدة، وكل الطب النفسي الذي تراه، إلى هذا الوقت لم نعرف ندخل فيه، وبصراحة كل اللي قدرنا نعمله إن احنا بقينا قرييين منه).

فالطب النفسي مهما بلغ فإنه يقف عند حدٍّ معين لا يمكن أن يتجاوزه في الكشف عن إصابة المريض بتلبس بالجن أو السحر أو العين ولا يعني أنني - من خلال هذا الطرح - أغفل الجانب الإيجابي المشاهد للطب

النفسي، ويمكن القول أن بعض التشخيص النفسي ظني إلى حد ما.

كما قال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِشُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾^(١).

وعلى العموم فإن التشخيص بالنسبة للأطباء النفسيين إنما يكون معتمداً على أعراض يتحدث بها المريض على حسب مصداقيته.

ويجتهد فيها الطبيب لمعرفة ما يعاني منه المريض من تقلب في المزاج واضطراب في التفكير والذاكرة والسلوك^(٢) على ضوء دراسات وأبحاث أقيمت وتجارب علمية موثقة، وفي أحيان كثيرة يتطلب التشخيص ملاحظات الأسرة والمحيطين بالمريض لإعطاء تفاصيل أكثر ومعلومات تكون أكثر دقة ومصداقية من المريض.

وعلى كل حال فالطبيب النفسي الماهر حتماً سيصل إلى نتيجة إيجابية وكذلك الراقي الحاذق المجتهد، وكل ذلك بتوفيق الله.

فكم من مرضى شفاهم الله - عز وجل - على أيدي الأطباء النفسيين، وكم من المرضى شفاهم الله سبحانه وتعالى بسبب الرقاة، وعموماً فإن هذه أسباب شرعها الله - عز وجل - وإلا فالشفاء من عند الله سبحانه وتعالى، وكم من مرضى شفاهم الله بدون أسباب، كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا مَرَضْتُ

(١) سورة الإسراء: (آية ٨٥).

(٢) سلوك المريض ومظهره الغير طبيعي.

فَهُوَ شَافِعٌ ﴿١﴾، وكما قال سبحانه وتعالى: **﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾** ^(٢).

يقول ابن القيم - رحمه الله - : «إن أكثر العالم يعيشون بغير طبيب، ولا يكون الطبيب إلا في بعض المدن الجامعة، وأما أهل البدو وأهل الكفور كلهم وعامة بني آدم فلا يحتاجون إلى طبيب، وهم أصح أبداناً وأقوى طبيعة ممن هو متقيّد بالطبيب، ولعل أعمارهم متقاربة، وقد فطر الله بني آدم على تناول ما ينفعهم واجتناب ما يضرهم، وجعل لكل قوم عادة وعرفاً في استخراج ما يهجم عليهم من الأدوية؛ حتى إن كثيراً من أصول الطب إنما أخذت عن عوائد الناس، وعرفهم وتجاربهم» ^(٣).

والذي أريد أن أصل إليه في موضوع التشخيص أنني سوف أضطر إلى استعمال المصطلحات الآتية لترجيح فحوى كلامي حتى تبرأ الذمة باستعمال العبارات التالية: (أعتقد، أتوقع، أظن، في الغالب، احتمال، أحياناً، ربما، قد يكون، الذي يظهر لي، وفي نظري)، والعلم عند الله - سبحانه وتعالى -.



(١) سورة الشعراء: (آية ٨٠).

(٢) سورة يس: (آية ٨٢).

(٣) مفتاح دار السعادة (٢/٢).

٥ - نظرة حول أمراض القلوب

قال تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَهُمُ اللَّهُ مَرَضًا﴾^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله - : «مرض القلب : خروجه عن صحته واعتداله، فإن صحته أن يكون عارفاً بالحق محباً له، مؤثراً له على غيره، فمرضه إما بالشك فيه وإما إثارة غيره عليه^(٢).

فمرض المنافقين: مرض شك وريب، ومرض العصاة: مرض غي وشهوة وقد سمى الله سبحانه كلاهما مرضاً.

وقال ابن الأنباري : أصل المرض في اللغة : الفساد، مرض فلان : فسد جسمه وتغيرت حاله، ومرضت بالمرض : تغيرت وفسدت^(٣).

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - : لذّة القلب وألمه أعظم من لذّة الجسم وألمه، أعني ألمه ولذّته النفسانيتان.

وإن كان قد يحصل فيه من الألم من جنس ما يحصل في سائر البدن بسبب مرض الجسم فذلك شيء آخر. فلذلك كان مرض القلب وشفاءؤه أعظم من مرض الجسم وشفاءؤه^(٤).

وصحة القلب وقوته في كثرة قراءة القرآن قال ابن الجوزي - رحمه الله - تلاوة القرآن تعمل في أمراض الفؤاد ما يعملها العسل في عِلل

(١) سورة البقرة، الآية (١٠).

(٢) أي الشك في الحق.

(٣) التفسير القيم لابن القيم . ص ١٢٥.

(٤) مجموع الفتاوى، ١٠ / ١٤٠.

الإجساد^(١).

وقد ورد ذكر القلب في القرآن بمعنى العقل، قال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ لَا يَفْقَهُونَ بِهَا﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا﴾^(٣).
وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾^(٤).
وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾^(٥).
وقال تعالى: ﴿وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكِنْ مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ﴾^(٦). وكذلك العلم كالقرآن محله القلب كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ يَبَيِّنُ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ﴾^(٧).
وقال تعالى: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ﴾^(٨).

قال شيخ الإسلام رحمه الله: «جعل الله القلوب ثلاثة أقسام: قاسية، وذات مرض، ومؤمنة مخبئة»^(٩).

(١) التبصرة (١/٧٩).

(٢) سورة الأعراف، الآية (١٧٩).

(٣) سورة الحج، الآية (٤٦).

(٤) سورة الحج، الآية (٤٦).

(٥) سورة ق، الآية (٣٧).

(٦) سورة الأحزاب، الآية (٥).

(٧) سورة العنكبوت، الآية (٤٩).

(٨) سورة الح، الآية (٥٤).

(٩) مجموع الفتاوى (١٣/٢٧١).

قال ابن النجار - رحمه الله - : (والعقل : ما يحصل به الُمَيُزُ^(١)، وهو غريزة^(٢)، وبعض العلوم الضرورية^(٣)، ومحلّه: القلب، وله اتصال بالدماغ)^(٤).

وقال الفيروز آبادي - رحمه الله - : (القلوب على سبعة أوجه :

- ١ - قلب الكافر، قال تعالى: ﴿ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ ﴾^(٥).
- ٢ - قلب المنافق، قال تعالى: ﴿ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ ﴾^(٦).
- ٣ - قلب العصاة، قال تعالى: ﴿ قَوْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِّنْ ذِكْرِ اللَّهِ ﴾^(٧)، وقال تعالى: ﴿ بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾^(٨).
- ٤ - قلب خواصّ العباد، قال تعالى: ﴿ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴾^(٩).
- ٥ - قلب المحبين، قال تعالى: ﴿ لِمَنْ كَانَتْ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾^(١٠).
- ٦ - قلب الخائفين، قال تعالى: ﴿ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ

(١) أي: ما يحصل به التمييز بين المعلومات.

(٢) أي: ليس مكتسباً، وإنما خلقه الله تعالى يفارق به الإنسان البهيمة.

(٣) أي: والعقل أيضاً: بعض العلوم الضرورية كالعلم باستحالة اجتماع الضدين.

(٤) مختصر التحرير (ص ٢٤ - ٢٥).

(٥) سورة النحل، الآية: ٢٢.

(٦) سورة البقرة، الآية: ١٠.

(٧) سورة الزمر، الآية: ٢٢.

(٨) سورة المطففين، الآية: ١٤.

(٩) سورة ق، الآية: ٣٣.

(١٠) سورة ق، الآية: ٣٧.

قُلُوبُهُمْ ^(١)، وقال تعالى: **﴿يُؤْتُونَ مَاءً آتَوْا وَقُلُوبُهُمْ وَجِيلَةٌ﴾** ^(٢).

٧ - قلب العارفين، قال تعالى: **﴿إِلَّا مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾** ^(٣).

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وأما أهل الكفر والبدع والشهوات فكلُّ بحسبه، قيل لسفيان بن عيينة: ما بال أهل الأهواء لهم محبة شديدة لأهوائهم؟! فقال انسييت قوله تعالى: **﴿وَأَشْرَبُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْوَجَلَ يُكْفِرُهُمْ﴾** ^(٤)... ^(٥).

وقال رحمه الله في موضع آخر: «فالرجل إذا تعلق قلبه بامرأة ولو كانت مباحة له يبقى قلبه أسيراً لها تحكم فيه وتتصرف بما تريد؛ وهو في الظاهر سيدها لأنه زوجها. وفي الحقيقة هو أسيرها ومملوكها، لا سيما إذا درت بفقره إليها وعشقه لها وأنه لا يعتاض عنها بغيرها؛ فإنها حينئذ تحكم فيه بحكم السيد القاهر الظالم في عبده المقهور الذي لا يستطيع الخلاص منه، بل أعظم، فإن أسر القلب أعظم من أسر البدن، واستعباد القلب أعظم من استعباد البدن... ^(٦).

وقال - رحمه الله - في موضع آخر: فالبخل والحسد مرض يوجب بغض النفس لما ينفعها، بل وجبها لما يضرها، ولهذا يقرن الحسد بالحقد والغضب،

(١) سورة الأنفال، الآية: ٢.

(٢) سورة المؤمنون الآية: ٦٠.

(٣) انظر: بصائر ذوي التمييز (٢٨٩ - ٢٩٠).

(٤) سورة البقرة، الآية: ٩٣.

(٥) انظر: مجموع الفتاوى ١٧٠/١٠.

(٦) انظر: مجموع الفتاوى (١٨٦/١٠).

وأما مرض الشهوة والعشق فهو حب النفس لما يضرها، وقد يقترن به بغضها لما ينفعها، والعشق مرض نفساني، وإذا قوى أثر في البدن فصار مرضاً في الجسم، إما من أمراض الدماغ كالماليخوليا^(١)؛ ولهذا قيل فيه هو مرض وسواسي شبيه بالماليخوليا، وإما من أمراض البدن كالضعف والنحول ونحو ذلك.

والمقصود هنا «مرض القلب» فإنه أصل محبة النفس لما يضرها كالمرضى البدن الذي يشتهي ما يضره وإذا لم يطعم ذلك تألم، وإن أطعم ذلك قوى به المرض وزاد^(٢).

قال النبي ﷺ: «ليس الغني عن كثرة العرض، ولكن الغني غني النفس»^(٣).

وقال - رحمه الله -^(٤): «كما قيل: استغن عمن شئت تكن نظيره، وأفضل على من شئت تكن أميره؛ واحتج إلى من شئت تكن أسيره». وقال تعالى: ﴿لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾^(٥)؛ لأن ذلك أورث شبهة عندهم، والقاسية قلوبهم ليسها فاولئك قلوبهم ضعيفة بالمرض، فصار مالقى الشيطان فتنة لهم، وهؤلاء كانت قلوبهم قاسية عن الإيمان، فصار فتنة لهم.

(١) سبق تعريفها، انظر: (ص ٢٤).

(٢) انظر: مجموع الفتاوى (١٠/ ١٣٠).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الرقاق، باب: الغنى غنى النفس، رقم ٦٤٤٦، ٨/ ٩٥، وأخرجه

مسلم، كتاب: الزكاة، باب: ليس الغنى عن كثرة العرض، رقم ١٠٥١، ٢/ ٧٢٦.

(٤) لا يزال الكلام لشيخ الإسلام رحمه الله.

(٥) سورة الحج، الآية: ٥٣.

وقال تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْهَ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ﴾^(١)، كما قال تعالى: ﴿وَلَيَقُولَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ﴾^(٢) لم تمت قلوبهم كموت الكفار والمنافقين وليست صحيحة صالحة كصالح قلوب المؤمنين، بل فيها مرض شبهة وشهوات، وكذلك قوله تعالى: ﴿فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ﴾^(٣)، وهو مرض الشهوة، فإن القلب الصحيح لو تعرضت له المرأة لم يلتفت إليها، بخلاف القلب المريض بالشهوة فإنه لضعفه يميل إلى ما يعرض له من ذلك بحسب قوة المرض وضعفه، فإذا خضعن بالقول طمع الذي في قلبه مرض والقرآن شفاء لما في الصدور^(٤).

وعن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قيل لرسول الله ﷺ: أي الناس أفضل؟ قال: (كل مخموم القلب صدوق اللسان)، قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟ قال: (هو التقيُّ النقيُّ، لا إثم فيه ولا بغي، ولا غلٍّ، ولا حسد)^(٥).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: «والقلب له حياة وموت، ومرض وشفاء، فالقلوب أربعة: قلب سليم، فذلك قلب المؤمن، وقلب اغلف، فذلك قلب الكافر، وقلب منكوس، فذلك قلب المنافق وقلب تمده مادتان:

(١) سورة الأحزاب، الآية: ٦٠.

(٢) سورة المدثر، الآية: ٣١.

(٣) سورة الأحزاب، الآية: ٣٢.

(٤) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، (٩٥/١٠).

(٥) أخرجه ابن ماجه، كتاب: الزهد، باب: الورع والتقوى، رقم ٤٢١٦، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب، رقم ٢٨٨٩.

مادة إيمان، ومادة نفاق، وهو لما غلب عليه منهما»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ أَنْ لَنْ يُخْرِجَ اللَّهُ أَضْغَنْهُمْ﴾^(٢).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: «والناس ينظرون إلى ظاهره، والله ينظر إلى قلبه وباطنه! فاهتم بالقلب قبل القلب، وبالسر قبل الظاهر»^(٣)؛ فهو محل الابتلاء! قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَبْلُ السَّرَائِرُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿ذَرَهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَلِيَهُمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾^(٥). وطول الأمل داء عضال ومرض مزمن، ومتى تمكن من القلب فسد مزاجه واشتد علاجه ولم يفارقه داء ولا نجع فيه دواء، بل أعياء الأطباء ويئس من برئه الحكماء والعلماء، وحقيقة الأمل: الحرص على الدنيا والانكباب عليها والحب لها والإعراض عن الآخرة^(٦).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «المظلوم في قلبه مرض، وهو الألم الحاصل بسبب ظلم الغير له، فإذا استوفى حقه اشتفى قلبه كما قال تعالى: ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ ۖ وَيُذْهِبَ غَیْظَ قُلُوبِهِمْ﴾»^(٧).

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: «ما ضرب عبدٌ بعقوبة اعظم من

(١) إغاثة اللفهان، ابن القيم (١/٢٠، ١٢).

(٢) سورة محمد، الآية: ٢٩.

(٣) صيد الخاطر، ابن الجوزي (٤٧٩).

(٤) سورة الطارق، الآية: ٩.

(٥) سورة الحجر، الآية: ٣.

(٦) تفسير القرطبي (٣/١٠).

(٧) مجموع الفتاوى (٤١/١٠).

قسوة القلب»^(١).

وقال عمر بن صالح - رحمه الله - : سألتُ أبا عبد الله يعني الإمام أحمد - رحمه الله - : بم تلين القلوب ؟ فأبصر إليّ ثم أبصر إليّ ثم أطرق إليّ ساعة فقال : « بأي شيء ؟! بأكل الحلال »^(٢).

وقال عليه السلام : **(ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت، صلح الجسد كله، وإذا فسدت، فسد الجسد كله، ألا وهي القلب)**^(٣).

وقال ابن رجب - رحمه الله - : « إن الأصل في التقوى والفجور هي القلوب فإذا برّ القلب واتقى برّ الجوارح وإذا فجر القلب فجرت الجوارح كما قال النبي ﷺ التقوى هاهنا وأشار إلى صدره »^(٤).

فالقلب ملك الأعضاء قال بعض السلف رحمهم الله : « إن الله جل جلاله جعل قوة المؤمن في قلبه ولم يجعلها في أعضائه، ألا ترون أن الشيخ يكون ضعيفاً يصوم الهواجر ويقوم الليل والشاب يعجز عن ذلك »^(٥).

وقال تعالى : **﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَرَ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبَ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾**^(٦).

وقال تعالى : **﴿ وَأَمَّا نُمُودُ فَبِهِدْيَتِهِمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى ﴾**^(٧).

(١) الزهد للإمام أحمد ص ٥٣٦.

(٢) طبقات الحنابلة ١/ ٢١٩.

(٣) أخرجه البخاري، كتاب الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه برقم: ٥٢، ١/ ٢٠، وأخرجه مسلم، كتاب المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات برقم ١٥٩٩، ٣/ ١٢١٩.

(٤) جامع العلوم والحكم ١/ ٢٢٩.

(٥) الحلية، لأبي نعيم (١٠/ ١٢٤).

(٦) سورة الحج، الآية: ٤٦.

(٧) سورة فصلت، الآية: ١٧.

وقال يحيى بن معاذ - رحمه الله - : «سقم الجسد بالأوجاع، وسقم القلوب بالذنوب، فكما لا يجد الجسد لذة الطعام عند سقمه، فكذلك القلب لا يجد حلاوة العبادة مع الذنوب»^(١).

وقال إبراهيم الخوَّاص - رحمه الله - : «دواء القلب خمسة أشياء قراءة القرآن بالتدبر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين»^(٢).

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله - : «شيئان يُقسِّيَان القلب كثرة الكلام وكثرة الأكل»^(٣).

وقال جعفر بن محمد - رحمه الله - : «إياكم والخصومة في الدين، فإنها تشغل القلب وتورث النفاق»^(٤).

وقال الإمام مالك - رحمه الله - : «المراء في العلم يُقسِّي القلب ويورث الضغن»^(٥).

وقال ابن القيم - رحمه الله - عن القلب : «ومن علامات صحته: أنه إذا فاته ورده وجد لفواته ألماً أعظم من تألم الحريص بفوات ماله وفقده»^(٦).



(١) ذم الهوى ص ٦٨

(٢) ذم الهوى ص ٧٠

(٣) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء ص ٤٣

(٤) الإبانة ٢ / ٥٢٥، ٥٢٦.

(٥) الإبانة ٢ / ٥٣٠.

(٦) إغاثة اللهفان (١ / ١٤٧).

٦ - نظرة حول عظمة النفس

النفس الإنسانية هي المدبّرة للبدن، قال تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ لِي نَفْسِي﴾^(٢). والبدن تبع للنفس^(٣) التي تكون بها حياته، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَقَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تُمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾^(٤).

وهي سرٌّ من أسرار الله في خلقه لم يطلع على حقيقتها وكُنْهها أحد، ونظراً لعظمتها فقد أقسم الله بها في القرآن الكريم، والله سبحانه وتعالى لا يقسم إلا بعظيم، حيث قرنها بمخلوقاته العظيمة، قال تعالى: ﴿لَخَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾^(٥)، فكانت النفس سابع سبعة مخلوقاته العظيمة التي أقسم بها سبحانه في سورة (الشمس)، قال تعالى: ﴿وَالشَّمْسُ وَضُحَاهَا ① وَالْقَمَرُ إِذَا تَلَّهَا ② وَالنَّهَارُ إِذَا جَلَّهَا ③ وَاللَّيْلُ إِذَا يَغْشَاهَا ④ وَالسَّمَاءُ وَمَا بَنَاهَا ⑤ وَالْأَرْضُ وَمَا طَحَاهَا ⑥ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا ⑦﴾^(٦) فهي مخلوق عظيم خفيٌّ محكم ولا يمكن رؤيتها بالعين المجردة، وإنما نرى

(١) سورة المائدة، ٣٠.

(٢) سورة طه، ٩٦.

(٣) ويصفها أبو الطيب المتنبي قائلاً: وإذا كانت النفوس كباراً ... تعبت في مرادها الأجسام.

(٤) سورة الزمر، ٤٢.

(٥) سورة غافر، ٥٧.

(٦) سورة الشمس، الآيات: ١ - ٧.

آثارها الدالة على وجودها، ولم ولن يتوصل الطب بأكمله إلى الكشف عن حقيقتها مهما بلغت تلك الأجهزة والتقنية الحديثة، ولهذا نلاحظ عجز الطب النفسي في الفحص المخبري^(١) وغيره في الكشف عن خصائصها الغيبية.

قال تعالى: ﴿صُنِعَ اللَّهُ الَّذِي أَنْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ﴾^(٢).

وهذه النفس لها صفات قائمة بها.

يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - -: «والمقصود أن الروح إذا كانت موجودة في أبداننا وهي حيّة، وعالمة، وقادرة، وسميعة، وبصيرة، وتصعد، وتنزل، وتذهب، وتجيء^(٣)، ونحو ذلك من الصفات، والعقول قاصرة عن تكييفها وتحديداتها؛ لأنهم لم يشاهدوا لها نظيراً»^(٤).

(١) انظر: (ص ٣٨).

(٢) سورة النمل، الآية: ٨٨.

(٣) قلت: أما صفتها حيّة كما تقدم في صفحة (٥٦) في قوله تعالى: ﴿وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ [الزمر: ٤٢]، وكذلك عالمة، كما قال تعالى مصوراً حال قوم إبراهيم عليه السلام بعدما حطّم أصنامهم: ﴿فَسَاءَ لَوْ هُمْ إِنْ كَانُوا يَنْظُرُونَ﴾ ﴿فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ فَقَالُوا إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الأنبياء: ٦٣]، وقادرة كما تقدم في (ص ٥٦) أي: المدبرة للبدن، كما في قوله تعالى: ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُ نَفْسُهُ قَتْلَ أَخِيهِ﴾ [المائدة: ٢٠]، وسميعة كما في قوله تعالى: ﴿وَقُلْ لَهُمْ فِي أَنْفُسِهِمْ قَوْلًا بَلِيغًا﴾ [النساء: ٦٣]، وبصيرة كما في قوله تعالى: ﴿فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا﴾ [الشمس: ٩١]، وقوله تعالى: ﴿بَلِ الْإِنْسَانُ عَلَى نَفْسِهِ بَصِيرَةٌ﴾ [القيامة: ١٤٤]، وتصعد وتنزل وتذهب وتجيء كما تقدم في (ص ٥٦) في قوله تعالى: ﴿فِيْمَسِيكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلَ الْأَخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الزمر: ٤٢].

(٤) الرسالة التدمرية، ص ٥٦، تحقيق د. محمد السعوي.

والشيء إنما تدرك حقيقته إما بمشاهدته أو بمشاهدة نظيره، أو بالخبر الصادق عنه، وربما سأل سائل فيقول: كيف أدرك صفات النفس وهي من الأمور الغائبة عنا؟

فالجواب: أن شيخ الإسلام أزال هذا الإشكال في موضع آخر، يقول -رحمه الله -: «وإذا عُرِفَ أن النائم يكون نائماً وتقعده روحه وتقوم وتمشي وتذهب وتتكلم وتفعل أفعالاً وأموراً بباطن بدنه مع روحه، ويحصل لبدنه وروحه بها نعيم وعذاب مع أن جسده مضطجع، وعينه مغمضتان، وفمه مطبق، وأعضائه ساكنة، وقد يتحرك بدنه لقوة الأمر في باطنه، كان هذا مما يعتبر به أمر الميت في قبره، فإن روحه تقعد وتجلس وتُسأل وتنعم وتعذب وتصيح وذلك متصل ببدنه، مع كونه مضطجع في قبره، كما أن قعود بدن النائم لما يراه ليس لازماً لكل نائم بل هو بحسب قوة الأمر...»^(١).

وقال الإمام ابن القيم -رحمه الله -: «إن الله سبحانه وتعالى جعل الدور ثلاثاً، دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار، وجعل لكل دار أحكاماً تختص بها، وركب هذا الإنسان من بدن ونفس، وجعل أحكام دار الدنيا على الأبدان والأرواح تبعاً لها، ولهذا جعل الأحكام الشرعية مرتبة على ما يظهر من حركات اللسان والجوارح وإن أضمرت النفوس خلافه. وجعل أحكام البرزخ على الأرواح والأبدان تبعاً لها، فكما تبعت

(١) مجموع الفتاوى ٥/٥٢٥، ٥٢٦.

الأرواح الأبدان في أحكام الدنيا فتألمت بألمها والتذت براحتها، وكانت هي التي باشرت أسباب النعيم والعذاب، تبعت الأبدان الأرواح في نعيمها وعذابها، والأرواح حينئذ هي التي تباشر العذاب والنعيم.

فالأبدان هنا ظاهرة، والأرواح خفية، والأبدان كالقبور لها، والأرواح هناك ظاهرة والأبدان خفية في قبورها، تجري أحكام البرزخ على الأرواح فتسري إلى أبدانها نعيماً أو عذاباً، كما جرى أحكام الدنيا على الأبدان فتسري إلى أرواحها نعيماً أو عذاباً، فأحط بهذا الموضع علماً وأعرفه كما ينبغي يزيل عنك كل إشكال يورد عليك من داخل وخارج.

وقد أَرانا الله سبحانه بلطفه ورحمته وهدايته من ذلك أنموذجاً في الدنيا من حال النائم، فإن ما ينعم به أو يعذب في نومه يجري على روحه أصلاً والبدن تبع له، وقد يقوى حتى يؤثر في البدن تأثيراً مشاهداً، فيرى النائم في نومه أنه ضرب فيصبح وأثر الضرب في جسمه^(١)، ويرى أنه قد أكل أو شرب فيستقيظ وهو يجد أثر الطعام والشراب في فيه ويذهب عنه الجوع والظما.

وأعجب من ذلك أنك ترى النائم يقوم في نومه ويضرب ويبطش ويدافع كأنه يقظان، وهو نائم لا شعور له بشيء من ذلك، وذلك أن

(١) فقد أزال ابن القيم - رحمه الله - هذا الإشكال الذي وقع فيه بعض المراجعين في المقرأة حينما يتصورون أنهم مصابون بتلبس الجن أو السحر على حد قولهم، وذلك في أثناء إفاقتهم من النوم، فيرى أحدهم أثر الضرب على جسده، وقد رأيت أثر هذا الضرب على أجساد بعضهم حينما ظهر بصورة كدمات مختلفة الألوان والأحجام.

الحكم لما جرى على الروح استعانت بالبدن من خارجه، ولو دخلت فيه لاستيقظ وأحسَّ، فإذا كانت الروح تتألم وتتنعَّم ويصل ذلك إلى بدنِها بطريق الاستتباع، فهكذا في البرزخ بل أعظم، فإن تجرّد الروح هنالك أكمل وأقوى، وهي متعلقة ببدنها لم تنقطع عنه كل الانقطاع، فإذا كان يوم حشر الأجساد وقيام الناس من قبورهم صار الحكم والنعيم والعذاب على الأرواح والأجساد ظاهراً بادياً أصلاً.

ومتى أعطيت هذا الموضع حقه، تبين لك أن ما أخبر به الرسول ﷺ من عذاب القبر ونيعمه، وضيقه وسعته، وضمُّه، وكونه حفرة من حفر النار أو روضة من رياض الجنة مطابق للعقل، وأنه حق لا مِرية فيه، وإن من أشكل عليه ذلك فمن سوء فهمه وقلة علمه أتى كما قيل:

وَكَمْ مِنْ عَائِبٍ قَوْلًا صَحِيحًا وَآفَتْهُ مِنَ الْفَهْمِ السَّقِيمِ

وأعجب من ذلك أنك تجد النائم في فراش واحد، وهذا روحه في النعيم ويستيقظ وأثر النعيم على بدنه، وهذا روحه في العذاب ويستيقظ وأثر العذاب على بدنه، وليس عند أحدهما خبر بما عند الآخر، فأمر البرزخ أعجب من ذلك»^(١).

قال ابن الحزم - رحمه الله - : «إذا نام المرء خرج عن الدنيا ونسي كل سرور وكل حزن فلو رتب نفسه في يقظته على ذلك أيضاً لسعد السعادة

(١) الروح لابن القيم ص (٨١ - ٨٢).

التامة»^(١).

وهذه النفس الإنسانية التي يقوم بها البدن مخلوق ضعيف كما قال تعالى: ﴿وَخُلِقَ الْإِنْسَانُ ضَعِيفًا﴾^(٢).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «ولذا لا تثبت على حال واحدة، فهي كثيرة التقلب والتلون، وهذا من أعظم آيات الله فإنها مخلوق من مخلوقاته تتقلب وتتلون في الساعة الواحدة فضلاً عن اليوم والشهر والعام والعمر ألواناً متلونة، فتذكر وتغفل، وتقبل وتعرض، وتلطف وتكشف، وتنيب، وتجفو، وتحب وتبغض، وتفرح وتحزن، وترضى وتغضب، وتطيع وتتقي وتفجر إلى أضعاف أضعاف ذلك من حالتها وتلونها فهي تتلون في كل وقت ألواناً كثيرة»^(٣).

قلت: بسبب هذا يطرأ عليها من العلل والأمراض والأسقام والاضطرابات النفسية مما تحتاج إليه من الدواء الذي يزيل عنها ما طرأ عليها بإذن الله، والله سبحانه ما أنزل داء إلا وله دواء.

وأعظم دواء وأنفعه لعلاج النفس هو كلام الله سبحانه وتعالى، فهو خالقها وموجدتها من العدم، وهو مدبرها والعليم بها كما قال تعالى: ﴿هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ الْأَرْضِ وَإِذْ أَنْتُمْ بِطُورِ أُمَمَةٍ كُنتُمْ﴾^(٤).

(١) مداواة النفوس ص (٢٦).

(٢) سورة النساء: ٢٨.

(٣) شرح حديث النزول، لشيخ الإسلام ابن تيمية (١/ ١٥٠).

(٤) سورة النجم: ٣٢.

ومن الأعراض التي تعترى النفس حمى الأرواح.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «يذكر عن الشافعي رحمه الله أنه قال: ما جلس إلى جانبي ثقیل إلا وجدت الجانب الذي هو فيه أنزل من الجانب الآخر، ورأيت يوماً عند شيخنا - قدس الله روحه - (يعني بذلك: شيخ الإسلام رحمه الله) رجلاً من هذا الضرب والشيخ يحمله وقد ضعفت القوى عن حمله، فالتفت إليّ وقال: مجالسة الثقیل حمى الربّع، ثم قال: لكن قد أدمنت أرواحنا على الحمى فصارت لها عادة، أو كما قال، وبالجملّة فمخالطة كل مخالف حمى للروح فعرضيّة ولازمة، ومن نكد الدنيا على العبد أن يتلى بواحد من هذا الضرب وليس له بد من معاشرته ومخالطته، فليعاشره بالمعروف حتى يجعل الله له فرجاً ومخرجاً»^(١).

ومن أراد زيادة علم واطلاع على أحوال الروح وما يتعلق بها فعليه بكتاب الروح، للإمام ابن القيم فإنه كتاب نفيس جداً، قال عنه السّفاريني - رحمه الله - : «وكتابه هذا من أجل ما رأينا في هذا الفن، بل هو أجلّها وأعظمها، ولا ينبغي لمن له رغبة في العلوم أن يجهره ولا شيئاً منه، فعليك به فإنه مفيد جداً»^(٢).

هذا وأثناء القراءة والاطلاع على مراجع البحث وقفت على كتاب

(١) بدائع الفوائد لابن القيم (٢/ ٢٧٥).

(٢) مقدمة كتاب البحور الزاخرة في علوم الآخرة للشيخ محمد السّفاريني رحمه الله.

بعنوان: الأحكام الفقهية للأمراض النفسية، للدكتور: أنس بن عوف وهو كتاب نفيس ومفيد، لكن لما ذكر (النفس) توصل إلى نتيجة قال فيها:

«يمكننا أن نقول أن النفس التي هي موضوع الطب النفسي ليست هي الروح، وإن كانت مما سمّته العرب نفساً، ذلك أن الروح لا سبيل لدراستها ولا إدراك كُنْهها فضلاً عن ادعاء معالجتها، والله يقول:

﴿وَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾»^{(١)(٢)}.

وهنا على هذا الكلام وقفات عدّة:

الوقفّة الأولى: أن النصوص من الكتاب والسنة النبويّة (قد دلت على أن الروح والنفس شيء واحد فهما لفظان مترادفان يدلان على مسمّى واحد وهو النفس التي تكون في البدن، لكن غالباً ما تسمّى نفساً إذا كانت متصلة بالبدن، وإذا كانت خارج البدن فتسمّى روحاً غالباً)^(٣).

قال ابن القيم -رحمه الله-: «أما الروح التي تتوفى وتقبض فهي روح واحدة، وهي النفس.

وأما ما يؤيد الله به أوليائه من الروح فهي روح أخرى غير هذه الروح؛ كما قال تعالى: ﴿أَوَلَيْكَ كِتَابٌ فِي قُلُوبِهِمْ لَا يُؤْمِنُونَ بِرُوحٍ مِنْهُ﴾^(٤).

(١) سورة الإسراء: ٨٥.

(٢) الأحكام الفقهية للأمراض النفسية وعلاجها، د. أنس بن عوف، ص ٤٩.

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٤٤٤.

(٤) سورة المجادلة: ٢٢.

وكذلك الروح التي أيد بها روحه المسيح ابن مريم، كما قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللَّهُ يٰعِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ اذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَالِدَتِكَ إِذْ أَيَّدْتُكَ بِرُوحِ الْقُدُسِ﴾^(١)، وكذلك الروح التي يلقيها على من يشاء من عباده هي غير الروح التي في البدن»^(٢).

الوقفة الثانية: أن الروح والنفس من المخلوقات الغائبة عن مشاهدتنا، ولا يمكن لأحد رؤيتها والوقوف على حقيقتها؛ لأنها سرٌّ من أسرار الله في خلقه، لكن نعرفها من خلال صفاتها وآثارها على ضوء ما جاءت به النصوص، فالإيمان بالنفس وحقيقتها داخل في الإيمان بالغيب.

الوقفة الثالثة: قال الدكتور: (أن النفس التي هي موضوع الطب النفسي ليست هي الروح)، وهذا نفي ليس بصحيح، ويلزمه الدليل على هذا النفي، وفي الوقت نفسه يلزمه البديل، وأنّي لأحد ذلك.

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم رحمه الله في إثبات الروح ووصفها: «وقد تظاهرت عليها أدلة القرآن والسنة والآثار والاعتبار والعقل على أنها ذات قائمة بنفسها تصعد وتنزل وتتصل وتنفصل، وتخرج، وتذهب وتجيء... وعلى هذا أكثر من مائة دليل قد ذكرناها في كتابنا الكبير في معرفة (الروح والنفس) وبيننا بطلان ما خالف هذا القول

(١) سورة المائدة: ١١٠.

(٢) الروح: ٢٦٩.

من وجوه كثيرة، وإن من قال غيره لم يعرف نفسه»^(١).

الوقفة الرابعة: ذكر الدكتور أن الروح سمّتها العرب نفساً، والجواب أن الذي سمّى الروح نفساً هو خالقها وموجدتها، وأقسم بها، قال تعالى: ﴿وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا﴾^(٢)، وأقسم بها ووصفها بأنها لَوَّامة. وقال سبحانه: ﴿وَلَا أُقِيمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ﴾^(٣). قال الحسن البصري - رحمه الله -: «هي النفس المؤمنة، إن المؤمن - والله - ما تراه إلا يلوم نفسه، ما أردت بكلامي؟ ما أردت بأكلتي؟ وإن الفاجر يمضي قدماً قدماً، ولا يحاسب نفسه ولا يعاتبها»^(٤). وقال ابن الجزري - رحمه الله -: «هي التي تلوم نفسها على فعل الذنوب أو التقصير في الطاعات، فإن النفوس على ثلاثة أنواع: فخيرها النفس المطمئنة، وشرها النفس الأمّارة بالسوء، وبينها النفس اللوامة»^(٥) وخاطبها في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٦). ووصفها بأنها أمّارة بالسوء، فقال: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا

مَارْجَمَرِيَّ﴾^(٧).

(١) الروح، المسألة الخامسة، ص ٤٩.

(٢) سورة الشمس: ٧.

(٣) سورة القيامة: ٢.

(٤) مدارج السالكين: ٣٣١.

(٥) تفسير ابن الجزري التسهيل لعلوم التنزيل الجزء الثاني ص ٤٣٢.

(٦) سورة الفجر: ٢٧.

(٧) سورة يوسف: ٥٣.

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: «والنفس في القرآن تطلق على الذات بجملتها، كقوله تعالى: ﴿فَسَلِّمُوا عَلَيَّ أَنْفُسَكُمْ﴾^(١) وقوله: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٢) وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ بِجَدِلٍ عَنْ نَفْسِهَا﴾^(٣) وقوله تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾^(٤).

وتطلق على الروح وحدها كقوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّفْسُ الْمُطْمَئِنَّةُ﴾^(٥)، وقوله تعالى: ﴿أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمْ﴾^(٦)، وقوله تعالى: ﴿وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ﴾^(٧)، وقوله تعالى: ﴿إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ﴾^(٨).

وأما الروح فلا تطلق على البدن لا بانفراده ولا مع النفس، وتطلق الروح على القرآن الذي أوحاه الله تعالى إلى رسوله، قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(٩).

وعلى الوحي الذي يوحىه إلى أنبيائه ورسله، قال تعالى: ﴿يُلْقِي الرُّوحَ

(١) سورة النور: ٦١.

(٢) سورة النساء: ٢٩.

(٣) سورة النحل: ١١١.

(٤) سورة المدثر: ٣٨.

(٥) سورة الفجر: ٢٧.

(٦) سورة الأنعام: ٩٣.

(٧) سورة النازعات: ٤٠.

(٨) سورة يوسف: ٥٣.

(٩) سورة الشورى: ٥٢.

مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ لِنُذِرَ يَوْمَ التَّلَاقِ ﴿١﴾ وقال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ ^(٢). وسمى ذلك روحاً لما يحصل به من الحياة النافعة، فإن الحياة بدونها لا تنفع صاحبها ألبتة، بل حياة الحيوان البهيم خير منها وأسلم عاقبة ^(٣).

الوقفه الخامسة: يقول الدكتور: (إن الروح لا سبيل لدراستها)، والجواب أن هذا النفي غير صحيح بل هي مدروسة على ضوء ما جاء في الكتاب والسنة، وهناك مؤلفات ودراسات عنها قديماً وحديثاً، وأشهرها وأجمعها كتاب الإمام ابن القيم - رحمه الله - «الروح» وهو مطبوع ومحقق وغيره كثير، ومنها (الروح في القرآن)، تأليف: محمد نبهان الحباز، ومنها: (النفس البشرية كما تحدث عنها القرآن) للشيخ الدكتور: محمد خليل محمد.

الوقفه السادسة: يقول الدكتور عن الروح: «ولا سبيل لإدراك كُنْهَها»، وهذا قول حق، فإننا لا نعلم كُنْهَها ولا حقيقتها، لأن الشيء إنما يدرك كُنْهَها، بواحد من ثلاثة:

أ - إما برؤيته، ونحن لم نر الروح ولا ادعى ذلك أحد.

ب - إما برؤية المثل والروح ليس لها مثل في الخارج.

(١) سورة غافر: ١٥.

(٢) النحل: ٢.

(٣) الروح لابن القيم ص ٢٦٦، ٢٦٧.

ج - وإما بالخبر، والله سبحانه أخبرنا بوجود الروح ولم يخبرنا بكيفيةها وحقيقتها، وأخبرنا بصفاتها ولم يخبرنا بكُنْه تلك الصفات، قال تعالى: ﴿سُبْحَنَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا﴾^(١).

الوقفه السابعة: يرى الدكتور أنه لا يمكن معالجة النفس والروح، وهذه دعوى غير صحيحة بل تعالج بأعظم علاج وأنفع دواء، وهو كلام ربها وخالقها وموجدتها من العدم، قال تعالى: ﴿أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾^(٢).

وهكذا تعالج باستعمال الأدوية الحسيّة المباحة، قال النبي ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ الدَّاءَ وَالِدَّاءَ، وَجَعَلَ لِكُلِّ دَاءٍ دَوَاءً فَتَدَاوُوا وَلَا تَدَاوُوا بِحَرَامٍ»^(٣).

الوقفه الثامنة: ختم الدكتور كلامه على جميع ما نفاه من حال النفس والروح مستشهداً بقول الله تعالى: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٤)، وكأنه - وفقه الله - لا يرى الخوض في الروح استدلالاً بهذه الآية.

والجواب عن هذا كما قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «ليس في الكتاب والسنة أن المسلمين مُهْوَا أن يتكلموا في الروح بما دل عليه

(١) سورة البقرة: ٣٢.

(٢) سورة الملك: ١٤.

(٣) رواه الإمام أحمد في مسنده ٢١٥ / ١، وصححه ابن حبان (٦٢١٣).

(٤) سورة الإسراء: ٨٥.

الكتاب والسنة لا في ذاتها ولا في صفاتها، أما الكلام بغير علم فذاك محرم في كل شيء»^(١).

وأيضاً: أن الروح المذكورة في هذه الآية للعلماء في معناها أقوال كثيرة يذكرها المفسرون، وقد تتبّع هذه المعاني مؤلف «الروح في القرآن» فأوصلها إلى أربعين معنى^(٢).

«وإذا كان الراجح في معنى الروح في الآية: ﴿وَسْئَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٣) أنها التي بها الحياة، فليس في الآية نهي عن إجابة من سأل عنها، ومعنى قوله تعالى: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي﴾^(٤) أي أنها من جملة ما أمر الله به في الأمر الكوني القدري، وكل مخلوق فهو كائن بأمر الله الكوني القدري»^(٥).

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾^(٦).

الوقف التاسع: إذا كان الدكتور يرى أن الروح لا سبيل إلى علاجها على حدّ علمه، فإني أحيله على كلام نفيس للإمام ابن القيم - رحمه الله - والعلماء هم ورثة الأنبياء، فإنه ذكر عشرين أمراً تتعلق بالطبيب الحاذق

(١) مجموع الفتاوى ٤/ ٢٣١.

(٢) الروح في القرآن، للشيخ: محمد نبهان الحجاز، ص ٤٦ - ٤٩.

(٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٤) سورة الإسراء: ٨٥.

(٥) شرح العقيدة التدمرية، ص ٢١٢، للشيخ عبدالرحمن البراك.

(٦) سورة يس: ٨٢.

الماهر، ويهمننا هنا الأمر السابع عشر، يقول ابن القيم رحمه الله في وصف الطبيب الحاذق: أن يكون له خبرةٌ باعتلال القلوب والأرواح وأدويتها، وذلك أصلٌ عظيمٌ في علاج الأبدان، فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمرٌ مشهودٌ، والطبيب إذا كان عارفاً بأمراض القلب والروح وعلاجهما، كان هو الطبيب الكامل، والذي لا خبرة له بذلك وإن كان حاذقاً في علاج الطبيعة وأحوال البدن نصف طبيبٍ، وكل طبيبٍ لا يداوي العليل، بتفقد قلبه وصلاحه، وتقوية روحه وقواه بالصدقة، وفعل الخير، والإحسان، والإقبال على الله والدار الآخرة، فليس بطبيبٍ، بل متطببٌ قاصرٌ، ومن أعظم علاجات المرض فعل الخير والإحسان والذكر والدعاء، والتضرُّع والابتهاال إلى الله، والتوبة^(١)، ولهذه الأمور تأثيرٌ في دفع العلل، وحصول الشفاء أعظم من الأدوية الطبيعية، ولكن بحسب استعداد النفس وقبولها وعقيدتها في ذلك ونفعه، وقد تقدم ذكره^(٢).



(١) قد ذكرت شيئاً من هذا تحت عنوان: «أثر الدعاء والأذكار» سيأتي ص ٢٩٣.

(٢) انظر: ص ٣١.

٧ - نظرة حول الاضطرابات النفسية

جديرٌ بكل إنسان حزين أن يستعين بالله - عز وجل - في التصدي لكل الأزمات، ولا سيما الأزمات النفسية، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ﴾^(١)، فالدنيا جبلت على كدر، قال تعالى: ﴿أَحْسِبَ النَّاسُ أَنْ يُتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾^(٢).

وقد وصف الله سبحانه وتعالى حال يعقوب - عليه السلام - حينما أشفق عليه أبناؤه من الحزن على فراق يوسف - عليه السلام -: ﴿قَالُوا تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْهَالِكِينَ﴾^(٣)، قوله: (حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا)، يقول: حتى تكون دَنَفَ الجسم مخبول العقل^(٤).

قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ شَدَّادٍ، «سَمِعْتُ نَشِيجَ^(٥) عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَأَنَا فِي آخِرِ الصُّفُوفِ يَقْرَأُ: ﴿إِنَّمَا أَشْكُوا بَنِي وَحُرْنِي إِلَى اللَّهِ﴾»^(٦) ^(٧).

(١) سورة ق: (آية ١٦).

(٢) سورة العنكبوت: ٢.

(٣) سورة يوسف: (آية ٨٥).

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر: (١٦ / ٢٢١).

(٥) النشيج: بكاء أو تنهد بأنفاس سريعة.

(٦) سورة يوسف: (آية: ٨٦).

(٧) صحيح البخاري: (١ / ١٤٤).

وقد يؤثر الحزن على الجوارح^(١) كما حصل ليعقوب عليه الصلاة والسلام أسفاً على فقد يوسف عليه الصلاة والسلام، قال تعالى:

﴿وَأَبْيَضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُزْنِ فَهُوَ كَظِيمٌ﴾^(٢).

وكما وصف الله سبحانه وتعالى حال موسى عليه السلام: ﴿وَيَضِيقُ صَدْرِي وَلَا يَنْطَلِقُ لِسَانِي﴾^(٣).

قال الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في تفسيره: «وضيق الصدر: عدم انشراحه وانبساطه، وهذا أمر فطري أن الإنسان إذا خُولِف فسوف يضيق صدره، كما كان الرسول صلى الله عليه وسلم يضيق صدره، ولكن الله تعالى يسلي رسله، لئلا تضيق صدورهم، ولا يحزنوا على هؤلاء المكذبين، لأن لهم يوماً يحاسبهم الله تعالى فيه، والرسول يبلغون فقط ويقولون: إن ضيق الصدر من أسباب حدوث الضغط، ولهذا ينصحون المصابين بالضغط أن يتجنبوا الغضب، وما يحزنهم ويضيق صدورهم، فهذا في الحقيقة هو الواقع، لأن الضغط يستلزم ضيق الصدر، وضيق التنفس، وضيق الأرض على الإنسان، فإذا عرّض نفسه لما يفعل به ذلك ازداد عليه الضغط، فإذا عوّد نفسه الانبساط والانشراح وعدم الاكتراث في النوازل، فإنه يحصل خير كثير، ويبقى دائماً في سرور، لاسيما إذا كان محتسباً ومؤمناً

(١) كما قال ابن القيم رحمه الله: (فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمر مشهود)

انظر: (ص ٢٦). وكذلك علاقة الخوف بفساد الجوارح. انظر (ص ٢٦٨).

(٢) سورة يوسف: آية ٨٤.

(٣) سورة الشعراء: آية ١٣.

بالقدر، قال المفسر رحمه الله: (ولا ينطلق لساني) بأداء الرسالة للعقدة التي فيه، وهذه العقدة معنوية وليست حسية^(١).

ومن أعظم أسباب الشفاء بعد فعل الأسباب المشروعة؛ التوكل على الله والإيمان بعقيدة القضاء والقدر والابتلاء والرجاء فيما عند الله سبحانه وتعالى.

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٢).

في هذه الآية الكريمة تسلية لكل إنسان في هذه الحياة الدنيا فإنها جُبلت على كَدَر.

وللإمام القرطبي - رحمه الله - كلام مفيد وتعليق نفيس على هذه الآية الكريمة، يقول - رحمه الله -: قال علماءنا: أول ما يكابد قطع سرته، ثم إذا قمت قماطاً^(٣)، وشُدَّ رباطاً، يكابد الضيق والتعب، ثم يكابد الإنسان الارتضاع، ولو فاته لضاع، ثم يكابد نبت أسنانه، وتحرك لسانه، ثم يكابد الفطام، الذي هو أشد من اللطام، ثم يكابد الختان، والأوجاع والأحزان، ثم يكابد المعلم وصولته، والمؤدب وسياسته، والأستاذ وهيبته، ثم يكابد شغل التزويج والتعجيل فيه، ثم يكابد شغل الأولاد، والخدم والأجناد، ثم يكابد شغل الدور، وبناء القصور، ثم الكبر والهرم، وضعف الركبة والقدم، في مصائب يكثر تعدادها، ونوائب يطول إيرادها، من صداع

(١) تفسير سورة الشعراء لابن عثيمين ص ٤٤ - ٤٥.

(٢) سورة البلد، آية ٢٤.

(٣) ويسمى أيضاً المقاط وهو حزام يربط به على الطفل في المهد حين ولادته قرابة العام.

الرأس، ووجع الأضراس، ورمد العين، وغم الدين، ووجع السن، وألم الأذن، ويكابد محناً في المال والنفس، مثل الضرب والحبس، ولا يمضي عليه يومٌ إلا يقاسي فيه شدةً، ولا يكابد إلا مشقةً، ثم الموت بعد ذلك كله، ثم مسألة الملك، وضغطة القبر وظلمته، ثم البعث والعرض على الله، إلى أن يستقر به القرار، إما في الجنة وإما في النار، قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(١)، فلو كان الأمر إليه لما اختار هذه الشدائد، ودلّ هذا على أن له خالقاً دبره، وقضى عليه بهذه الأحوال، فليمتثل أمره^(٢).

قلت: وأعظم مكابدة، مكابدة المسلم نفسه في هذه الحياة على الاستقامة على دين الله وشرعه بامثال أوامره، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه لرسول الله ﷺ: أراك قد شبت، قال: «شيبتي هود، والواقعة، وعم يتساءلون، وإذا الشمس كورت»^(٣).

وكذا يكابد نفسه بالحذر من الوقوع في المعاصي، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ

خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَىٰ ۖ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَىٰ﴾^(٤).

(١) سورة البلد، الآية: ٤.

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/٦٢).

(٣) أخرجه الحاكم في المستدرک برقم ٣٣٥٦، وهو صحيح على شرط البخاري.

(٤) سورة النازعات: ٤٠، ٤١.

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَٰئِكَ كَانَ

سَعْيُهُمْ مَّشْكُورًا﴾^(١). أي شكر الله لهم حسناتهم وتجاوز عن سيئاتهم^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَتُودُّوْا أَنْ تَلَٰكُمُ الْجَنَّةُ أَوْ رِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ﴾^(٤).

وقد أطلت التعليق على هذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى:

﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾^(٥)، لأنها في الحقيقة منهج وسلوك في حياة كل

إنسان، وفيها تسلية له في هذه الحياة الدنيا؛ ولكن المسلم يقابل حياته بالصبر والاحتساب وحسن الظن بالله، والرجاء فيما عند الله بالعمل الصالح.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «لولا محن الدنيا ومصائبها لأصاب العبد

من أدواء الكبر والعجب والفرعنة وقسوة القلب ما هو سبب هلاكه عاجلاً وآجلاً محن أرحم الراحمين أن يتفقده في الأحيان بأنواع من أدوية المصائب تكون حمية له من هذه الأدواء وحفظاً لصحة عبوديته»^(٦).

(١) سورة الإسراء: آية ١٩.

(٢) تفسير الطبري ١٧ / ٤١٠

(٣) سورة الأعراف: آية ٤٣.

(٤) سورة الرحمن: آية ٤٦.

(٥) سورة البلد، آية ٢٤.

(٦) زاد المعاد الجزء الرابع (ص ١٧٩).

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾^(١)، وفي هذه الآية بشارة لكل مسلم صابر، فهنيئاً للصابرين والصابرات.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «وأكثر اسقام البدن والقلب إنما تنشأ من عدم الصبر، وما حفظت القلوب والأبدان والأرواح بمثل الصبر، فهو الفاروق الأكبر، والترياق الأعظم ولو لم يكن فيه إلا معية الله مع أهله»^(٢). والإنسان إذا لم يكابد حياته بهذه الأمور الحميدة؛ حصل له من الهم والقلق واليأس والاضطراب، وغير ذلك مما مذكورٌ بعضها في ثنايا هذا الكتاب.

فلا بد أن نعلم أن (الوقاية خير من العلاج والدفع أسهل من الرفع)^(٣) والشرعية جعلت أسباباً تقي الإنسان بإذن الله من حدة الأزمات النفسية.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَنْ يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ اللَّهُ قَلْبَهُ، وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾^(٤).

قال علقمة: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيسلم ذلك ويرضى»^(٥).

(١) سورة البقرة، آية ١٥٣.

(٢) زاد المعاد الجزء الرابع (ص ٣٠٥-٣٠٦).

(٣) الأشباه والنظائر، للسبكي (١/ ٣١٥).

(٤) سورة التغابن، آية ١١.

(٥) تفسير الطبري = جامع البيان (٢٣/ ٤٢١).

وقرأ عكرمة وعمرو بن دينار: يَهْدَأْ قَلْبُهُ، مهموزاً.

قال أبو الفتح: أي: يطمئن قلبه، كما قال: ﴿إِلَّا مَنْ أَكْثَرَهُ وَقَلْبُهُ

مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (١) (٢).

ونعيم القلب من أجل النعم التي أنعم الله بها على عباده الصالحين في

الدارين، قال ابن القيم - رحمه الله -: «ولا تحسب أن قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ

لَفِي نَعِيمٍ﴾ (١٣) وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ﴾ مقصور على نعيم الآخرة وجحيمها فقط! بل

في دورهم الثلاثة (٣)، وهل النعيم إلا نعيم القلب، وهل العذاب إلا عذاب

القلب! (٤)، وقال أحد الصالحين: «لو علم الملوك وأبناء الملوك، ما نحن

فيه من النعيم؛ لجالدونا عليه بأسيا فهم» (٥).

وأنجع دواء للنفس هو الرجوع إلى الله عز وجل، قال تعالى: ﴿وَعَلَى

الثَلَاثَةِ الَّذِينَ خَلَفُوا حَتَّىٰ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ

أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوا أَنَّا لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْهِ فَتُؤَاتَىٰ عَلَيْهِمْ لَيَتُوبُوا إِنَّ اللَّهَ هُوَ

النَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾ (٦).

(١) سورة النحل، آية: ١٠٦.

(٢) المحتسب في تبين وجوه القراءات ٣٢٣/٢.

(٣) أي: دار الدنيا، ودار البرزخ، ودار القرار.

(٤) الداء والدواء (٧٦) مختصراً.

(٥) حلية الأولياء، أبو نعيم الأصفهاني (٣٧٠/٧) مختصراً.

(٦) سورة التوبة، آية ١١٨.

وقال تعالى في حق نبينا محمد ﷺ وصاحبه أبي بكر الصديق رضي الله عنه:

﴿ثَاقِبَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْفَكَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّا اللَّهُ مَعَنَا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا﴾^(٥).

قال العلامة ابن القيم - رحمه الله -:

«ولذلك فسر بعضهم التوكل بحسن الظن بالله، فقال التوكل حسن

الظن بالله»^(٦).

وقال الحسن البصري - رحمه الله - : «إن أقواماً ألهتهم الأماني حتى

خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، ويقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي

وكذب، ولو أحسن الظن لأحسن العمل، وتلا قول الله تعالى: ﴿وَذَلِكُمْ

(١) سورة التوبة، آية ٤٠.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٣٩.

(٣) سورة الصافات، آية ٨٧.

(٤) سورة الطلاق، آية ٣.

(٥) سورة النساء، آية ٦.

(٦) مدارج السالكين (ص ٤٠٤).

طُغْمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرَدْنَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴿١﴾ (٢).

قلت: وصدقوا رحمهم الله، فإن حسن الظن بالله يكون مع العمل الصالح، وفعل الأسباب المشروعة، فعن جعفر بن عمرو بن أمية، عَنْ أَبِيهِ قَالَ: قَالَ رَجُلٌ لِلنَّبِيِّ ﷺ: - أُرْسِلُ نَاقَتِي وَأَتَوَكَّلُ؟. قَالَ: "اعْقِلْهَا وَتَوَكَّلْ" (٣).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَولَئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (٤).

فانظر يارعاك الله كيف أن هؤلاء المؤمنين فعلوا الأسباب المشروعة العظيمة من الإيمان بالله ثم الهجرة والجهاد في سبيل الله ومع هذا يرجون رحمة الله، فنسأل الله أن يعاملنا برحمته وكرمه وإحسانه، إنه سميع مجيب، آمين.

كما أن الوصايا الإلهية والنبوية لا يعدلها شيء قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ (١٧) ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ﴾ (١٨) ﴿وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ (٥)، وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ

(١) سورة فصلت، آية: ٢٣.

(٢) الجامع لأحكام القرآن، للقرطبي (٣٥٣/١٥).

(٣) رواه ابن حبان، حديث رقم ٢٥٤٩، (٨/٢٤٣)، وقال الشيخ الألباني في التعليقات الحسان

على صحيح ابن حبان: حسن لغيره، رقم: ٧٢٩، ١٥٠/٢.

(٤) سورة البقرة، آية: ٢١٨.

(٥) سورة الحجر: (الآيات ٩٧ - ٩٩).

جُمْلَةً وَنَجْدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا ﴿١﴾.

وعن ابن عباس - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: **(لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات، ورب الأرض ورب العرش الكريم)** ^(٢). وهذا الحديث العظيم من أذكار وأدعية الكرب، والغمّ والهمّ والحزن.

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: لما غزا رسول الله صلى الله عليه وسلم خيبر إلى أن قال: فقال لي: **(يا عبد الله بن قيس، ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة؟ فقلت: بلى يا رسول الله، قال: قل لا حول ولا قوة إلا بالله)** ^(٣).

وهذه كلمة عظيمة فيها ذكر وثناء على الله - عز وجل -، وفيها دعاء والتجاء، وهي كنز من كنوز الجنة يُستحبّ للمسلم أن يكثر من قولها في كل حين، بخلاف ما يعتقدُه العامة حينما يقولونها عند المصائب فقط، والله المستعان.

وقال ابن مسعود - رضي الله عنهما: «ما كرب نبي من الأنبياء إلا استغاث بالتسبيح فأكثرُوا من التسبيح في الرخاء والشدة» ^(٤).

(١) سورة الفرقان: (آية ٣٢).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الدعوات، باب: الدعاء عند الكرب، رقم ٦٣٤٦، ومسلم، كتاب: العلم، باب: دعاء الرب، رقم ٢٧٣٠.

(٣) متفق عليه: أخرجه البخاري، كتاب الدعوات، باب: الدعاء إذا علا عقبه، برقم (٦٣٨٤)، ومسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: استحباب خفض الصوت بالذكر، برقم (٢٧٠٤).

(٤) الجواب الكافي لابن القيم الجزء الأول (ص ٧).

وقال ابن حزم - رحمه الله - في قول النبي ﷺ للذي استوصاه: «لَا تَغْضَبْ!»^(١)، وأمره ﷺ أَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لِغَيْرِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ^(٢)، جامعان لكل فضيلة:

- لأن في نهيهِ عن الغضب ردع النفس ذات القوة الغضبية عن هواها.

- وفي أمره ﷺ بِأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لِغَيْرِهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ؛ ردع النفس^(٣) عن القوة الشهوانية، وجمع لأزمة^(٤) العدل الذي هو فائدة النطق الموضوع في النفس الناطقة^(٥).

وقال أبو حاتم رضي الله عنه: «سرعة الغضب من شيم الحمقى، كما أن مجانبته من زي العقلاء، والغضب بذر الندم، فالمرء على تركه قبل أن يغضب أقدر على إصلاح ما أفسد به بعد الغضب»^(٦).

وقبل أن أشرع في الحديث عن إصابة المريض بتلبس الجن بالإنس أو السحر أو العين لابد من التعرّيج ولو قليلاً عن الاضطرابات النفسية لإدراك الفارق

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: الحذر من الغضب، رقم ٦١١٦، ٨/ ٢٨..

(٢) أخرجه البخاري (١٥)، ومسلم (٤٥): من حديث أنس رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ».

(٣) في (ش): «النفوس».

(٤) أزمة: مقاليد.

(٥) مداواة النفوس (ص ٣١).

(٦) روضة العقلاء لابن حبان (ص ١٣٩).

بينهما.

وكما أن للوعي والتثقيف الصحي دوراً فاعلاً في عدم ازدواجية المريض ما بين الراقي والطبيب النفسي؛ فعلينا أن نميّز بين الأمراض النفسية وإصابة المريض بالمس من الجن أو السحر أو العين حتى نستطيع التعامل الصحيح مع المريض؛ فمن خلال بحثي في كتب الطب النفسي لم أجد أشمل من تلك النشرة الموجزة الصادرة من «مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض»؛ فحينما تصدر مثل هذه النشرة التوعوية من صرح شامخ تابع لوزارة الصحة غالباً ما تكون أخرى للصواب من غيرها، ولهذا أدرجتها من ضمن أهم موضوعات هذا الكتاب بغرض الإسهام في نشرها؛ لتعم الفائدة منها، وليطلع عليها الكثير.

على الرغم من انتقاد أحد الأطباء النفسيين لهذه النشرة والقول بأنها ليست كافية، بينما أقرّها بعض الذين استشرتهم من الأطباء النفسيين ويقولون بأنها رسالة جيدة لتوعية المريض وأسرته «وحسبك من القلادة ما أحاط بالعنق»^(١)، وأعتقد أن عدم التوافق على مثل هذه النشرة يُعدّ أمراً طبيعياً ويعود إلى ما ذكره محمود مندوه في «مفهوم الصحة النفسية باختلاف المدارس النفسية»: بقوله: (من خلال استعراض التراث السيكلولوجي ذي الصلة بتعريف مفهوم الصحة النفسية تبين عدم وجود تعريف جامع مانع، مما أدى إلى ظهور تعريفات عديدة ومختلفة لهذا المفهوم، وتعزى إلى

(١) هذا مثل عربي مشهور يُضرب للاكتفاء والقناعة بالشيء الجيد ولو كان قليلاً، «مجمع

الأمثال» للميداني ١/ ١٩٦، المثل رقم (١٠٣٥).

الاختلاف في الخلفيات النظرية لعلماء النفس، حيث أخذ كل باحث يُعرّفها من إطار النظرية التي يتبناها، والمدرسة التي ينتمي إليها. فمثلاً: يلاحظ أن مفهوم الصحة النفسية في المدرسة الفرويدية (مدرسة التحليل النفسي) يختلف عنه في كل من (المدرسة السلوكية) و (المدرسة المعرفية) و (المدرسة الإنسانية)^(١).

قال تعالى: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾^(٢).

وقبل أن أنتقل إلى الاضطرابات النفسية^(٣) لا بد من الإشارة إلى العلاج الديني.

يقول الدكتور زهير أحمد السباعي: (فإن الدين الإسلامي أولى العلاج النفسي اهتماماً بالغاً، فهو يعالج النفس القلقة المضطربة ويجعل أهم مقومات علاجها والوقاية من أمراضها الإيمان بالله والتقوى، وذكر الله والصلاة، وهي جوانب لو قدرناها حق قدرها لكانت كفيلة بالقضاء على الغالبية العظمى من الأمراض النفسية)^(٤).

ويقول الشيخ بسام السلامة: «ولهذا يلجأ العلماء النفسانيون إلى الدين لعلاج الأمراض النفسية، يقول الدكتور: عبدالعزيز القوصي: لو استعرضنا الموضوعات التي تبحثها كتب الأمراض النفسية لوجدنا أن

(١) الصحة النفسية لـ د. محمود مندوه محمد (ص: ١٥) الطبعة الأولى ١٤٣٢، مكتبة الرشد الرياض.

(٢) سورة يوسف، آية: ٧٦.

(٣) نشرة توعوية عن الاضطرابات النفسية، الصادرة: من مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض، انظر:

ص ٨١.

(٤) الطيب، أدبه وفقهه، للدكتور: زهير أحمد السباعي، والدكتور: محمد علي البار ص ٨٠.

الإيمان بالله هو العلاج للمشكلات التي يعدها علماء النفس معضلات لا تُحل إلا بصعوبة»^(١).

قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾^(٢).

إن غير المسلم لا يشعر بالسعادة الحقيقية أبداً؛ لأنه يعيش في فراغ روحي، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ﴾^(٣).

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «ففي القلب شعث لا يلثمه إلا الإقبال على الله.

وفيه وحشة لا يزيلها إلا الأنس به في خلواته.

وفيه حزن لا يذهب به إلا السرور بمعرفته وصدق معاملته.

وفيه قلق لا يسكنه إلا الاجتماع عليه، والفرار منه إليه.

وفيه فاقة لا يسدّها إلا محبته والإنابة إليه، ودوام ذكره وصدق

الإخلاص له، ولو أعطي الدنيا وما فيها لم تسد تلك الفاقة منه أبداً»^(٤).

(١) الإيمان بالغيب، بسام السلامة، ص ١٥٥.

(٢) سورة الزمر، ٢٢.

(٣) سورة الأنعام، ١٢٥.

(٤) مدارج السالكين (٣/ ١٦٤).

هذا وبعد هذا العرض الموجز عن أمراض القلب وعظمة النفس الإنسانية أنتقل إلى ذكر موجز لبعض الاضطرابات النفسية التي تطرّق إلى ذكرها أطباء العلاج النفسي، وإليك أيها القارئ الكريم مضامين تلك النشرة الطبية النفسية^(١)، وهي على النحو التالي:

- القلق.
- الرهاب.
- الاكتئاب.
- الهوس.
- ثنائي القطب.
- الوسواس القهري.
- الفصام.
- الاضطرابات النفسجسدية.



(١) نشرة توعوية عن الاضطرابات النفسية، الصادرة: من مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض سيأتي ذكرها (ص ٨١).

القلق^(١)

أولاً: تعريفه :

هو حالة توتر شامل نتيجة الإحساس بتهديد خطر فعلي أو رمزي أو متخيل، ويصحبها دائماً خوف غامض، وأعراض نفسية وجسمية، ويعد القلق من أكثر حالات العُصاب شيوعاً، حيث يمثل ما يتراوح بين ٣٠٪ و ٤٠٪ من الاضطرابات العُصابية ويشيع لدى الإناث وعند الأطفال والمراهقين وفي سن القعود والشيخوخة.

ثانياً: تصنيف القلق :

يصنف القلق حسب درجته ومصادره إلى :

- * القلق الموضوعي العادي: ويكون مصدره خارجياً وموجوداً فعلاً ويطلق عليه -أحياناً- القلق الواقعي، ويحدث هذا في مواقف التوقع، أو الخوف من فقدان شيء مثل قلق النجاح في عمل أو امتحان، أو عند الإقدام على الزواج، أو وجود خطر ما، وهذا النوع يواجه الإنسان دائماً ويعد طبيعياً.
- * حالة القلق العُصابي: وهو داخلي المصدر وأسبابه لا شعورية مكبوتة غير معروفة ولا مبرر له ولا يتفق مع الظروف الداعية إليه، ويعوق التكيف مع المجتمع والقدرة على الإنتاج والتقدم.
- * القلق العام: الذي لا يرتبط بأي موضوع محدد، بل تجده غامضاً وعمماً

(١) نشرة توعوية عن الاضطرابات النفسية الصادرة من مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض.

وعائماً .

* القلق الثانوي: وهو القلق كعرض من أعراض الاضطرابات النفسية الأخرى، مثل الاكتئاب .

ثالثاً: أسباب القلق :

* العامل الوراثي.

* عوامل نفسية: مثل الشعور بالتهديد الداخلي أو الخارجي الذي يفرضه بعض الظروف البيئية لمكانة الفرد وأهدافه والتوتر النفسي الشديد. والأزمات، أو المتاعب، أو الخسائر المفاجئة والصدمات النفسية والمخاوف الشديدة في مرحلة الطفولة المبكرة والشعور بالعجز والنقص.

* عوامل أخرى: مثل الضغوط الحضارية، والثقافية، والبيئة الحديثة ومطالب ومطامح المدنية المتغيرة واضطرابات الجو الأسري والتفكك الاجتماعي بالإضافة إلى مشكلات الطفولة والمراهقة والشيخوخة والطرق الخاطئة في تنشئة الأطفال مثل القسوة والتسلط والحماية الزائدة والحرمان واضطرابات العلاقة الشخصية مع الآخرين^(١).

رابعاً: أعراض القلق :

* أعراض جسدية: كالضعف العام ونقص الطاقة الحيوية والنشاط والمثابرة وتوتر العضلات والنشاط الحركي الزائد والتعب والصراع المستمر

(١) قلت: وكل هذه العوامل من سنن الله في الحياة، فإنها جبلت على كدر، والله المستعان.

وتصبب العرق وارتعاش الأصابع وشحوب الوجه وسرعة النبض والخفقان، آلام الصدر والإحساس بضيق التنفس وارتفاع الضغط، والدوار والغثيان وفقدان الشهية ونقص الوزن مع اضطرابات النوم والأرق والأحلام المزعجة^(١).

* أعراض نفسية: وتشمل القلق العام، والقلق على الصحة والعمل والمستقبل، والعصبية والتوتر العام وعدم الاستقرار والشعور بعدم الراحة والفرع أحيانا والشك والارتباك والتردد في اتخاذ القرارات والهمل والاكتئاب العابر والتشاؤم والانشغال بأخطاء الماضي^(٢)، وكوارث المستقبل

(١) ينبغي للمؤمن ألا يلتفت إلى الأحلام المزعجة فإنها من الشيطان كما جاء من حديث قتادة - رضي الله عنه - قال: قال النبي ﷺ: «الرؤيا الصالحة - وفي رواية - الرؤيا الحسنة - من الله، والحلم من الشيطان، فمن رأى شيئاً يكرهه فلينبث عن شأله ثلاثاً، وليتعوذ من الشيطان فإنها لا تضره»، متفق عليه. رواه البخاري، كتاب التعبير، باب الرؤيا من الله رقم (٦٩٨٤)، ومسلم، كتاب الرؤيا، باب منه، رقم (٢٢٦١).

قال الشيخ محمد بن عثيمين رحمه الله معلقاً على الحديث: «وبعض الناس إذا رأى شيئاً يكرهه ذهب يتلمس من يفسر له هذه الرؤيا، ونحن نقول له: لا تفعل ذلك، وكان الصحابة رضي الله عنهم يرون الرؤيا يكرهونها، فلما حدثهم النبي ﷺ بهذا الحديث استراحوا؛ فصار الإنسان إذا رأى الرؤيا التي يكرهها بصق عن يساره ثلاث مرات، واستعاذ بالله من شرها ومن شر الشيطان، ولم يحدث بها أحداً، ثم لا تضره وكأنها ما صارت». شرح رياض الصالحين من كلام سيد المرسلين، لفضيلة الشيخ محمد بن صالح العثيمين ٣٧٦/٤.

(٢) قال الرازي: النفس إذا عرض لها بغيته أمر اضطرابي شغلها عن الفكر والعناية بغيره (الحاوي في الطب (١/٦٠)).

وتوهم المرض والإحساس بقرب النهاية والخوف من الموت. وضعف التركيز. وشروء الذهن. وضعف القدرة على العمل والإنتاج والإنجاز وسوء التوافق الاجتماعي.

خامساً: علاج القلق :

* العلاج النفسي (العلاج السلوكي المعرفي): بهدف تطوير الشخصية وزيادة البصيرة وتحقيق التوافق .

* الإرشاد العلاجي والاجتماعي: حل مشكلات المريض وتعليمه كيف يواجه المشكلات، وما طرق المواجهة.

* العلاج البيئي: بتعديل العوامل ذات الأثر الملحوظ مثل تغيير العمل. وتخفيف أعباء المريض والضغوط الواقعة عليه. ومثيرات التوتر والعلاج الاجتماعي والرياضي والرحلات والصدقات والعلاج بالعمل.

* العلاج الطبي: للأعراض الجسمية المصاحبة وتطمين المريض باستخدام مضادات القلق أو الاكتئاب .

سادساً: مآل المرض :

إذا كانت الشخصية قبل المرض متوازنة . وعندما تكون ظروف حياة المريض أقل قسوة ودافعيته للشفاء وتعاونه مع المعالج عالية فإن مآل المرض طيب وقابل للتحسن .

الرهاب

الخوف^(١) من حيوان مفترس يهدد حياة الإنسان، أو من وجه مرعب يظهر لك فجأة دون توقع في مكان مظلم، أمر عادي لا يتجاوز الخوف الطبيعي العادي وهو خوف غريزي وحقيقي، ويختلف عن الخوف المرضي الذي يكون حالة غير طبيعية وهو خوف دائم ومتكرر ومتضخم من أشياء لا تخيف في العادة. ولا يعرف المريض لها سبباً، وهذا ما سنفصل فيه كما يلي:

أولاً: تعريفه :

هو حالة الخوف التي تمتلك الفرد أمام موقف أو موضوع لا يتصف عادة بصفات الخطر. ويدرك الإنسان أن مخاوفه تلك لا تعود إلى سبب منطقي ولكنه مع ذلك لا يستطيع تجنبها. مما يؤدي إلى تجنب الفرد الالتقاء مع الموقف أو الموضوع الذي يخيفه ويحاول دائماً أن يكون برفقة شخص آخر يشعره بالاطمئنان. ويظهر الرهاب عادة في سن الشباب وهو شائع عند النساء أكثر من الرجال . وقد دلت الدراسات على أن الرهاب يشكل حوالي ٢٠٪ من مجموع مرضى العُصاب.

ثانياً: أسباب الرهاب :

* عوامل وراثية.

* زيادة في إفراز مواد كيميائية في بعض مراكز المخ .

* خبرات مخيفة وقعت في أيام الطفولة

(١) سيأتي الكلام عن أنواع الخوف ص ٢٦٧.

* البيئة المضطربة في أسر يشوبها الشجار والتهديد بالانفصال أو عقاب الأطفال وتخويفهم بقصص وأخبار مؤلمة وخيفة .

* الخوف الذي يتقل عن طريق المشاركة الوجدانية والأبعاد والتقليد (انتقال عدوى الخوف من مريض مصاب بالرهاب إلى المحيطين والمخالطين).

ثالثاً: أعراض الرهاب :

يرافق الرهاب أعراض عدة منها :

* القلق، التوتر، الشعور بالتعب، الإغماء، خفقان في القلب، تصبب العرق، والشعور بالارتجاف .

* اضطراب الكلام . وكثرة التبول .

* عدم الشعور بالأمن وتوقع الشر .

* الانسحاب من المشاركة الاجتماعية إلى حد أن يصبح عائقاً حقيقياً في حياة المريض .

رابعاً: أشكال الرهاب:

• رهاب الساحة :

(الساحات أو الأماكن المتسعة) وهي أكثر أنواع الرهاب انتشاراً، حيث يخاف المريض من الشوارع المزدهمة أو الأماكن العامة والواسعة أو حتى الأماكن المغلقة (مصعد، غرفة مغلقة، طائرة، حافلة) ويصاب المريض في هذه الأماكن بحالة قلق لعدم تمكنه من الخروج بسهولة. وعندما يوجد في هذه الأماكن يشعر بدوار وضيق. وقد ينتابه خوف من فقدان الوعي أو الموت .

• الرُّهاب الاجتماعي :

ويظهر عادة عند المراهقين من الجنسين ويكون -أحياناً- طبيعياً وعابراً، ولكن قد يستمر ويشتد ويصبح مرضاً يؤدي إلى الإعاقة الاجتماعية لهؤلاء الأشخاص شديدي الحساسية للانتقاد ويتملكهم خوف من الظهور أمام الناس بمظهر الغباء أو السذاجة وغيرها من الانطباعات السلبية، ويتجلى ذلك بأشكال عديدة: (تلعثم في الكلام، احمرار الوجه، رجفة في الأيدي، رغبة شديدة في التبول، تعرق وجفاف في الحلق، خفقان في القلب، الشعور بالدوار، السقوط، وعدم القدرة على الاستمرار واقفاً)^(١).

وقد يؤدي ذلك الرُّهاب إلى اضطرابات نفسية أخرى مثل: الاكتئاب أو الإدمان على الكحول والمخدرات لتخفيف تلك المخاوف.

• رهاب محدد (منفرد) :

ويقصر هذا النوع من الرُّهاب على مواقف منفردة؛ مثل رهاب الاقتراب من حيوان ما، رهاب الأماكن المرتفعة، رهاب البرق، رهاب الرعد، رهاب الظلام^(٢)، رهاب الطيران، رهاب تناول مأكولات معينة، رهاب التعرض لأمراض معينة^(٣)، (رهاب الإيدز)، رهاب تلوث البيئة أو الاشعاع،

(١) انظر: ص (٢٧٥).

(٢) انظر: ص (٢٥).

(٣) وما جائحة (كورونا) عنّا ببعيد .

رهاب منظر الدم أو الجروح، رهاب استخدام المراحيض العامة.

خامساً: علاج الرُّهاب:

- هناك وسائل وطرق عديدة للعلاج تبدأ بالخطوة الأولى من تحضير المريض وإثارة رغبته في العلاج ومن الطرق المستخدمة :
- * العلاج النفسي (ومنها العلاج التحليلي أو العلاج المعرفي السلوكي).
 - * العلاج الاجتماعي والبيئي .
 - * تنمية التفاعل الاجتماعي السليم وعلاج المناخ الأسري في حالة عدوى الرُّهاب .
 - * العلاج الطبي : باستخدام بعض الأدوية المساعدة حسب حالة المريض مثل مضادات الاكتئاب وحالات القلق .

سادساً: مآل الرُّهاب:

- مآل الرُّهاب حسن ويدعو إلى التفاؤل عندما يتم التشخيص المبكر والدقيق وانتقاء العلاج الملائم، إضافة إلى كسب تعاون المريض .
- وهناك بعض المخاطر من حدوث إدمان نتيجة تعاطي المريض لبعض المخدرات لتخفيف حدة مخاوفه .

الاكتئاب

أولاً: تعريفه:

هو اضطراب نفسي يصيب الإنسان بفقدان الإحساس بالمتعة بالإضافة إلى نقص النشاط والإحساس بالخمول والتعب واضطراب النوم والشهية زيادةً أو نقصاناً مع الشعور بضالة الذات، ولوم النفس، وفي درجاته الشديدة تفكير المصاب المفرط في الموت والإقدام أحياناً على الانتحار^(١) كوسيلة للخلاص.

ثانياً: أنواع الاكتئاب:

- **الاكتئاب العُصابي أو التفاعلي :**
وتتميز هذه الحالات بوجود عوامل مسببة واضحة مثل (فقد شخص عزيز، الخسارة المادية) وتكون أعراض هذا الاكتئاب خفيفة أو متوسطة وتستمر لفترة زمنية مؤقتة، حيث تتحسن الحالة مع مرور الوقت .
- **الاكتئاب الذهاني الشديد:**
وهذا النوع لا تكون أسبابه واضحة في معظم الأحيان، حيث غالباً ما يكون هناك عوامل وراثية في الأسرة .
- **الاكتئاب المقنّع أو المستتر:**
وهو نوع شائع من الاكتئاب يصعب التعرف عليه وتشخيصه؛ لأن مظاهره لا تكون واضحة، حيث يشكو المريض من أعراض بدنية مثل

(١) قلت: وهذا - والعياذ بالله - كالمستجير من الرمضاء بالنار، قال تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ

كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا﴾ [النساء: ٢٩].

الصداع أو ضيق الصدر وتحسن هذه الحالة عند اكتشافها وعلاجها بالأدوية المضادة للاكتئاب .

• أسباب الاكتئاب:

قد تكون خارجية كالظروف الاجتماعية (الخلافات الزوجية) أو المادية أو الأحداث المحزنة (موت إنسان عزيز) أو أسباباً داخلية تؤدي إلى خلل في وظيفة الدماغ والنواقل الكيميائية فيه .

ثالثاً / علاج الاكتئاب:

الاكتئاب - كاضطراب مرضي - يجب معالجته مثل الأمراض التي تصيب الأعضاء الأخرى، ومع تطور العلوم الطبية والصيدلانية في الآونة الأخيرة فإن علاج الاكتئاب يعطي نتائج جيدة تصل إلى ٨٥ - ٩٠ ٪. يمكن للشخص المصاب بعدها أن يعيش حياة أفضل ملؤها الأمل والنشاط.

وينبغي مراجعة الطبيب المختص فور ملاحظة الأعراض المذكورة سابقاً وذلك من قبل المريض أو أسرته أو أصدقائه المقربين الذين من واجبهم نصيح المريض أو مرافقته في حال عدم رغبته في ذلك، ومساعدة الطبيب من خلال إعطائه المعلومات الكافية عن حالة المريض والالتزام بالمواعيد واتباع التعليمات الطبية لإنجاح الخطة العلاجية بشكل أفضل وأسرع .

وتجدر الإشارة إلى أن الأدوية المضادة للاكتئاب فعالة لكن نتائجها لا

تظهر قبل أسبوعين أو ثلاثة من بدء العلاج حتى بعد التحسن، وقد يستمر العلاج مدة زمنية يحددها الطبيب حسب طبيعة الحالة .

ما الآثار الجانبية للعلاج ؟

الأدوية المضادة للاكتئاب كغيرها من الأدوية قد تسبب آثاراً مزعجة عند تناولها تخف عادة بعد مدة من بدء العلاج، وفي حال استمرارها يجب إبلاغ الطبيب واتباع إرشاداته .

هل يعتمد العلاج على الأدوية فقط ؟

يضطّر الطبيب -أحياناً- لاستبدال نوع الدواء، وفيما لم يحصل على النتائج المطلوبة يمكن إشراك الوسائل العلاجية الأخرى^(١) كالعلاج النفسي مما يعطي نتائج إيجابية وفعالة في كثير من الحالات .

(١) قلت: أما الوسائل الأخرى فلا تقل أهميتها عن العلاج بالقرآن الكريم قال تعالى: **(قل هو للذين آمنوا هدى وشفاء)**، فقد يتوهم القارئ الكريم أو من لديه اضطرابات نفسية أن هناك تعارضاً بين العلاج بكلام الله - عز وجل - وبين العلاج بالأدوية الحسيّة المباحة، وهذا خطأ فالكل من عند الله شرعاً وكوناً وقدرًا، وعليك أيها القارئ الكريم بهذه الوصية النبوية الكريمة وستجد العلاج الناجع الذي تعقبه الراحة النفسية والسكينة والهمّة العالية والعزيمة والنشاط بإذن الله، قال ﷺ: **«يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هُوَ نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ يَضْرِبُ كُلَّ عُقْدَةٍ عَلَيْكَ لَيْلٌ طَوِيلٌ، فَارْقُدْ فَإِنْ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَإِنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فَأَصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وَإِلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسَلَانَ»**، أخرجه البخاري في صحيحه، باب عقد الشيطان على قافية الرأس إذا لم يصل برقم ١١٤٢ (٢/ ٥٢)، ومسلم، باب ما روي فيمن نام الليل أجمع حتى أصبح برقم ٢٠٧ (١/ ٥٣٨).

الهوس

أولاً: تعريفه:

يصنف الهوس ضمن اضطرابات الوجدان ويعني حدوث تغير في المزاج أو الوجدان، إما في اتجاه الابتهاج أو الاكتئاب، وعادة ما تحدث اضطرابات الهوس في صورة نوبات متكررة، ونوبة الهوس أكثر ندرة من الاكتئاب وأحياناً يتناوب مع نوبات الاكتئاب، فتارة اكتئاب وأخرى مرح، وأحياناً تتكرر نوبات المرح دون نوبات الاكتئاب، وتعد كلتا النوبتين جزءاً من الاضطراب الوجداني ثنائي القطب. وتختلف أعراض ذهان المرح حسب شدة الحالة.

• نسبة الانتشار :

تنتشر الاضطرابات الوجدانية بنسبة تتراوح من ١ الى ٥ ٪ بين الأفراد وذلك بغض النظر عن الفروق الحضارية والمواقع الجغرافية، وفي نوبة الانبساط يبدو المريض في حالة فرح شديد مع الشعور بتحسن الحال أو الشعور بالعظمة وكثرة النشاط وكثرة الكلام مع تسارع الأفكار، والبدء في عدة مشروعات دون استعداد لها، والبذخ المسرف مع التبهرج البعيد عن اللباقة، وعن طبيعة المرء، ومن جراء هذه الزيادة فإن المريض يصاب بالأرق وفقدان الشهية للأكل وينتهي بحالة من الإرهاق والإعياء التام.

ويحدث أن تكون نوبة الهوس من الشدة بحيث تشكل عائقاً للمريض في الجانب الاجتماعي، والوظيفي تستمر لمدة أسبوع على الأقل، ويكون

تغير المزاج مصحوباً بزيادة في النشاط، والطاقة، وعدد من الأعراض المشار إليها..

ثانياً: أسباب الهوس:

تعددت النظريات في أسباب هذا المرض، منها:

* دور الوراثة في هذا المرض: حيث تتراوح النسبة بين أبناء المصابين بهذا المرض ما بين ١٠٪ و ١٣٪.

* الأسباب العضوية: حيث يكون هناك خلل في حساسية المستقبلات العصبية، ولذا فإن العلاج بالعقاقير يعدل من نسبة الموصلات.

ثالثاً: الأعراض:

* ارتفاع المزاج بدرجة لا تتناسب مع ظروف المرض: ويتراوح بين التفاؤل المفرط إلى النشوة والتفخيم، وقد تصل إلى هيجان غير قابل للسيطرة عليه.

* الشعور بالثقة الزائدة أو العظمة التي تصل إلى ضلالات.

* قلة النوم.

* زيادة ضغط الكلام مع تسارع الأفكار.

* تشتت الانتباه.

* زيادة النشاط الحركي.

* تجاوز اللباقة الاجتماعية الطبيعية.

رابعاً: العلاج وأساليبه:

• العلاج بالعقاقير:

ومنها معدلات المزاج مثل: الليثيوم، ومضادات الذهان، وقد يتطلب الأمر إدخال المريض المستشفى.

• العلاج النفسي، والاجتماعي:

لإقامة علاقة بين المريض والمعالج وتفهم مشكلة المريض وصراعاته الداخلية.

• توعية المريض وذوية بطبيعة المرض^(١).

ومآله وأهمية استمرار العلاج والمتابعة حتى في أوقات التحسن. ويشمل ذلك التعريف بمبادئ الانتكاسة مثل قلة النوم وغيرها من الأعراض.

خامساً: مآل المرض:

* يختلف سير المرض تبعاً لطبيعة المريض ونوع النوبة وشدها، ولكن عادة ما ينتهي الاضطراب الوجداني بالشفاء والتحسن الكامل.

* تختلف مدة المرض اختلافاً واضحاً، وتتراوح غالباً بين ٦ أشهر وسنة كاملة إذا ترك المريض دون علاج أو تدخل، ولكن بالعلاجات الحديثة المتعددة تقل المدة من ٤ إلى ٨ أسابيع.

* الاضطراب الوجداني يأخذ طابعاً دورياً متكرراً؛ فتتكرر النوبات على المريض أحياناً مرة واحدة أو مرتين، وفي بعض المرضى عدة مرات سنوياً أو في بعض فصول السنة.

(١) قلت: فقد يساعد تثقيف المريض وأسرته بطبيعة المرض على الشفاء - بإذن الله -.

ثنائي القطب

أولاً: تعريفه:

هو أحد اضطرابات الوجدان (المزاج) ويأتي على شكل نوبات بين طور الهوس الصغرى أو الكبرى وبين طور الاكتئاب في أوقات أخرى وهذا بسبب تسميته بثنائي القطب حيث هناك قطبان تتأرجح حالة المريض بينهما هو واكتئاب تصيب الشخص بشكل دوري مع وجود فترات من المزاج الطبيعي بين هاتين الفترتين تبدأ الإصابة عادة بهذا المرض ما بين ١٥-٢٠ سنة من العمر ونادراً ما تأتي في سن متأخر بعد الخمسين.

ثانياً: أعراض نوبات الهوس:

شعور بالعظمة والفخر والثقة بالنفس تفوق العادة فقد يدعي بأنه ملك أو صاحب نفوذ قوي أو يستطيع فعل الأمور الخارقة قلة الحاجة للنوم كثرة الكلام تطاير أو تسارع الأفكار زيادة اهتمامه بأنشطة تبعث البهجة حتى لو أدت لخسائر للمريض أو لغيره فقد يبذر الأموال في شراء أشياء أو مشاريع لا يحتاجها زيادة التواصل الاجتماعي مع الغرباء يمزح ويتكلم بكثرة مع غريب أو في وقت متأخر (.....) وقد يندفع بكلام أو استهزاء بصوت عالي في مصلى أو شارع أو مكان عام اثناء نوبة الهوس الكبرى قد يصاحبها هلاوس وضلالات يفقد الاستبصار تماماً وقد تختلف صورة البهجة والفرح فقد ينقلب المريض لحالة من الغضب الشديد والعدوانية والسب والشتم لمن حوله

وخاصة من يعارض أفكاره أو من يحاول يجد من حريته أو من يحاوله أو من يعلق على أفعاله عدم الاستمتاع بالحياة وقلة الحيلة والتشاؤم وضعف القدرة على الإنجاز والعجز والياس والارق وصعوبات النوم والبكاء والعزلة وهبوط الروح المعنوية وتدني القدرة على التركيز والتفكير وتكرر فكرة الموت والانتحار لدى المريض أو محاولة الانتحار الفعلية.

ثالثاً: أنواعه:

- نوبات الهوس.
- نوبة هوس صغرى.
- نوبة هوس كبرى.
- نوبات مختلطة (نوبة هوس + نوبة متتالية).

رابعاً: أسبابه:

الوراثة، اختلال في النواقل العصبية في الدماغ والضغط المالي والاجتماعية وتعاطي المخدرات والضغط النفسية الشديدة لفترات طويلة والصدمات كفقْد شخص عزيز أو مقرب.

خامساً: علاجه:

يبدأ علاج المريض من خلال عدة مراحل متتالية:

- التقييم النفسي: للحالة ودراسة العوامل والمسببات الشخصية والبيئية التي ساهمت في الإصابة بالمرض.
- التشخيص النفسي: حول طبيعة العلاج والجلسات والأهداف وشرح

طبيعة المرض ونسبة انتشاره ومآله.

- التشخيص: وتطبيق المقاييس النفسية وتحديد نوع الاضطراب والأعراض وكتابة الخطة العلاجية.
- العلاج الطبي: الأدوية النفسية أو الذهانية حسب حاجة المريض لها.
- العلاج النفسي: جلسات العلاج المعرفي السلوكي.
- العلاج الاجتماعي: جلسات العلاج الاسري الاجتماعي.

الوسواس^(١) القهري

أولاً: تعريفه:

هو عبارة عن أفكار أو صور عقلية ملحة ومتكررة لا إرادياً يعلم أنها تافهة ولا يستطيع مقاومتها أو منع تكرارها وكلما حاول مقاومتها يتزايد لديه القلق وقد يصاب بالاكئاب إذا شعر بتأثيرها على حياته ومستقبله وقد يتعلم الطقوس أو سلوكيات حياته تجنبه أو تطمينه أو فحص بالشعور بالراحة من القلق والانعاج الذي يشعر به وله عدة اشكال:

- الأفكار الوسواسية: هي مجموعة من الأفكار والصور العقلية المتواصلة والمتسلطة والمستمرة مع عجزه عن التخلص منها.
- الأفعال القهرية: هي أعمال عقلية واعية وسلوكيات متكررة جبرية استجابة لأفكار وسواسية لتخفف لمنع القلق والانعاج الناتج عن تلك

(١) قال شيخ الإسلام رحمه الله: الوسواس من جنس الحديث والكلام، ولهذا قال المفسرون في قوله: ﴿مَا تُوسَّسُ بِهِ نَفْسُهُ﴾ (ق: ١٦)، قالوا: ما تحدث به نفسه. وقد قال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ تَجَاوَزَ لَأَمْتِي مَا حَدَّثَتْ بِهِ أَنْفُسُهَا مَا لَمْ تَتَكَلَّمْ بِهِ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ» (البخاري في الطلاق (٥٢٦٩) ومسلم في الإيمان (٢٠٢/١٢٧)).

وهو نوعان: خبر، وإنشاء. فالخبر إما عن ماضٍ، وإما عن مستقبل. فالماضي يذكره به، والمستقبل يحدثه بأن يفعل هو أموراً، أو أن أموراً ستكون بقدر الله، أو فعل غيره، فهذه الأمانى والمواعيد الكاذبة، والإنشاء أمر ونهي وإباحة.

والشيطان تارة يحدث وسواس الشر، وتارة ينشئ الخير، وكان ذلك بما يشغله به من حديث النفس، قال تعالى في النسيان: ﴿وَأَمَّا يُنْسِيَنَّكَ الشَّيْطَانُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ الذِّكْرِىٰ مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾ (الأنعام: ٦٨).
مجموع الفتاوى (١٧/٥٢٠).

الأفكار ولا يستطيع الشخص مقاومتها وهي تستحوذ عليه لفترة طويلة وهو غير راضي عنها ومنزعج من تكرارها. دون الأفعال القهرية. مجالاته / النظافة، السلامة من الأمراض والعدوى، الدين، الجنس، التماثل والتطابق، التخزين، الفحص والتدقيق وغيرها حسب أهمية الموضوع بالشخص.

يبدأ في الغالب في مرحلة البلوغ والمراهقة.

ثانياً: أسبابه:

عوامل اجتماعية سلوكية:

تعلم سلوكيات أو تقليد لسلوكيات الوالدين في مراحل مبكرة، تغييرات حياتية معايير أخلاقية عالية، ضغوط حياتية، البحث عن الكمالية والمثالية، التنظيم والدقة العالية، مرض، فقد عزيز، نمط سلوك غير قادر على التأقلم مثل التجنب.

• عوامل نفسية:

افتراضات ومعتقدات خاطئة، المبالغة بتقدير الخطر، اعتقادات خاطئة بالقدرة على التحكم بالأفكار، أو بضرورة تطابق الفكرة بالفعل، والواقع، المخاوف المبالغ فيها، القلق المفرط،

الإحساس بالمسؤولية عالي، أو عدم القدرة على تحمل القلق والتوتر.

• عوامل طبية:

جينات وراثية، اختلال في النواقل العصبية، نشاط زائد في مناطق معينة في الدماغ.

ثالثاً: علاجه:

- التقييم النفسي للحالة ودراسة العوامل والمسببات الشخصية والبيئية التي ساهمت في الإصابة بالمرض.
- التثقيف النفسي: حول طبيعة العلاج والجلسات والأهداف وشرح طبيعة المرض ونسبة انتشاره ومآله.
- التشخيص: تطبيق المقاييس النفسية وتحديد نوع الاضطراب والأعراض وكتابة الخطة العلاجية.
- العلاج الطبيعي: الأدوية النفسية أو الذهانية حسب حاجة المريض لها.
- العلاج النفسي: جلسات العلاج المعرفي السلوكي.
- العلاج الاجتماعي: جلسات العلاج الاسري والاجتماعي.

الفصام

أولاً: تعريفه:

هو أحد الاضطرابات العقلية التي تصيب الإنسان، وتتضح في اضطراب الأفكار والعواطف والتصرفات ولا تتجاوز نسبة انتشاره ١٪ من أفراد المجتمع، وعادة ما تبدأ أعراضه في الظهور من سن ١٥ إلى ٢٥ عاماً.

ثانياً: أعراض الفصام:

يشعر المريض بالفصام باضطرابات في:

• التفكير:

اضطراب التفكير قد يكون في المحتوى أو الشكل، وبما أن الحديث هو مرآة للتفكير فيمكن قياس مدى الاضطراب حسب وجود الضلالات وشدتها وتمسك المريض بها وفشل محاولات إقناعه بضلالتها ومن أشهرها: ضلالات الاضطهاد-العظمة-الإشارة-التحكم-التوهم.

• العواطف:

فقد يفقد المريض بالفصام وبخاصة مع طول مدة المرض القدرة على التعبير عن عواطفه، وقد تتميز بالسطحية وعدم العمق أو تناقض المشاعر. وفي الحالات الشديدة تبرد للمشاعر.

- اضطراب الحواس:

وهو ما يطلق عليه الهلاوس -ومن أشهرها الهلاوس السمعية^(١) التي تكون موجودة في حالات الفصام، وتوجد بعض أنواع الهلاوس الأخرى مثل الهلاوس البصرية - هلاوس الشم التي قد تكون أكثرها في الأمراض العضوية. وقد تجد المريض في بعض الأحيان يتحدث أو يضحك مع نفسه.

- اضطراب السلوك:

قد يظهر مريض الفصام سلوكاً شاذاً أو غريباً. نتيجة استجابته للضلالات و الهلاوس التي لديه، وقد يأتي بحركات غريبة أو شاذة، وقد تظهر عليه الانطوائية في بعض الحالات. التخشب في الجسم، وقد يظهر عليه سلوك عدواني وتهيج في حالات أخرى.

- اضطراب في الإرادة والدوافع:

ويعني عدم الرغبة في عمل أي شيء وعدم وجود الدافع لإنجاز الأشياء، وهذا ما يجعله غير منتج وقد يترك عمله ويجلس خاملاً طوال ساعات اليوم.

ثالثاً: أسباب الفصام:

غير معروف بالتحديد أسباب الإصابة بهذا المرض ولكن هناك بعض النظريات تتحدث عن عدة عوامل قد يكون لها دور في حدوث الفصام منها:

- عوامل بيولوجية:

ويقصد بها خلل في موصلات المخ (الموصلات العصبية).

- عوامل وراثية:

حيث وجد أن هناك علاقة وثيقة بين العوامل الوراثية والإصابة

(١) سيأتي الكلام عن الخيالات البصرية والأصوات الوهمية (٢٤٩).

بمرض الفصام وأثبتت الأبحاث العلمية أن الإصابة في الأبناء تكون بنسبة ٤٠٪ إلى ٥٠٪ عندما يكون كلا الأبوين مريضاً بالفصام ومن ١٠٪ إلى ١٥٪ عندما يكون أحدهما مصاباً.

• عوامل الشخصية:

هنالك علاقة بين الفصام وبين تكوين الشخصية؛ حيث وجد أن الأشخاص الانطوائيين والخجولين منذ الطفولة أكثر إصابة بالفصام .

• عوامل تتعلق بالأسرة:

بعض أنواع التربية وأنماطها قد تساعد على إصابة الشخص بالفصام مثل العنف الزائد، الحرمان العاطفي، إعطاء أوامر متناقضة للطفل من الأب والأم في الوقت نفسه، ويقابل ذلك الدلال الزائد والحنان المتناهي غير المحسوب.

• عوامل أخرى:

مثل الضغوط النفسية الشديدة التي تؤدي إلى ظهور أعراض نفسية ذهانية وتكون بداية لمرض الفصام، وكذلك مثل سوء استعمال العقاقير والمخدرات والكحوليات.

رابعاً: العلاج:

يفضل دائماً أن يكون العلاج في صورة خطة علاجية متكاملة دوائية- نفسية واجتماعية ومن مراحله:

• علاج دوائي:

في صورة مضادات الذهان التي تنقسم إلى أدوية تقليدية وأدوية حديثة قليلة الأعراض الجانبية مقارنة بالأدوية التقليدية وقد تكون أكثر فعالية في

بعض الحالات.

ويجب أن يتعرف المريض أو المرافقون معه على كيفية استعمال العلاج والجرعة والخطّة العلاجية والتأثيرات الجانبية للدواء.

• علاج نفسي:

وأشهره التدعيم وعمل الجلسات والاختبارات النفسية اللازمة التي تساعد المريض في عملية التشخيص، وكذلك العلاج الأسري والعائلي اللازم وتغيير أنماط سلوك العائلة. وكيفية معاملة المريض النفسي لضمان علاجه واستمراره في أداء وظائفه، وإشعاره بالاهتمام والحب والحنان بدلاً من النقد الزائد أو الإهمال الزائد^(١).

• علاج اجتماعي:

ويعتمد ذلك على حل مشكلات المريض الاجتماعية، وتغيير المناخ المعرض له المريض، وإذا لزم الأمر الذهاب للمرضى في أماكن إقامتهم للاطمئنان عليهم ومتابعة حالتهم وحل مشكلاتهم وعمل علاجات مفيدة مثل تعلم المهارات الاجتماعية.

• علاجات تأهيلية:

مثل علاج منهج المنحة الاقتصادية والعلاج بالرياضة^(٢) التي تساعد المريض على الاستبصار بطبيعة حالته وعودته للمجتمع شافياً كشخص نافع ومنتج.

(١) انظر: ص (٣٣٠).

(٢) سيأتي الكلام عن أثر ممارسة الرياضة على صحة البدن والنفس، ص ٣١٧.

الاضطرابات النفسجسدية^(١)

المرض النفسي الجسدي:

● تعريفه:

هو مرض مزمن يظهر بأعراض جسدية متعددة لسنوات تؤدي إلى تأثير سلبي على أداء الإنسان ويكون منشؤها بسبب عوامل نفسية ولا تكون هناك أسباب عضوية لحدوثها. السمة المميزة لهذا المرض هي الشكوى المتكررة من أعراض جسمية والطلب المستمر لإجراء الفحوصات الطبية بالرغم من النتائج السلبية المتكررة وطمأننة الأطباء للمريض بأن الأعراض التي يشكو منها ليس لها أساس بدني، وعادة ما يقاوم المريض مناقشة احتمال أن يكون سبب الحالة نفسياً وقد يصاحب ذلك وجود أعراض اكتئاب وقلق واضحة. ولا تخلو هذه الاضطرابات عادة من درجة السلوك الجاذب للانتباه خاصة في المرضى الذين يضايقهم فشلهم في إقناع أطبائهم بالطبيعة البدنية الأكيدة لمرضهم.

والمعروف أن تلك الشكوى تكون غالباً متغيرة ومتعددة ومستمرة لفترة طويلة وتشمل كافة أجهزة الجسم، ويتميز الاضطراب بأنه مزمن ومتذبذب، وكثيراً ما يصاحبه تأثير سلبي في السلوك الاجتماعي والشخصي والعائلي. وقد تظهر الأعراض وكأنها نتيجة لاضطراب جسمي في جهاز أو عضو معين، وأكثر الأجهزة تأثراً هو الجهاز العصبي اللاإرادي، مما يؤدي

(١) قال ابن القيم رحمه الله: (فإن انفعال البدن وطبيعته عن النفس والقلب أمر مشهود). انظر:

(ص ٣٢)، وسبق تعريف الاضطرابات النفسجسدية (ص ٣٨).

إلى أعراض في الجهاز الدوري والدموي أو الجهاز العصبي.
وتشمل الأعراض الدالة على ذلك: الخفقان - العرق - الاحتقان بالوجه -
والرجفة باليدين أو الإحساس بالألم وأوجاع عابرة مثل عسر الهضم،
عسر البول، الانتفاخ، زيادة معدل التبول، تقلص المعدة والقولون.

الأمراض النفسية الجسدية:

الألم النفسي الجسدي:

وهو الشكوى من الألم مع عدم وجود أدلة جسدية تدل على سببه مع
وجود دلائل نفسية ترجح تفسيره، وعادة ما يكون مكان الألم وانتشاره لا
يتماشى مع الآلام ذات المنشأ الجسدي، ويستمر لفترات طويلة طوال
اليوم. وقد يسبب عدم النوم، الاستجابة للأدوية النفسية أفضل من
الأدوية العادية وغالباً ما يشمل الأعراض آلام في الرأس، العنق، البطن،
وأ أسفل الظهر، ويكون أكثر انتشاراً وسط النساء. في كل الحالات يجب
استبعاد احتمال الأسباب العضوية قبل تشخيص الحالة كألم نفس جسدي
مع الأخذ في الاعتبار الظروف والضغوط النفسية والاجتماعية المختلفة
ومن ثم إعطاء العلاجات المناسبة (مضادات الاكتئاب مثلاً) بجانب
العلاج النفسي السلوكي المعرفي.

الاضطرابات النفسية التحويلية (الهستيريا):

هي اضطراب نفسي في مستوى اللا شعور تجاه بعض الضغوط النفسية
التي يصعب حلها أو مواجهتها فيتم التعبير عنها (لا شعورياً) بأعراض

جسدية، ويكون ذلك غالباً لتحقيق مكسب أولي لتخطي الموقف النفسي الضاغط (بعذر جسدي مقبول، فقدان الصوت، شلل أحد الأطراف مثلاً) وتحقيق مكسب ثانوي وهو جذب انتباه الآخرين وتعاطفهم مع المريض.

ومن أمثلة حالات الهستيريا:

- * نسيان موقف أو أحداث بعينها، التوهان والسير دون هدى.
- * الأعراض التحولية: فقدان الصوت، فقدان البصر، النوبات الصرعية النفسية، عدم الاتزان في السير، الشلل، القيء، الحمل الكاذب.
- * متلازمة هستيرية أخرى: الشكوى من عدة أعراض (٩ - ١٠ أعراض) في وقت واحد ولا يمكن تفسيرها كالأعراض الجسدية المعروفة، المبالغة في أعراض وعلامات المرض الجسدي الحقيقي، عرض المريض نفسه على الأطباء بصفة متكررة بأعراض مرضية خطيرة بغرض الرغبة في التنويم بالمستشفى (إدمان المستشفيات).
- * اضطراب الهستيريا يكون أكثر انتشاراً وسط النساء من الرجال ويمثل ٣-٤ ٪ من الاضطرابات النفسية، وتكون الاستجابة جيدة للعلاج النفسي اللادوائي في الحالات الحادة مع وضوح الارتباط بالموقف النفسي الضاغط.

توهم المرض:

يتمثل الاضطراب النفسي في هذه الحالة في أن المريض يفسر الأعراض والعلامات الجسدية العادية كأعراض غير طبيعية تدل على وجود مرض

خطير، ويظل هذا الاعتقاد مستمرا رغم إثبات الفحص الطبي والتحليل اللازمة عكس ذلك مما يؤثر على الأداء الاجتماعي والعلمي وسير الحياة اليومية للمريض. لذلك في مثل هذه الحالات لابد من استبعاد وجود مرض عضوي بصورة قاطعة. معالجة أي اضطراب نفسي ثانوي (اكتئاب مثلا)، تقييم اجتماعي كامل لحالة المرض ومن ثم التعامل بحزم ووضوح مع المريض وعدم اللجوء والرضوخ لرغبته في الاستمرار بعمل تحاليل جديدة ومعقدة.

متلازمة الإرهاق المزمن:

هو الشعور بالإرهاق الشديد دون وجود سبب واضح بمصاحبة أعراض جسدية ونفسية متفرقة . غالبا ما يصيب المريض بين عمر ٢٠ - ٥٠ سنة بنسبة ٤،٧ لكل مائة ألف نسمة، ويكون أكثر انتشاراً وسط النساء من مختلف طبقات المجتمع.

هناك زعم أن هذه الحالة تعقب بعض التهابات الجهاز العصبي ولكن لا يوجد دليل على ذلك، كما أن لها علاقة ببعض الاضطرابات النفسية كالقلق والاكتئاب.

لا يوجد علاج دوائي محدد لهذه الحالة ولكن بعض مضادات الاكتئاب. مضادات الالتهابات. والمهدئات، الفيتامينات قد تفيد في بعض الحالات، كما أن العلاج السلوكي المعرفي والعلاج الحيوي للاسترجاع وعلاج التوتر ومجموعات الدعم الذاتي قد تفيد في بعض الحالات .

إن الاضطرابات النفسية لها أكثر من تصنيف يساعد الطبيب النفسي

على سرعة التشخيص وبالتالي المعالجة، فالطبيب النفسي يقوم بتشخيص ومعالجة الاضطرابات التالية:

* الاضطرابات النفسية لدى الأطفال؛ كالتخلف الدراسي أو الاضطرابات السلوكية أو العاطفية.

* الاضطرابات النفسية عضوية المنشأ، كالهذيان الحاد، وعن الشيخوخة المزمنة.

* إدمان العقاقير والكحوليات والاضطرابات الناتجة عنها.

* الاضطرابات الذهنية مثل الفصام والاضطرابات الضلالية.

* اضطرابات المزاج . كالاكتئاب والزهو (الهوس).

* اضطرابات القلق، كالقلق العام والخوف بأنواعه أو نوبات الرُّهاب أو الوسواس القهري .

* الاضطرابات النفسية ذات الطابع الجسماني؛ كتوهم المرض والهستيريا التحولية.

* الاضطرابات الجنسية سواء كانت قصوراً في الوظائف الجنسية أو انجرافات في الوظائف الجنسية.

* الاضطرابات النفسية المتعلقة بطبيعة الأكل؛ كداء النحافة العُصابي.

* اضطرابات النوم عموماً .

* انعدام القدرة على التحكم في الغرائز.

* الاضطرابات النفسية الناتجة عن صعوبة التأقلم .

* اضطرابات الشخصية عموماً.

من الملاحظ أن كثيراً من الاضطرابات المذكورة ليس لها علاقة بالجنون، بل قد يكون الإنسان طبيعياً جداً إلا أن القلق أو الخوف أو الاكتئاب على سبيل المثال قد أثر على حياة الشخص وعلى وظيفته.

أسباب الاضطرابات النفسية:

لا تعرف حتى الآن الأسباب الرئيسية والمباشرة للاضطرابات النفسية إلا أن هناك عدة عوامل قد تلعب دوراً كبيراً في ظهورها مثل :

* عوامل الوراثة .

* عامل اضطراب اتزان بعض المركبات الكيميائية أو بعض الهرمونات في الجسم .

* تقلبات في حياة الفرد الاجتماعية والوظيفية وضغوط الحياة كما أن هناك بعض الأمراض العضوية والعقاقير الطبية قد تسبب ظهور الاضطرابات والأعراض النفسية.

طرق التشخيص:

الطرق التي يلجأ الطبيب النفسي في عملية التشخيص تعتمد على :

* جمع المعلومات من المريض أو أقاربه .

* ملاحظة طبيعة ما يعاني منه المريض سواء في المزاج أو التفكير أو الذاكرة.

* الاختبارات والمقاييس النفسية.

* التحاليل الطبية المخبرية أو الإشعاعية إذا استدعى الأمر ذلك.

طرق العلاج:

أما طريقة العلاج فالطبيب هو المسؤول عن وضع الخطة العلاجية المناسبة ومتابعتها ومعرفة مدى تحسن الحالة بالإضافة إلى تقدير ذلك التحسن مستقبلاً ومن المفترض أن يستخدم الطبيب النفسي خطة شاملة لعلاج المريض يتم تنفيذها عن طريق الفريق الطبي... انتهى النقل عن النشرة التوعوية بنصه^(١).



(١) وهي نشرة صادرة من مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض.

٨ - نظرة حول أعراض الاضطرابات النفسية

وأعراض العين والسحر وتلبس الجن بالإنس

سوف نلاحظ بإذن الله وجه الشبه بين أعراض العين والسحر والمس من الجن وبين أعراض الاضطرابات النفسية، التي أشكلت على فئام من الناس، وليست أعراض الاضطرابات العقلية هي السائدة على المرضى النفسيين كما يتصوره كثير من المراجعين؛ فحينما نتأمل جيداً أعراض الاضطرابات العقلية كالفصام - على سبيل المثال - نجد أنها تختلف إلى حد كبير عن أعراض الاضطرابات العصابية، كالقلق، والرهاب والوسواس القهري.

يقول د. محمد مندوه: (توجد مجموعة من الفروق بين الاضطرابات العصابية والاضطرابات الذهانية نعرضها على النحو التالي:

ومن أهم الفروق بين الاضطرابات العصابية (الأمراض النفسية) والاضطرابات الذهانية (الأمراض العقلية) هي:

١ - **الشخصية**: في الاضطرابات العصابية يكون هناك تغيير بسيط - إن وجد - في الشخصية التي تظل متماسكة بينما هناك في الاضطرابات الذهانية اكتساب عادات وتقاليد وسلوك مختلفة يؤدي إلى تغيير جذري في الشخصية التي قد تدهور في معظم الحالات المزمنة.

٢ - **الصلة بالواقع**: في الاضطرابات العصابية تكون الصلة بالواقع سليمة بينما في الاضطرابات الذهانية تضرب الصلة بالواقع اضطراباً بالغاً

فيكون المريض بعيداً عن الواقع ويفشل في التكيف مع المجتمع والبيئة الواقعية.

٣- **السلوك العام**: يظل السلوك ضمن الحدود الطبيعية أو المقبولة اجتماعياً في الاضطرابات العصبية بينما في الاضطرابات الذهانية يكون هناك اضطراب واضح في السلوك من انطواء وعزلة عن الناس والمجتمع.

٤- **اضطراب المزاج والعاطفة**: اضطراب كمّي وطفيف في الاضطرابات العصبية بينما اضطرابات كمّية ونوعية شديدة في الاضطرابات الذهانية.

٥- **اضطراب التفكير**: قليل إن وجد في الاضطرابات العصبية مثل الوسواس وعدم القدرة على التركيز، بينما في الاضطرابات الذهانية يكون هناك اضطراب كمّي وكيفي في التفكير.

٦- **الضلالات والهلاوس**^(١): لا توجد في الاضطرابات العصبية بينما غالباً ما توجد في الاضطرابات الذهانية.

٧- **الاستبصار بالمرض**: يكون سليماً في الاضطرابات العصبية حيث يحضر المريض بنفسه يعاني ويشكو بينما في الذهاني لا يشعر المريض بمرضه ويحضر عن طريق الأهل.

٨- **الإدراك للزمان والمكان والأشخاص**: سليم في العصاب ويضطرب في الحالات الذهانية المتدهورة^(٢).

(١) الخيالات السمعية والبصرية والشميّة واللمسيّة.

(٢) الصحة النفسية لـ د. محمود مندوه محمد (ص: ١٧١).

فمتى ما أدركنا الفارق بين هذه الأعراض جيداً؟
حينها ندرك الفارق بينها وبين أعراض العين والمس من الجن والسحر
وسوف يزول اللبس بينهما - بإذن الله -.

ونستطيع كذلك الربط بين أعراض الاضطرابات النفسية وأعراض
العين والمس من الجن والسحر من خلال السياق التالي في العناوين الآتية:

- ٩ - نظرة حول أثر الوهم.
- ١٠ - نظرة حول العلاج بالتخييل.
- ١١ - رؤية الجن بين الحقيقة والوهم.
- ١٢ - حقيقة تلبس الجن.
- ١٣ - نظرة حول إيجاء تلبس الجن.
- ١٥ - نظرة حول أثر الرقية الشرعية.
- ١٦ - نظرة حول المقارنة بين تأثير الرقية وتأثير الأدوية النفسية على المريض.

١٧ - نظرة حول العين والحسد.

١٨ - نظرة حول إصابة العين.

١٩ - نظرة حول أثر السحر.

٢٠ - نظرة حول الخيالات البصرية والأصوات الوهمية.

٢١ - نظرة حول المقارنة بين تلبس الجن أو السحر أو العين والمريض النفسي في أثناء الرقية.

٢٢ - نظرة حول أنواع الخوف.

٢٣ - نظرة حول التأثير النفسي السلبي.

٢٤ - نظرة حول أثر الألعاب الإلكترونية.



٩- نظرة حول أثر الوهم

يُعرف: الوهمُ: أنه منَ خَطَرَاتِ الْقَلْبِ، وَالْجَمْعُ أَوْهَامٌ، وَلِلْقَلْبِ وَهْمٌ. وَتَوَهَّمَ الشَّيْءَ: تَخَيَّلَهُ وَتَمَثَّلَهُ، كَانَ فِي الْوُجُودِ أَوْ لَمْ يَكُنْ. وَقَالَ: تَوَهَّمْتُ الشَّيْءَ وَتَفَرَّسْتُهُ وَتَوَسَّسْتُهُ وَتَبَيَّنْتُهُ بِمَعْنَى وَاحِدٍ؛ قَالَ زُهَيْرٌ فِي مَعْنَى التَّوَهُّمِ: وَقَفْتُ بِهَا مِنْ بَعْدِ عَشْرِينَ حِجَّةً فَلَأْيَا عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ

وَيُقَالُ: وَهَمْتُ فِي كَذَا وَكَذَا أَيْ غَلِطْتُ

وأما الوهم: فانقياد النفس لقبول أثر ما يرد عليها من قولهم: حمل وهم، وطريق وهم، والفرق بينه وبين الخاطر أن الخاطر يقال فيما لا تقبله النفس، والوهم لا يقال إلا فيما تقبله النفس^(١).

وأما «(الخيال) الشَّخْصُ، وَالطَّيْفُ، وَمَا تَشَبَهَ لَكَ فِي الْيَقَظَةِ وَالْمَنَامِ مِنْ صُورَةٍ، وَصُورَةٍ تَمَثَّلُ الشَّيْءُ فِي الْمَرْأَةِ، وَمِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَا تَرَاهُ كَالظِّلِّ، وَخَشَبَةٌ يَنْصَبُ عَلَيْهَا كَسَاءٌ أَسْوَدٌ فِي الْمَزْرُوعَاتِ يُفْرَعُ بِهَا الطَّيْرُ وَفِي مَرَابِضِ الْغَنَمِ يُفْرَعُ بِهَا الذَّنَابُ وَمَا نَصَبَ فِي الْأَرْضِ لِيَعْلَمَ أَنَّهُ جَمَى فَلَا يُقْرَبُ، وَإِحْدَى قَوَى الْعَقْلِ الَّتِي يَتَخَيَّلُ بِهَا الْأَشْيَاءَ»^(٢).

يقول د. محمود مندوه محمد: التخيل أو الخيال هو جزء مهم من الحياة

(١) ينظر: المعجم الوسيط (٢ / ١٠٦٠).

(٢) المعجم الوسيط (١ / ٢٦٦).

العقلية للإنسان ويصدر الخيال من العمليات العقلية المعرفية المتمثلة في الإدراك، التفكير، التذكر، الانتباه، النسيان... إلخ.

وهو ينتمي إلى مجال التفكير حصراً، ففي الخيال يستطيع الفرد أن يتجنب الشد والضغط الواقع عليه من البيئة الخارجية ويؤدي إلى تخفيض توتر بعض الدوافع من خلال تبديدها.

إن الخيال يخفف عن الإنسان الكثير من الضغوط الواقعة عليه، ومن الممكن أن يصوغ الإنسان العديد من السيناريوهات في عقله وبها يجد العديد من الحلول إذا ما استخدمت استخداماً أمثل في الوصول إلى نتائج تحقق الراحة النفسية، ولكن تصبح حالة مرضية باستمرارها وتحويل الواقع إلى أحلام يقظة وتخيلات، فلذلك لابد وأن تخضع إلى ضوابط ومحددات لعملها، لاسيما أنها مكون أساسي في حياة الإنسان طفلاً أو راشداً، سليماً كان أو مريضاً، مستيقظاً كان أو حالماً أثناء نومه. وتخدم هذه العملية عمليات عقلية أخرى في إعانة الفرد على تحمل صراعاته النفسية والإبقاء عليها مقيدة بحيث لا تطغى على الوعي ولا تؤدي إلى انهيار التوازن النفسي الداخلي للفرد.

فالتخيل أو الخيال هو الرجوع إلى عالم الخيال لتحقيق ما عجز عنه تحقيقه في الواقع، استخدام أحلام اليقظة^(١).

(١) الصحة النفسية لمحمود مندوه محمد (ص ١٤٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: (ومعلوم قطعاً أن هذه المتخيلات لا حقيقة لها في ذاتها، وإنما الذهن^(١) يفرضها تقديراً وليست منضبطة في النفس، فإن العلوم الخارجية لا تنطبع صورها في النفس^(٢))، فكيف بالخيالات المعدومة؟ فهذه مندحضة ولا يمنع من وقوع التمييز بين الأعدام المضافة، فإن العقل يميز بين عدم السمع، وعدم البصر، وعدم الشم، وغير ذلك، ولا يلزم من هذا التمييز كون هذه الأعدام موجودة، بل يميز بين أنواع المستحيلات التي لا يمكن وجودها ألبتة .

ثم نقول: إذا عقل حلول الأشكال والمقادير فيما كان مجرداً عن الحجمية والمقدار من كل الوجوه، أفلا يعقل حلولها العلم بالشكل العظيم والمقدار العظيم في الجسد الصغير؟.

و أيضاً فإذا كان عدم الانطباق من جميع الوجوه لا يمنع من حلول الصورة والشكل في الجوهر المجرد، فعدم انطباق العظيم على الصغير أولى أن لا يمنع من حلول الصورة العظيمة في المحل الصغير^(٣).

ولما فرغت من كتابة هذه النظرية ثم عرضتها على أحد الإخوة

(١) كثيراً ما نسمع على لسان الأطباء النفسيين كلمة (Psychosis) وكأن هذا المصطلح النفسي يروى عن علماء الغرب، وقد يكون أحدهم أخذها من هذا العالم الرباني، وكم استفادوا من علماء المسلمين.

(٢) سيأتي مزيد من الكلام عنها (ص ٢٥٦).

(٣) الروح لابن القيم: (ص: ٢٥٤)، دار ابن الحزم الطبعة الأولى، ١٤٢٥ هـ بيروت - لبنان.

الفضلاء من الأطباء النفسيين أثابه الله سألته: كيف ترى كلام ابن القيم - رحمه الله - في علم النفس؟ وكيف ترى توافق نظرياته التي تجاوزت ما يقارب سبع مائة عام مع نظريات الطب النفسي المعاصر؟

فقال: مثلي لا يستطيع أن يقيم ابن القيم - رحمه الله - ولكن بصفتي طبيباً نفسياً أفهم صحة كلامه جيداً وهذا توفيق من الله لابن القيم رحمه الله، فقلت: ما أحسن العدل والإنصاف.

وقد ضرب الله - عز وجل - في كتابه العزيز أروع الأمثلة على السعي وراء الوهم، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيعَةٍ يَحْسَبُهُ الظَّمْثَانُ مَاءً حَقًّا إِذَا جَاءَهُ لَمْ يَجِدْهُ شَيْئًا وَوَجَدَ اللَّهَ عِنْدَهُ فَوَفَّاهُ حِسَابَهُ وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ﴾ [النور: ٣٩].

قال ابن عباس رضي الله عنهما: (هو مثلٌ ضربه الله لرجلٍ عطش فاشتد عطشه، فرأى سراياً، فحسبه ماءً، فطلبه، وظن أنه قد قدر عليه، حتى أتاه، فلما أتاه لم يجده شيئاً، وقبض عند ذلك، يقول الكافر كذلك، يحسب أن عمله مغنٍ عنه، أو نافع شئاً، ولا يكون آتياً على شيءٍ حتى يأتيه الموت، فإذا أتاه الموت لم يجد عمله أغنى عنه شيئاً، ولم ينفعه إلا كما نفع العطشان المشتد إلى السراب) (١).

ويُستنتج من هذه الآية الكريمة علاقة الوهم وتأثيره على اختلال

(١) تفسير الطبري، جامع البيان (١٩/١٩٦).

العقل بسبب الظروف الصعبة التي تحيط بالإنسان.

فمن المعروف أن السراب لا يتحوّل إلى ماء في نظر الإنسان المدرك الذي لم يكابد شدة العطش، بل يعلم يقيناً أنه خداع بصري، بينما السراب يتحوّل إلى ماء في عين الإنسان الذي غاب عنه عقله من شدة العطش.

كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله - «الحس إن لم يكن مع صاحبه عقل وإلا فقد يغلط»^(١).

وفي هذا أيضاً دلالة على أن المريض قد يفقد الإدراك على قدر معاناته من شدة المرض، فيرى بعض الأشياء على غير حقيقتها وتتعلق نفسه على أدنى بصيص أمل في طلب العلاج، فينساق وراء الوهم!

كما قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : «مرض البدن: خلاف صحته وصلاحه وهو فساد يكون فيه، يفسد به إدراكه وحركته الطبيعية، فإدراكه إما أن يذهب كالعمي والصمم، وإما أن يدرك الأشياء على خلاف ما هي عليه، كما يدرك الحلو مرّاً، وكما يتخيّل إليه أشياء لا حقيقة لها في الخارج»^(٢).

فمن الأسباب المعينة على الشفاء بإذن الله تعالى، تناسي المريض لمرضه يقول الشيخ بن عثيمين - رحمه الله - : «ثم إنه إذا صبر على المرض وتناسى الأمر حصل له برؤ منه، لأن الوهم النفسي له تأثير في بقاء المرض وزيادة

(١) مجموعة الفتاوى: (٤٣/٧).

(٢) مجموع الفتاوى (٩٢/١٠).

المرض، فإذا رفض الإنسان هذا المرض وصار لا يفكر فيه فإنه بإذن الله سوف يشفى»^(١)

وهذه قصة حول هذا الموضوع:

حدثني أحد الزملاء عن قصة حصلت لوالدته حينما اشتكت لأخيه من وعكة صحية، وأنا هنا أذكرها بأسلوبه:

فقال: طلبت منه والدتي ماء قد قرئ فيه بشيء من القرآن مع النفث من أحد الرقاة.

يقول أخي: فخرجت لقضاء بعض الحاجة في طريقي إلى الراقي فلم أشعر بنفسي حتى رجعت وتركت منزله بعيداً وراء ظهري وتذكرت حاجة والدتي حينما شارفت على منزلنا، فما كان مني إلا أن اشتريت عبوة ماء من محل تموينات وفتحتها ثم أغلقتها ولم أخبر والدتي بما حصل، فلما انتهيت إليها ناولتها عبوة الماء فشربت منها حتى ارتوت ثم قالت: الحمد لله عافاني الله؟^(٢).

وكذلك إصرار أغلب المرضى داخل المستشفى على طلب الرقية حينما يشاهدون مريضاً آخر مصاب بتلبس الجن أو السحر -شفاه الله- يتخبط في أثناء الرقية ويتوهمون أنهم مشتركون بنفس الإصابة، وعلى هذا فإنه يمكن أن يقال بأن الوهم قد أخذ حيزاً كبيراً لدى بعض المرضى النفسيين

(١) اللقاء الشهري لابن عثيمين الجزء ٣٧ (ص ٢٨).

(٢) ونظائر هذه القصة متداول في بعض المجالس العامة.

بشتى أنواعه وهذا مشاهد ومعلوم من خلال واقع الممارس.

قال الشيخ بن عثيمين - رحمه الله - : «كثير في هذه الآونة الأخيرة أوهام الناس وتحيُّلات بأن ما يصيبهم فهو عين أو سحر أو جن حتى لو يصاب بعضهم بالزكام قال إنه عين أو سحر. وهذا غلط، أعرض أيها المسلم عن هذا كله، وتوكل على الله واعتمد عليه ولا توسوس به لأن الإنسان متى جعل على باله شيئاً شغل به وإذا تغافل عنه وتركه لم يصب بأذى»^(١).

ومن لطائف وطرائف الدكتور محمد لطفي الصبَّاح هذه القصة، يقول: «وعلى الطبيب أن يكون لبقاً مع مرضاه، متلطفاً بهم، فلا يقول لهم ما يوهنهم أو يوقعهم في اليأس.

حدثني شيخنا الشيخ زيد العابدين التونسي - رحمه الله - أنه كان له صديق طبيب، فمرَّ به زائراً لا مُستطباً. فقال له الطبيب: أريد أن أفحصك لأطمئن عن صحتك... فقال: جزاك الله خيراً، لك ما تريد ولك الفضل. وبعد أن (عاينه) قال له: يا سيدي وضعك في منتهى الخطورة، وأشار له بيده إشارة معينة.

قال الشيخ: والله لقد انقطع قلبي بها، ثم قدَّم له مجموعة من الأدوية بعضها قبل الأكل، وبعضها بعد الأكل، وقال: إني أرجو أن أراك بعد أسبوع.

(١) فتاوى نور على الدرب لابن عثيمين الجزء الثاني (ص ٤).

خرج الشيخ من عيادته ورجلاه لا تحملانه... ثم قال لنفسه: إنني أدري بنفسي وإني والله بخير، فرمى بالأدوية جانباً، ولم يعد لبيته، لأنه خشي إن عرف أهله ما قال له الطبيب الصديق أن يوهموه على نفسه، بل قام برحلة زار فيها حمص وحماة وحلب واللاذقية وطرابلس وبيروت، وعاد إلى دمشق معافى نشيطاً.

إن هذا الطبيب أراد أن يحذّر صديقه وينصح له، ولكنه لم يكن لبقاً ولا متلطفاً... ولولا أن الشيخ قاوم تهريب ذاك الطبيب لكان حقاً من المرضى... لأن للحالة النفسية للإنسان تأثيراً في الحالة الجسميّة.

وعليه أن يراعي نفسية المريض، ويلجأ إلى الأساليب التي تعين على التخلص من الأوهام، فكثير من المرضى يكونون من المصابين بوهم المرض^(١).



(١) أخلاق الطبيب، تأليف الدكتور: محمد بن لطفي الصباغ، ص ٧٣.

١٠ - نظرة حول العلاج بالتخييل

أُستعمل العلاج بالتخييل منذ القدم، وحُكمه في الشريعة الإسلامية الجواز^(١)، وهو من رخصها السمحة التي لا ضرر على أحد فيها ولا هضم لحق أحد فيه، وهو تصوير غير حقيقي لمصلحة المريض ينتفع به بإذن الله.

فالتخيّل والتخييل من خصائص الإنسان، وهو من نعم الله عليه، هذا ويعد التخييل عاملاً مهماً ولا يمكن إنكاره، وهو أحد أنواع العلاج، يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - من وصف الطبيب الحاذق في الأمر التاسع عشر: أن يستعمل أنواع العلاجات الطبيعية والإلهية، والعلاج بالتخييل، فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل إليها الدواء، فالطبيب الحاذق يستعين على المرض بكل معين^(٢).

والمعالج الحاذق الذي لديه قدرة عقلية، وملكة ذهنية ودربة ومران وممارسة في العلاج بالتخييل يستطيع - بإذن الله - أن يدفع ما لدى المريض من الوهم بضده دون أن يصل إليه الدواء كما ذكر ابن القيم - رحمه الله -، وكما

(١) والتعريض بالكذب على المريض النفسي يجوز، لما فيه المصلحة له، وللإمام النووي - رحمه الله -

كلام فيما يجوز ويباح من الكذب للمصلحة، ذكر ذلك في كتابه: «رياض الصالحين»، و«الأذكار»

في بيان ما يجوز من الكذب (ص ٥٩٢) وسيأتي فتوى الشيخ سعد الخثلان (ص ١٦٨).

(٢) انظر: (ص ٣٢).

سنلاحظ في قصة الطبيب الحاذق يوم أن أتى للمريض بثعبان^(١).

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : «الانفعال النفسي له أثر كبير في إضعاف الإنسان؛ فأحياناً يتوهم الصحيح أنه مريض فيمرض، وأحياناً يتناسى الإنسان المرض وهو مريض فيصبح صحيحاً؛ فانفعال النفس بالشيء له أثر بالغ، ولهذا تجد بعض الذين يصابون بالأمراض النفسية يكون أصل إصابتهم ضعف النفس من أول الأمر، حتى يظن الإنسان أنه مريض بكذا أو بكذا؛ فيزداد عليه الوهم حتى يصبح الموهوم حقيقة»^(٢).

ومما يذكر هنا أن فوائد العلاج بالتخييل لا تعمم على سائر المرضى. حيث تؤكد الدكتورة: صهباء بندق بقولها: «ويبقى أن نؤكد أن هذه الطريقة العلاجية - التخييل - كغيرها من طرق الطب البديل، لا يمكن تعميمها على جميع المرضى، إذ قد تناسب بعض المرضى ولا تناسب غيرهم^(٣)، كما تختلف استجابة كل إنسان عن غيره فليس من الممكن معالجة جميع الحالات المرضية بواسطة التصور الذهني»^(٤).

(١) انظر: ص ١٦٩.

(٢) القول المفيد على كتاب التوحيد (ص ١١٠).

(٣) كما ناسب بفضل الله الطريقة التي استخدمتها مع قصة تلك المرأة (ص ١٦٢)، ومن جهة أخرى لم تُجد هذه الطريقة مع بعض المرضى، ممن استحكم على أذهانهم إحياء تلبس الجن حينما لازمهم فترة طويلة من الزمن، والله أعلم.

(٤) مذكرة بعنوان: مجموعة من المقالات حول العلاج بالتصور والتخييل.

شبهة والجواب عنها:

شاع في الآونة الأخيرة لدى بعض الأفراد من الرقاة الذين يقرؤون على المرضى طريقة مستحدثة لم تكن معروفة ولا مذكورة في كتاب الله ولا سنة رسوله محمد ﷺ، ولا عرفت عن سلف هذه الأمة - فيما أعلم - مع أن صفتها سهلة، وصفتها أن يقول الراقي للمريض: «اغمض عينيك، وتخيل من سحرك أو مكان سحرك، أو من عانك» وسمعت من بعض الأشخاص أنه يعزو هذه الطريقة للإمام ابن القيم - رحمه الله -، ولم أقف على هذه الطريقة في مظانها من كتبه ومؤلفاته - رحمه الله -، غير أنه ذكر العلاج بالتخييل، وقال: «فإن لحذاق الأطباء في التخييل أموراً عجيبة لا يصل إليها الدواء»^(١).

والجواب عن هذا من وجوه:

أولاً: أن سياق كلام ابن القيم - رحمه الله - ليس للراقي ولم يذكر فيها.

ثانياً: أن كلام الإمام ابن القيم - رحمه الله - مقيد «بحذاق الأطباء» والراقي لا يوصف بهذا.

ثالثاً: هذه الطريقة لو كانت جائزة لكان المريض يعملها بنفسه بدون راقٍ.

رابعاً: وأعظم من ذلك كله أن هذه الطريقة فيها مخالفة شرعية عقدية.

ونظراً لخطورة هذه الطريقة على العقيدة وما ينتج عنها من فتنة بين الناس فقد صدر في ذلك فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية

(١) انظر: ص ٣٨.

والإفتاء برئاسة سماحة الشيخ الإمام عبدالعزيز بن باز - غفر الله له -
ولجميع المسلمين، بمنع هذه الطريقة والتحذير منها:

«جاء في الفتوى رقم ١٩٨٨٥: س: عند قراءة القرآن على المريض وهو
مغمض العينين وفي كامل وعيه، فإنه يرى من سحره أو الساحر أو مكان
السحر، أو العائن، فسؤالنا: هل يعتبر هذا الأمر اطلاع على الغيب أم لا؟

الجواب: رؤية المريض لمن سحره أو الساحر أو مكان السحر أو
العائن عند قراءة القرآن عليه لا يعتبر من الاطلاع على الغيب، ومن اعتقد
أنه يعلم الغيب بسبب ذلك فهو كافر؛ لأن علم الغيب من اختصاص الله
سبحانه، فلا يعلم به أحد من خلقه إلا ما أوحى الله به إلى من شاء من
ملائكته ورسله، قال الله تعالى: ﴿قُلْ لَا يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الْغَيْبَ إِلَّا

اللَّهُ﴾^(١)، وقوله سبحانه وتعالى: ﴿وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَا إِلَّا

هُوَ﴾^(٢)، وما يحدث للمريض من هذا النوع هو من تأثير الشياطين
وخداعهم لبني آدم، وإنما يحصل ذلك بسبب استعانة القراء بالجن، وإن
كانوا يتظاهرون بقراءة القرآن والحديث الشريف للتضليل والتليس على
الجهلة والعوام والسذج وإيهامهم بأن قراءتهم نافعة، فيسلبون أموالهم
ويستغلونهم لمصالحهم وشهواتهم، وهم في الحقيقة من الكهنة والعرافين،
وإن صدقوا في ذلك أحياناً وصار الواقع كما رآه المريض فلا ينبغي له أن
يركن إليه وينخدع به ويعتقد صحته ويتهم الناس بمجرد ذلك، إذ أن

(١) سورة النمل: ٦٥.

(٢) سورة الأنعام: ٥٩.

ذلك لا حقيقة له ولا أصل له في الشرع، بل هو من تأثير الجن كما سبق، وننصحك أن لا تلتفت لأوهام قد تؤثر عليك في عقيدتك وتكون سبباً في قطيعة رحمك وإيذاء الناس، وأن تلجأ إلى الله تعالى وتستغيث به وحده في كشف ضررك، ولا ترجو إلا الله ولا تتعلق إلا به وحده، وأن تعالج نفسك بالرقى والأدعية الشرعية الواردة في كتاب الله وسنة نبيه ﷺ، وأن تتعاطى من الأدوية المباحة ما يكون سبباً في شفائك - بإذن الله -.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم^(١).

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس
بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

هذا ويجب علينا أن نعلم أن الخوض في موضوع التخييل بلا علم موضوع خطر ومزلة أقدام، وهو موضوع فج ليس له زمام ولا خطام، وتكلم فيه من هب ودب؛ لأن مصدره العقل، والعقل له حد لا يتجاوزه^(٢)، وأيضاً هو مقيد وملتزم بالشرع، فإذا تجاوز حده ضاع وهام وتاه، وهذا ما وقع فيه الفلاسفة والملاحدة وأهل الشبهات والشكوك قديماً وحديثاً، قال تعالى: ﴿وَمَنْ لَا يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُّورٍ﴾^(٣)، نسأل الله الثبات على الحق.



(١) فتاوى اللجنة الدائمة، المجموعة الثانية (ص ١١٢ - ١١٤)، وسيأتي مزيد بحث ص ٢٢٣.

(٢) انظر: (ص ٣١٠).

(٣) سورة النور: ٤٠.

١١ - نظرة حول رؤية الجن

لا أعلم فيما قرأت عن أحد من السلف رحمهم الله أنه رأى الجن على هيئتهم التي خلقهم الله عز وجل عليها كما جاء وصفهم في الكتاب والسنة، وقد تضافرت الأدلة الشرعية على أنه لا يمكن رؤية الجن على هيئتهم الحقيقية في الحياة الدنيا.

قال الإمام الشافعي - رحمه الله -: «من زعم من أهل العدالة أنه يرى الجن رُدَّتْ شهادته، وعُزِّرَ لمخالفته لقوله تعالى: ﴿إِنَّهُم بِرَبِّكُمْ هُمْ وَوَقِيلُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾^(١)، إلا أن يكون الزاعم نبياً^(٢).

وقال تعالى: ﴿طَلَعَهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾^(٣)

(١) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

(٢) حياة الحيوان للدميري (١/ ١٩١).

(٣) سورة الصافات: (آية ٦٤)، قال الحسن: ثمرها وما تحملها كأنه في تناهي قبحه، وشناعة منظره رؤوس الشياطين، فشبه المحسوس بالمتخيل، وإن كان غير مرئي للدلالة على أنه غاية في القبح كما تقول في تشبيهه من يستقبحونه: كأنه شيطان، وفي تشبيهه من يستحبونه كأنه ملك، كما في قوله تعالى: ﴿مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ﴾ [يوسف: ٣١]، (فتح القدير للشوكاني ٤/ ٤٥٦)، وقال النحاس: وليس ذلك معروفاً عند العرب، وقيل: هو شجر خشن متن مر منكر الصورة يسمى ثمره رؤوس الشياطين، (تفسير القرطبي، جامع أحكام القرآن) (١٥/ ٨٧)، فالشيطان عند العرب لما كان الغاية في القبح والملك والملاك لما كان الغاية في الجمال والحسن والأخلاق، والغول لما كان غاية في إدخال الرهبة والهلع والخوف إلى القلوب، كانت لهذه الألفاظ معانٍ متصورة في أذهانهم ومتخيلة، لذلك تجد أن من يريد أن يرسم الشيطان أو يصوره جاء به على أقبح ما يكون وأشد ما يكون شناعة مما يتخيله في ذهنه، بخلاف من أراد رسم الملاك أو تصويره، فإنه يأتي به على أحسن

قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا تَحَرَّوْا بِصَلَاتِكُمْ طُلُوعَ الشَّمْسِ، وَلَا غُرُوبَهَا، فَإِنَّهَا تَطْلُعُ بِقَرْنَيِ الشَّيْطَانِ»^(١).

وثبت في الكتاب والسنة أن الجن لهم القدرة بإذن الله على التمثل بشكل الإنسان والحيوان وقد أخبر ﷺ أن مرور الكلب الأسود يقطع الصلاة وعلل ذلك بأن (الكلب الأسود شيطان)^(٢).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما، قَالَ: (جاء إبليس يوم بدرٍ في جندٍ من الشياطين معه رايته في صورة رجلٍ من بني مدلجٍ في صورة سراقه بن مالك بن جعشم، فقال الشيطان للمشركين: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جائرٌ

ما يتخيَّله ويتصوَّره في ذهنه، وكذلك الأمر في الغول يأتي به من يريد تصويره ورسمه على أشد ما يكون تخويفاً في ذهنه. وسمي هذا التشبيه وهمياً لأن هذه الصورة الذهنية موجودة في أوهامهم وتخيلهم، بغض النظر عن وجودها في الخارج أو عدمه، فقد ذكرنا فيما سبق أن الألفاظ موضوعة بإزاء الصور الذهنية، فهي إذن متصوَّرة في الوهم وتخيلة ومُدركة، سواء أكان لها وجود في الخارج أم لم يكن لها وجود. وقولك في وصف رجل غني «هو جبل من ذهب» أو في وصف حصان سريع «هذا حصان يطير بجناحين» أمر متخيَّل موهوم لا وجود له في الواقع الخارجي أو الواقع الموضوعي، ومع ذلك فهو متصوَّر في الذهن ومعهود له، لِمَا في العقل من قدرة على التركيب والتجزئة والتخييل، فالجبل والذهب والحصان والأجنحة مفردات مدركة معروفة معانيها، ولها وجود في الذهن والخارج، أما «جبل من ذهب» و«حصان بجناحين» فصورة مركَّبة لا وجود لها إلا في الذهن فقط، وقد يضع لها الإنسان لفظاً خاصاً بها ويدلُّ عليها مع أنه لا وجود لهذه الصور إلا في الذهن فقط. وعليه فإن هذه الألفاظ ومعانيها معهودة للعرب ومعروفة لهم، فلا يقال إن القرآن خاطبهم بما لا يعرفون، وجاءهم بتشبيهات لا عهد لهم له. والله أعلم، ملتقى أهل التفسير، باب تهافت القول بالإعجاز العلمي.

(١) ينظر: صحيح مسلم (١ / ٥٦٧).

(٢) رواه مسلم: (١ / ٥١٠) رقمه (٥١٠).

لكم، فلما اصطف الناس، أخذ رسول الله ﷺ قبضةً من التراب، فرمى بها في وجوه المشركين، فولوا مدبرين. وأقبل جبريل إلى إبليس، فلما رآه، وكانت يده في يد رجلٍ من المشركين، انتزع إبليس يده، فولى مدبراً هو وشيعته، فقال الرجل: يا سراقه تزعم أنك لنا جائر؟ قال: ﴿إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾^(١)، وذلك حين رأى الملائكة^(٢).

وعن قتادة بن النعمان رضي الله عنه، أنه قال: كانت ليلةٌ شديدة الظلمة والمطر فقلت: لو أني اغتنمت هذه الليلة شهود العتمة مع رسول الله ﷺ ففعلت فلما انصرف النبي ﷺ أبصرني ومعه عرجونٌ يمشي عليه.

فقال: ما لك يا قتادة هاهنا هذه الساعة؟ فقلت: اغتنمت شهود الصلاة معك يا رسول الله فأعطاني العرجون فقال: «إن الشيطان قد خلفك في أهلك، فاذهب بهذا العرجون، فأمسك به حتى تأتي بيتك، فخذ من وراء البيت فاضربه بالعرجون»، فخرجت من المسجد، فأضاء العرجون مثل الشمعة نورا فاستضأت به، فأتيت أهلي فوجدتهم رقوداً، فنظرت في الزاوية، فإذا فيها قنفذ، فلم أزل أضربه بالعرجون حتى خرج^(٣).

وفي رواية عند البزار لا بأس بها ولفظها: «فدفع إليه العرجون فقال: اخرج فإذا رأيت سواداً في بيتك فاضربه به فإنه شيطان، ففعل^(٤).

(١) سورة الأنفال: (آية ٤٨).

(٢) ينظر: تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (١١ / ٢٢١).

(٣) رواه الطبراني في المعجم الكبير برقم (٩ / ١٩)، صححه الألباني في الصحيحة (٣٠٣٦).

(٤) أخرجه البزار برقم (٦٢٠)، (١٥ / ٢٤٥)، وفي إسناده عند البزار عبدالله بن شبيب وقد

وهذا من علامات نبوته ﷺ.

وكذلك قصة الشيطان في دار الندوة، وكذلك أيضاً قصة الشيطان مع أبي هريرة رضي الله عنه في حفظ الصدقة في المسجد.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (والجن يتصوَّرون في صورة الإنس والبهائم فيتصوَّرون في الحيات والعقارب وغيرها، وفي صور الإبل والبقر والخيول والبغال والحمير، وفي صور الطير، وفي صور بني آدم^(١)).

وعلى كل حال فعالم الجن عالم غيبي، فقد سئل سماحة الشيخ ابن باز - رحمه الله - بما نصه:

س: «هل يظهر الجن لبعض الناس ويعقد صداقات معهم؟ وهل الجنّي هو الشيطان؟»، فأجاب - رحمه الله - بقوله:

ج: قد يظهر الجن لبعض الناس، والجن ثقل مستقل غير الإنس، والمشهور عند العلماء أنهم أولاد الشيطان، كما أن الإنس أولاد آدم، فالشيطان الذي هو الجان، الذي امتنع من السجود لآدم هو أبو الجن، فمنهم طيب، وكافرهم مثل كافر الإنس خبيث، فيهم الفاسق وفيهم الكافر وفيهم المؤمن الطيب وفيهم العاصي، فهم أقسام مثل الإنس قد يتصل بعض الناس بهم، وقد يكلمهم ويكلمونه، وقد يراهم بعض الناس، لكن الأغلب أنهم لا يُروَن، كما قال جل وعلا: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَكُمْ هُوَ

تكلّم فيه بكلام شديد ولكن له طرق أخرى عند البزّار لا بأس بها، فهذا الحديث ثابت بمجموع طرقه.

(١) إيضاح الدلالة في عموم الرسالة، ص ٣٢.

وَقِيلَهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ ﴿١﴾، يعني يروننا من حيث لا نراهم، لكن الجنّي قد يبدو لبعض الناس في الصحراء، وفي البيوت، وقد يخاطب.

وقد حدثنا جماعة من العلماء عن وقائع كثيرة، من هذا أن بعض الجن حضروا مجالس العلم، وسألوا عن بعض العلم وإن كانوا لا يرون. وبعض الناس قد يراهم يتمثلون في الصحراء وغير الصحراء، لكن لا تجوز عبادتهم من دون الله، ولا الاستغاثة بهم، ولا الاستعانة بهم على إضرار المسلمين، ولا سؤالهم عن علم الغيب، بل يجب أن يحذروا، أما دعوتهم إلى الله إذا عرفتهم، وتعليمهم ما ينفعهم، ونصيحتهم، ووعظهم، وتذكيرهم، فلا بأس بذلك، أما الاستعانة بهم أو الاستغاثة بهم، أو النذر لهم، أو التقرب إليهم بالذبائح خوف شرهم، كل هذا منكر، قال الله جل وعلا: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾ ﴿٢﴾. يعني زادوهم شراً وبلاء، والآية فيها تفسيران: أحدهما زادوهم، يعني الجن زادوا الإنس ذعراً وخوفاً، والمعنى الثاني فزادوهم رهقاً، زاد الإنس الجن رهقاً، يعني طغياناً وكفراً وعدواناً عليهم، لأنهم لما رأوا الإنس يخافونهم تكبروا عليهم، وزادوا في إيذائهم، وبكل حال فلا يجوز سؤالهم ولا الاستغاثة بهم ولا النذر لهم، ولا نداؤهم لطلب حاجة، أو شفاء مريض، أو ما أشبه ذلك، لكن إذا كلمهم ينصحهم ويذكروهم ويدعوهم إلى الله ويعلمهم ما ينفعهم، فلا حرج في ذلك، كالإنس» ﴿٣﴾.

(١) سورة الأعراف: (آية ٢٧).

(٢) سورة الجن، الآية: ٦.

(٣) فتاوى نور على الدرب، لساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله، ١ / ٢٣٠ - ٢٣٢.

عداوة الجن للراقي:

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : إذا كان الراقى الداعى المعالج لم يتعدَّ عليهم كما يتعدَّى عليهم كثير من أهل العزائم، فيأمرون بقتل من لا يجوز قتله، وقد يجسسون من لا يحتاج إلى حبسه، ولهذا قد تقاتلهم الجن على ذلك، ففيهم من تقتله الجن أو تمرضه، وفيهم من يفعل ذلك بأهله وأولاده أو دوابه .

وأما من سلك في دفع عداوتهم مسلك العدل الذى أمر الله به ورسوله فإنه لم يظلمهم، بل هو مطيع لله ورسوله في نصر المظلوم وإغاثة الملهوف، والتنفيس عن المكروب بالطريق الشرعى التي ليس فيها شرك بالخالق ولا ظلم للمخلوق، ومثل هذا لا تؤذيه الجن، إما لمعرفتهم بأنه عادل، وإما لعجزهم عنه . وإن كان الجن من العفاريت وهو ضعيف فقد تؤذيه، فينبغي لمثل هذا أن يحترز لقراءة العوذ، مثل آية الكرسي والمعوذات^(١)، والصلاة، والدعاء، ونحو ذلك مما يقوى الإيمان ويجنب الذنوب التي بها يسلطون عليه، فإنه مجاهد في سبيل الله، وهذا من أعظم الجهاد، فليحذر أن ينصر العدو عليه بذنوبه، وإن كان الأمر فوق قدرته فلا يكلف الله نفساً إلا وسعها، فلا يعترض من البلاء لما لا يطيق .

(١) وهي سور الإخلاص والفلق والناس.

ومن أعظم ما يتتصر به عليهم آية الكرسي، فقد ثبت في صحيح البخارى حديث أبي هريرة قال : **وَكَلَنِي رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِحِفْظِ زَكَاةِ رَمَضَانَ، فَأَتَانِي آتٍ فَجَعَلَ يَحْثُو الطَّعَامَ، فَأَخَذْتَهُ وَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : إِنْ مِثْلِي مِثْلُ عِيَالٍ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ : فَخَلَيْتَ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةُ ؟) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالاً فَرَحَمْتَهُ وَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ : (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ) فَعَرَفْتُ أَنَّهُ سَيَعُودُ؛ لِقَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، فَرَصَدْتَهُ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتَهُ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ، قَالَ : إِنْ مِثْلِي مِثْلُ عِيَالٍ وَلِي حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ، قَالَ : فَخَلَيْتَ عَنْهُ، فَأَصْبَحْتُ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ : (يَا أَبَا هُرَيْرَةَ، مَا فَعَلَ أَسِيرُكَ الْبَارِحَةُ ؟) قُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ، شَكَأَ حَاجَةٌ شَدِيدَةٌ وَعِيَالاً فَرَحَمْتَهُ وَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ، قَالَ : (أَمَا إِنَّهُ قَدْ كَذَبَكَ وَسَيَعُودُ) فَرَصَدْتَهُ الثَّلَاثَةَ، فَجَاءَ يَحْثُو مِنَ الطَّعَامِ فَأَخَذْتَهُ، فَقُلْتُ : لَأَرْفَعَنَّكَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَهَذَا آخِرُ ثَلَاثِ مَرَاتٍ، تَزْعُمُ أَنَّكَ لَا تَعُودُ ثُمَّ تَعُودُ، قَالَ : دَعْنِي أَعْلَمُكَ كَلِمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهَا قُلْتُ : مَا هُنَّ؟ قَالَ : إِذَا أُوَيْتَ إِلَى فَرَاشِكَ فَاقْرَأْ آيَةَ الْكَرْسِيِّ : ﴿لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾ ^(١) حَتَّى تَخْتَمَ الْآيَةَ، فَإِنَّكَ لَنْ يَزَالَ عَلَيْكَ مِنَ اللَّهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرِبَنَّكَ شَيْطَانٌ حَتَّى تَصْبِحَ، فَخَلَيْتُ سَبِيلَهُ،**

فأصبحت فقال لي رسول الله ﷺ: (ما فعل أسيرك البارحة ؟) قلت: يا رسول الله، زعم أنه يعلمني كلمات ينفعني الله بها فخليت سبيله، قال: ما هي ؟ قلت: قال لي : إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي من أولها حتى تختم الآية ﴿ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾^(١).

وقال لي: لن يزال عليك من الله حافظ ولا يقربنك شيطان حتى تصبح. وكانوا أحرص شيء على الخير، فقال النبي ﷺ (أما إنه قد صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال يا أبا هريرة؟) قلت: لا . قال (ذلك شيطان)^{(٢) (٣)}.

وقال تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ﴾^(٤).

قال أبو جعفر - رحمه الله - : «وأما قوله: ﴿وَأَخِرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ﴾ فإن قول من قال: عني به الجن، أقرب وأشبه بالصواب، لأنه جل ثناؤه قد أدخل بقوله: ﴿وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ

(١) سورة البقرة، الآية: ٢٥٥.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الوكالة، باب: إذا وكل رجل فترك الوكيل شيئاً فأجازه الموكل فهو جائز، وإن أقرضه إلى أجل مسمى جاز رقم ٢٣١١، ٣/ ١٠١.

(٣) مجموعة الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ط دار الحزم، (ص ٣٠-٣٢).

(٤) سورة الأنفال، الآية: ٦٠.

﴿وَعَدُّوكُمْ﴾ الأمر بارتباط الخيل لإرهاب كل عدو لله وللمؤمنين يعلمونهم، ولا شك أن المؤمنين كانوا عالمين بعبادة قريظة وفارس لهم، لعلمهم بأنهم مشركون، وأنهم لهم حرب، ولا معنى لأن يقال: وهم يعلمونهم لهم أعداء **﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾** ولكن معنى ذلك إن شاء الله: ترهبون بارتباطكم، أيها المؤمنون، الخيل عدو الله وأعداءكم من بني آدم الذين قد علمتم عداوتهم لكم، لكرههم بالله ورسوله، وترهبون بذلك جنساً آخر من غير بني آدم، لا تعلمون أماكنهم وأحوالهم، الله يعلمهم دونكم، لأن بني آدم لا يرونهم^(١).

وجاء كذلك في تفسير القرطبي رحمه الله قال السّدي: «وقيل الجن، وهو اختيار الطبري، وقيل: المراد بذلك كل من لا تعرف عداوته. قال السهيلي: قيل هم: قريظة، وقيل: هم من الجن، وقيل غير ذلك، ولا ينبغي أن يقال فيهم شيء؛ لأن الله سبحانه قال: **﴿وَالْآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا نَعْلَمُونَهُمْ﴾**. فكيف يدّعي أحد علماً بهم؛ إلا أن يصح حديث جاء في ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم»^(٢).

قلت: فكيف بمن يدّعي في وقتنا الحاضر رؤية الذئب للجن وافتراسهم دون دليل شرعي، والله المستعان.



(١) تفسير الطبري، جامع البيان (١٤ / ٣٧).

(٢) تفسير القرطبي، الجامع لأحكام القرآن (٨ / ٣٨).

١٢ - نظرة حول حقيقة تلبس الجن بالإنس

واجهتُ بعض الأطباء النفسيين الذين ينكرون تلبس الجن بالإنس، واحتدَّ النقاش ذات يوم بيني وبين أحدهم حول هذا الموضوع، فما كانت حجتُه إلا أن قال بكلمة عامية: (وين الجنِّي فيه؟ أبغى أشوفه؟) فذكرته بقول الله عز وجل: ﴿إِنَّهُ يَرْنَكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لَا تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٧].

وهذا شأن بعض البشر، قال تعالى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾^(١)، أي كذبوا بالقرآن وهم جاهلون بمعانيه وتفسيره^(٢).

وفي هذا الموضوع بيان وفتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم ٢١٥١٨ بشأن مسألة دخول الجنِّي في بدن الإنسي، ونصُّه الآتي: «دلَّ كتاب الله عز وجل وسنة نبيه ﷺ وإجماع الأمة على جواز دخول

الجنِّي بالإنسي، ووقوعه، قال الله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الرِّبَا لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ الَّذِي يَتَخَبَّطُهُ الشَّيْطَانُ مِنَ الْمَسِّ﴾^(٣). قال ابن جرير - رحمه الله -: يعني بذلك: يتخبله الشيطان في الدنيا، وهو الذي يتخنقه فيصرعه، (من المس) يعني من الجنون»^(٤).

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس
بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) سورة يونس: ٣٩.

(٢) تفسير القرطبي (٨/ ٣٤٥).

(٣) سورة البقرة: ٢٧٥.

(٤) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء (١/ ١١٥).

وقد سئل معالي الشيخ صالح بن فوزان الفوزان عضو اللجنة الدائمة للإفتاء وعضو هيئة كبار العلماء - وفقه الله - عن الصرع فقال:

الصرع على نوعين:

- النوع الأول: صرع بسبب مرض عصبي: هذا علاجه عند الأطباء.
- أما النوع الثاني من الصرع فهو صرع بسبب مس الجن هذا علاجه بالرقية الشرعية^(١).

صرع الجن:

عن ابن يعلى بن مرة عن النبي ﷺ أنه أتته امرأة بابن لها قد أصابه لمم - الصرع - فقال النبي ﷺ: «أخرج عدو الله أنا رسول الله» قال: فبرأ فأهدت له كبشين وشيئاً من أقط وسمن، فقال رسول الله ﷺ: «يا يعلى خذ الأقط والسمن وخذ أحد الكبشين وردّ عليها الآخر»^(٢).

وعن عطاء بن أبي رباح قال: قال لي ابن عباس: ألا أريك امرأة من أهل الجنة؟ قلت: بلى، قال: هذه المرأة السوداء، أتت النبي ﷺ فقالت: إني أصرع، وإني أتكشف، فادع الله لي، قال: «إِنْ شِئْتَ صَبْرْتِ وَلَكِ الْجَنَّةُ، وَإِنْ شِئْتَ دَعَوْتُ اللَّهَ أَنْ يُعَافِيَكَ» فَقَالَتْ: أَصْبِرْ، فَقَالَتْ: إِنْني أَتَكَشَّفُ، فَادْعُ اللَّهَ

(١) الرقية الشرعية ضوابطها ومحاذيرها (ص: ٥٣)، إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.

(٢) رواه أحمد، مسند أحمد (٤ / ١٧٢)، والحاكم وصححه، وقال المنذري في الترغيب: إسناده جيد،

وقال الهيثمي في المجمع (٩ / ٦): أخرجه أحمد ورجاله رجال الصحيح.

لي أن لا أتكشف، فدعا لها حدثنا محمد، أخبرنا مخلد، عن ابن جريج،
أخبرني عطاء: «أنه رأى أم زفر تلك امرأة طويلة سوداء، على ستر الكعبة»^(١).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «الصرع صرعان: صرع من الأرواح
الخبیثة الأرضية، وصرع من الأخلاط الرديئة، والثاني هو الذي يتكلم فيه
الأطباء في سببه وعلاجه.

وأما صرع الأرواح، فأئمتهم وعقلاؤهم يعترفون به، ولا يدفعونه،
ويعترفون بأن علاجه بمقابلة الأرواح الشريفة الخيرة العلوية لتلك
الأرواح الشريرة الخبيثة، فتدافع آثارها، وتعارض أفعالها وتبطلها، وقد
نصّ على ذلك بقراط في بعض كتبه، فذكر بعض علاج الصرع، وقال: هذا
إنما ينفع من الصرع الذي سببه الأخلاط والمادة، وأما الصرع الذي يكون
من الأرواح، فلا ينفع فيه هذا العلاج»^(٢).

يقول شيخ الإسلام - رحمه الله -: «وصرع الجن هو لأسباب ثلاثة:
تارة يكون الجنّي يحب المصروع فيصرعه ليتمتع به، وهذا الصرع أرفق
من غيره وأسهل.

وتارة يكون الإنسي آذاهم إذا بال عليهم، أو صب عليهم ماء حاراً، أو
يكون قتل بعضهم أو غير ذلك من أنواع الأذى، وهذا أشد الصرع،
وكثيراً ما يقتلون المصروع.

(١) أخرجه البخاري، كتاب: المرض، باب: فضل من يصرع من الريح، رقم: ٥٦٥٢، ٧/١١٦.

(٢) زاد المعاد (٣/٧٤٠).

وتارة يكون بطريق العبث كما يعبث سفهاء الإنس بأبناء السبيل»^(١).
وقال عبدالله ابن الإمام أحمد بن حنبل: (قلت لأبي: إن أقواماً يقولون
إن الجنّي لا يدخل في بدن المصروع فقال: يا بني يكذبون، هذا يتكلم على
لسانه)^(٢).

ويقول شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله-: (هذا الذي قاله^(٣)
مشهور، فإنه يصرع الرجل^(٤))، فيتكلم بلسان لا يعرف معناه ويضرب على
بدنه ضرباً عظيماً، لو ضرب به جمل، لأثر به أثراً عظيماً، والمصروع مع هذا
لا يحسّ الضرب، ولا بالكلام الذي يقوله، وقد يُجرّ المصروع وغير
المصروع، ويجرّ البساط الذي يجلس عليه ويحوّل الآلات ... ويجري غير
ذلك من الأمور من شاهدها أفادته علماً ضرورياً، بأن الناطق على لسان
الإنس، والمحرك لهذه الأجسام، جنس آخر غير الإنسان)^(٥).

وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز -رحمه الله- في فتاوى
نور على الدرب ما نصه:

س: هل الشيطان يتكلم على ألسنة البشر؟

ج: قد يتكلم على ألسنة البشر، ويكذب عليهم، وقد يغرّ الناس في

(١) مجموع الفتاوى (١٣/ ٨٢).

(٢) مجموع فتاوى ابن باز (٣/ ٣٠٤).

(٣) يعني بذلك الكلام السابق للإمام أحمد بن حنبل رحمه الله.

(٤) يعني بذلك - رحمه الله - الجنّي المتلبس بالإنسي.

(٥) الفتاوى الكبرى لابن تيمية (٣/ ١٣)، الطبعة الأولى ١٤٠٨، دار الكتب العلمية.

أشياء كثيرة يكذبها^(١).

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (وليس من أئمة المسلمين من ينكر دخول الجن في بدن المصروع وغيره، ومن أنكر ذلك، وادعى أن الشرع يُكذّب ذلك، فقد كذب على الشرع، وليس في الأدلة الشرعية ما ينفي ذلك)^(٢).

وذكر ابن القيم عن شيخ الإسلام رحمهم الله: (وشاهدت شيخنا يرسل إلى المصروع من يخاطب الروح التي فيه، ويقول: قال لك الشيخ: اخرجي، فإن هذا لا يحل لك، فيفيق المصروع، وربما خاطبها بنفسه، وربما كانت الروح ماردةً فيخرجها بالضرب، فيفيق المصروع ولا يحسُّ بألم، وقد شاهدنا نحن وغيرنا منه ذلك مراراً).

وكان كثيراً ما يقرأ في أذن المصروع: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا

وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٥].

وحدثني^(٣) أنه قرأها مرةً في أذن المصروع، فقالت الروح: نعم، ومد بها صوته. قال: فأخذت عصاً، وضربت^(٤) بها في عروق عنقه حتى كَلَّتْ

(١) فتاوى نور على الدرب، لساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز ١/ ٢٣٢.

(٢) الفتاوى الكبرى، لابن تيمية ٣/ ١٣، الطبعة الأولى ١٤٠٨ هـ، دار الكتب العلمية.

(٣) الكلام للإمام ابن القيم عن شيخه ابن تيمية رفع الله درجاتها في أعلى عليين.

(٤) قلت: ليس الاستشهاد بهذه القصة جواز الضرب على إطلاقه فربما يظن بعض الرقاة في وقتنا الحاضر حينما يتخبط المريض النفسي تخبطاً وهمياً في أثناء الرقية بأنه مصاب بتلبس الجن

يداي من الضرب، ولم يشك الحاضرون أنه يموت لذلك الضربة ففي أثناء الضرب قالت: «أنا أحبه، فقلت لها: هو لا يحبك، قالت: أنا أريد أن أحج به، فقلت لها هو لا يريد أن يحج معك، فقالت أنا أدعه كرامةً لك، قال: قلت: لا ولكن طاعةً لله ولرسوله، قالت: فأنا أخرج منه، قال: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً، وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ، قالوا له: وهذا الضرب كله؟ فقال وعلى أي شيء يضربني الشيخ ولم أذنب، ولم يشعر بأنه وقع به ضربٌ البتة، وكان يعالج بآية الكرسي، وكان يأمر بكثرة قراءتها المصروع ومن يعالجه بها، وبقراءة المعوذتين.

وبالجملية فهذا النوع من الصرع، وعلاجه لا ينكره إلا قليل الحظ من العلم والعقل والمعرفة، وأكثر تسلط الأرواح الخبيثة على أهله تكون من جهة قلة دينهم، وخراب قلوبهم وألستهم من حقائق الذكر، والتعاويد، والتحصينات النبوية والإيمانية، فتلقى الروح الخبيثة الرجل أعزل لا سلاح

فيقوم بضربه بدعوى طرد الجن قال الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله -: (ينبغي تركه؛ لأنه قد يتعدي عليه وقد يضره على غير بصيرة، ولقد ورد عن بعض الأئمة فعل مثل ذلك الضرب. وهذا يحتاج إلى نظر؛ فإن الخنق والضرب قد يترتب عليه هلاك المريض، والمشروع هو القراءة فقط بالآيات والدعوات الطيبة، وهذا هو الذي ورد عن النبي ﷺ والصحابة رضوان الله عنهم ولا نعرف أنهم كانوا يضربون.. فالواجب عدم فعل ذلك وعدم التعرض لهذا الخطر العظيم، ولو كان خيراً لبيته النبي ﷺ وليبته الصحابة، ثم هذا في الغالب تحرصات قد تفضي إلى هلاك المريض) (مجلة الدعوة العدد ١٥٤٣).

معه، وربما كان عرياناً فيؤثر فيه هذا^(١).

قلت: هذا من جهة حقيقة تلبس الجن بالأنس. أما بالنسبة لقرين الجن فليس له علاقة بتلبس الإنس كما يعتقد كثير من المراجعين.

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**ما منكم من أحد إلا وقد وكل به قرينه من الجن**». قالوا: وإياك يا رسول الله؟ قال: «**وإياي إلا أن الله أعانني عليه فأسلم. فلا يأمرني إلا بخير**»^(٢).

«وكان ابن عيينة يرويه: فأسلم - بالضم - ويقول: إن الشيطان لا يسلم، لكن قوله في الرواية الأخرى: «فلا يأمرني إلا بخير» دل أنه لم يبق يأمره بالشر، وهذا إسلامه، وإن كان ذلك كناية عن خضوعه وذلته لا عن إيمانه بالله - كما يقهر الرجل عدوه الظاهر ويأسره، وقد عرف العدو المقهور أن ذلك القاهر يعرف ما يشير به عليه من الشر - فلا يقبله، بل يعاقبه على ذلك، فيحتاج لا نقهاره معه إلى أنه لا يشير عليه إلا بخير لذلتة وعجزه لا لصلاحه ودينه؛ ولهذا قال ﷺ: «**إلا أن الله أعانني عليه فلا يأمرني إلا بخير**»^(٣).

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٥٣)، الناشر دار الهلال - بيروت.

(٢) أخرجه مسلم، كتاب: صفة القيامة والجنة والنار، باب: تحريش الشيطان وبعثه إياه لفتنة الناس، وأن لكل إنسان قريناً، رقم: ٢٨١٤، ٤/٢١٦٧.

(٣) مجموع الفتاوى (٩/٢٨٤).

صرع الأخلاط:

وهو ما يعرف في زمننا الحاضر بالصرع العصبي، وقد عرف قديماً بصرع الأخلاط، وهو يختلف عن صرع الجن كما قال ابن القيم -رحمه الله-: (وأما صرع الأخلاط، فهو علةٌ تمنع الأعضاء النفسية^(١) عن الأفعال والحركة والانتصاب منعاً غير تام، وسببه خلطٌ غليظٌ لزجٌ يسد منافذ بطون الدماغ سدةً غير تامة، فيمتنع نفوذ الحس والحركة فيه وفي الأعضاء نفوذاً تاماً من غير انقطاع بالكلية، وقد تكون لأسبابٍ آخر كريحٍ غليظٍ يحتبس في منافذ الروح، أو بخارٍ رديءٍ يرتفع إليه من بعض الأعضاء، أو كيفية لاذعة، فينقبض الدماغ لدفع المؤذي، فيتبعه تشنجٌ في جميع الأعضاء، ولا يمكن أن يبقى الإنسان معه منتصباً، بل يسقط، ويظهر في فيه الزبد غالباً^(٢)).

وهذه العلة تعد من جملة الأمراض الحادة باعتبار وقت وجوده المؤلم خاصة، وقد تعد من جملة الأمراض المزمنة باعتبار طول مكثها، وعسر برئها، لا سيما أن تجاوز في السن خمساً وعشرين سنةً، وهذه العلة في دماغه، وخاصةً في جوهره، فإن صرع هؤلاء يكون لازماً، قال أبقرراط: «إن الصرع يبقى في هؤلاء حتى يموتوا»^(٣).

(١) يعني بذلك الأعضاء العصبية.

(٢) أثناء مشاركتي في إحدى اللقاءات مع بعض الأطباء وبعض الرقاة استشهدت بهذا الكلام في التمييز بين صرع الجن وصرع الأخلاط، فقال لي أحد الأطباء معجباً بهذا الكلام: هل درس ابن القيم رحمه الله الطب؟

(٣) قلت: في كلام أبقرراط هذا نظر وهذا على حد علمه في زمنه، أما في زمننا هذا فقد يشفى بعض مرضى الصرع تماماً بفضل الله ﷻ ثم بتناول الأدوية الحديثة.

إذا عرف هذا، فهذه المرأة التي جاء الحديث أنها كانت تصرع وتتكشف، يجوز أن يكون صرعها من هذا النوع، فوعدها النبي ﷺ الجنة بصبرها على هذا المرض، ودعا لها ألا تتكشف، وخيرها بين الصبر والجنة، وبين الدعاء لها بالشفاء من غير ضمان، فاختارت الصبر والجنة.

وفي ذلك دليل على جواز ترك المعالجة والتداوي، وأن علاج الأرواح بالدعوات والتوجه إلى الله يفعل ما لا يناله علاج الأطباء، وأن تأثيره وفعله، وتأثر الطبيعة عنه وانفعالها أعظم من تأثير الأدوية البدنية، وانفعال الطبيعة عنها، وقد جربنا هذا مراراً نحن وغيرنا، وعقلاء الأطباء معترفون بأن لفعل القوى النفسية، وانفعالاتها في شفاء الأمراض عجائب، وما على الصناعة الطبية أضر من زنادقة القوم، وسفلتهم، وجهالهم^(١).

(١) الطب النبوي لابن القيم (ص: ٥٤).

الرد على إنكار تلبس الجان بالإنس من قبل بعض المختصين النفسيين:

يقول الدكتور/ محمد بن جمال حولدار عضو هيئة التدريس بكلية الطب بجامعة الدمام حول هذا الموضوع:

بسم الله الرحمن الرحيم، الحمد لله رب العالمين، أما بعد:

وقفت على كلام لبعض المختصين النفسيين - أشير بكلمة مختص نفسي إلى كل من له علاقة بعلاج الأمراض النفسية سواء كان طبيباً أو معالجاً نفسياً أو أخصائياً اجتماعياً وكل مختص صحي يتعامل مع الأمراض النفسية - ينكرون فيه صراحة وإطلاق مسألة تلبس الجان بالإنس، ومما ظهر لي أن دافعهم الحرص على المرضى الذين يمتنع عدد منهم من زيارة المختص النفسي لاعتقاده بأنه مصاب بالتلبس حتى لو أكد له ثقة أنه بحاجة لزيارة مختص نفسي، أو بسبب النظرة السلبية تجاه الأمراض النفسية فتتفاقم حالة المريض وربما تعقد علاجه بسبب هذا التأخر، إلى غير ذلك من الأسباب. هذا الجزء من غير هؤلاء الزملاء على المرضى وحرصهم على نفع الناس يشكرون عليه جزاهم الله خيراً.

في معرض الرد على ثبوت التلبس تكلم بعض المختصين النفسيين في بعض الأدلة الواردة في هذه المسألة وذكروا أن ظواهر التلبس لها (تفسيرات علمية)، وأنه لم يكن بد في سابق الأزمان من اللجوء لتفسير هذه الظواهر بتلبس الجان بالإنس، أما في عصرنا الحديث ومع تقدم الطب

النفسي فلا يوجد شيء اسمه تلبس إذ كيف لما خلق من نار أن يتلبس مخلوقاً أصله من طين.

أرجو أن أكون قد وقفت في تلخيص الكلام الذي وقفت عليه، ولي مع الكلام المذكور أعلاه وقفات من الناحية الموضوعية المتعلقة بالطب النفسي، وما توفيقني إلا بالله عليه توكلت وإليه أنيب:

١ - أولاً: هذه مسألة لها جانب شرعي ظاهر ولاشك أن من احترام التخصص أن نرجع لأهل العلم في الفتيا والمسائل الشرعية، ولذا أحيل القارئ الكريم إلى مراجع تفيد ثبوت تلبس الجان بالإنس بالأدلة من الكتاب والسنة واتفاق أهل السنة.

٢ - ثانياً: ما يذكره بعض الزملاء الكرام أن تلبس الجان بالإنس ما هو إلا ظواهر لها (تفسيرات علمية) كلام فيه إيهام - غير مقصود إن شاء الله لغير المتخصصين - أن الطب النفسي الحديث أتى بتفسيرات قطعية لكثير من الأعراض والأدواء التي يعالجها، فهل هذا الكلام دقيق علمياً؟

كيف يتم تشخيص الأمراض النفسية^(١)؟

حتى نعرف دقة الكلام أعلاه لابد من تسليط الضوء على طريقة التشخيص المعتمدة في الطب النفسي جلّ التخصصات الطبية الأخرى تتوفر لها - بجانب التاريخ المرضي والفحص الجسدي - أدوات

(١) انظر: ص ٣٨.

تشخيصية موضوعية تسهم بشكل كبير في دقة التشخيص كتحاليل الدم والبول والبراز أكرم الله القارئ والأشعة بمختلف أنواعها وتحليل مختلف سوائل الجسم والتخطيط الكهربى للقلب والدماغ إلى آخره من الأدوات التشخيصية، في المقابل نجد أن الطب النفسى - فى الأعم الأغلب - يفتقر إلى ذلك، إذ يعتمد التشخيص فيه بالدرجة الأولى على تمييز الأنماط بعد أخذ تاريخ مرضى مفصل.

يعتمد الطبيب النفسى على دليل تشخيصى - أشهر الأدلة التشخيصية هو الدليل الأمريكى DSM من إصدار الجمعية الأمريكية للطب النفسى والتصنيف العالمى للأمراض ICD من إصدار منظمة الصحة العالمية - وفى كل من الدليلين ذكر لمختلف الأمراض النفسية والأعراض لكل مرض، بعد أن يستمع الطبيب النفسى للمريض ويسأله عن مختلف الأعراض ثم بمقارنة مجموع الأعراض التى يشتكى منها المريض والعلامات البادية عليه يصل للتشخيص المناسب إن شاء الله، وهكذا، فالتشخيصات المدونة فى الأدلة التشخيصية لا تفيد تفسيراً علمياً وسبباً واضحاً للمرض النفسى الذى يعاني منه المريض بقدر ما تبين أن مجموع هذه الأعراض يعنى أنه مصاب بهذا المرض أو ذاك وبالتالي يستطيع المختصون التواصل فيما بينهم فيما يتعلق بحالة المريض وتقديم العلاج المناسب، ولذا فالطب النفسى فى كثير من الأمراض التى يعالجها لم يصل

بعد لَكُنْهَها ومع هذا فتميزها بهذه الأعراض أسهم كثيراً في علاج المرضى وتخفيف معاناتهم والحمد لله، فكم من مريض أنقذه الله برحمته ثم بالعلاج النفسي المناسب من الانتحار وآخر عاد إلى ممارسة حياته بشكل طبيعي وثالث كادت حياته الأسرية أن تنهار، فلله الحمد من قبل ومن بعد.

٣- أين الخلل في الاستناد إلى تفسيرات الطب النفسي لنفي تلبس

الجان بالإنس؟

إذن ما الخلل في الاستناد إلى تفسيرات الطب النفسي في إنكار التلبس؟ الخلل بكل وضوح أن ذكر المختص بأن هذه الظواهر لها تفسيرات علمية في الطب النفسي يوهم غير المختصين بدقة هذه التفسيرات وأن الطب النفسي درسها وتأملها وأتى بنتائج قطعية، ولا شك أن هذه مجازفة علمية - غير مقصودة إن شاء الله - تعطي تصوراً مغلوطاً عن الطب النفسي لغير المختصين إذا كان الطب النفسي لم يصل بعد لتفسيرات علمية قطعية لجل الأمراض النفسية، فكيف له أن يفسر ظواهر تلبس الجان بالإنس وعالم الجن عالم غيبي لا سبيل للوصول إليه إلا بنصوص الوحيين؟ فإذا أضفنا إلى ذلك أن الطب النفسي الحديث - شأنه شأن التخصصات الطبية الأخرى - تخصص مادي لا يعتمد إلا على التجربة والملاحظة وعليه فهو تخصص لا يعتد بالغيبيات، فكيف يمكن للمختص النفسي إنكار مسألة من عالم الغيب وردت فيها الأدلة الشرعية واتفاق أهل السنة مستنداً إلى الطب النفسي الذي ليس في قاموسه اعتداد بالغيبيات؟

٤ - ما العواقب المترتبة على نفي تلبس الجان بالإنس بحجة

التفسيرات العلمية؟

كما ذكرت سابقاً أن الطب النفسي الحديث طب مادي لا يعتد بالغيبيات، وقضايا السحر والتلبس من عالم الغيب ولا طريق لفهمها بالطرق المتبعة لدراسة الأمراض النفسية، فكيف يستند المختص النفسي إذن على نظريات الطب النفسي في نفي أمر غيبي؟

حسناً، لنعتمد هذا المسلك - أي مسلك اعتماد التفسيرات المادية وإهمال الغيبيات - ولننف السحر والعين لأن الطب النفسي سيسلك الطرق المادية المعتبرة في تفسير ظواهر تلبس الجان بالإنس ويقدم تفسيراً لأعراض نفسية سببها العين أو السحر، فإن قال المختص النفسي لا يمكننا نفي السحر والعين لأنها ثابتة بالنصوص قيل له وكذلك تلبس الجان بالإنس جاءت به النصوص واتفق عليه أهل السنة، وإن كان ينفي تلبس الجان بالإنس لأن له تفسيرات علمية في الطب النفسي الحديث فعليه نفي السحر والعين لأنها لن يعدهما تفسيرات علمية.

وهكذا يتبين خطورة هذا المسلك الذي من لازمه إنكار ما أثبتته الشريعة مما هو خارج الحس ما لم يعضده العلم المعاصر - القائم بدرجة أساسية على الحس والملاحظة والتجربة - وعليه فيخشى أن يؤول سلوك هذه الطريقة إلى تقديم التجارب العلمية وجعلها المصدر الوحيد ونفي ما لا تثبته ولو جاء به الوحيان، والله المستعان.

٥ - الخلاصة:

ختاماً، هذه الورقة هدفها بيان أن الطب النفسي على ما فيه من نفع عظيم هو طب مادي لا يعتدّ بالغيبات فلا يجوز مهنيّاً - فضلاً عن شرعاً - التعويل عليه في إنكار تلبس الجان بالإنس، ولا شك أن من المهنية و(احترام التخصص) ألا نتكلم في غير تخصصاتنا وننفي أموراً لا يملك تخصصنا أدوات الحكم عليها نفيّاً وإثباتاً، والكلام في القضايا الشرعية وتأويل النصوص من أي إنسان لا يعرف منه تأهل في العلم الشرعي وتمكن من أدواته لا شك أنه خطر عظيم على دينه، فتقحم الكلام في الأدلة الشرعية وإبداء الآراء الشخصية فيها يتجاوز عدم (احترام التخصص) إلى القول على الله بغير علم، وأعظم بها من موبقة أعيد بالله نفسي وزملائي منها.

زملائي المختصين في الصحة النفسية، لا شك أن فئاماً من الناس يتعلقون بالأوهام ومع هذا فلا يجوز لنا الخوض في قضايا شرعية لا يملك الطب النفسي أن يحيط بتفسيرها ولو كان بدافع الغيرة على المرضى وحرصاً عليهم.

شكر الله لكل مختص حرصه على المرضى وغيرته عليهم، ورزقنا جميعاً علماً نافعاً ننفع به مرضانا، والحمد لله رب العالمين^(١) هـ.

قلت: ما أروع هذا الكلام لكونه صادر من مختص في مجال الطب النفسي على حد قوله تعالى ﴿وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾ يوسف: ٢٦

(١) وكتب: محمد بن جمال حولدار شهادة الاختصاص الكندية في الطب النفسي (البورد الكندي ٢٣ صفر ١٤٣٨ هـ).

https://twitter.com/mohammad_holdar/status/٨٠١٢٦٦٧٠١٠٢٧٣٩٣٥٣٦?s=١٢

ويقول العالم (كارنجتون) عضو جمعية البحوث النفسية الأمريكية عن حالة المس: «واضح أن حالة المس هي على الأقل حالة واقعية لا يستطيع العلم بعد أن يهمل أمرها، ما دامت توجد حقائق كثيرة مدهشة تؤيدها، وما دام الأمر كذلك فإن دراستها أصبحت لازمة وواجبة، لا من الوجهة الأكاديمية فقط، بل لأن مئات من الناس وألوفاً يعانون في الوقت الحاضر من هذه الحالة، ولأن شفاءهم يستلزم الفحص السريع والعلاج الفوري، وإذا ما نحن قررنا مكنة المس من الوجهة النظرية انفتح أمامنا مجال فسيح للبحث والتقصي، ويتطلب كل ما يتطلبه العلم الحديث والتفكير السيכולوجي من العناية والحدق والجلد»^(١).

وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «أن طب الأطباء بالنسبة إلى طب الأنبياء أقل من نسبة طب الطُّرُقِيَّة^(٢) والعجائز إلى طب الأطباء، وأن بين ما يلقي بالوحي، وبين ما يلقي بالتجربة والقياس من الفرق أعظم مما بين القدم والمفرق^(٣)، ولو أن هؤلاء الجهال وجدوا دواء منصوباً عن بعض اليهود والنصارى والمشركون من الأطباء لتلقَّوه بالقبول والتسليم، ولم يتوقفوا على تجربته»^(٤).

(١) عالم الجن والملائكة، د. عبدالرزاق نوفل ص ٨٣.

(٢) الطُّرُقِيَّة أي: السحرة والمشعوذون والدجالون.

(٣) المفرق أي: مفرق الرأس.

(٤) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٨٧٥ - ٨٧٦).

حكم تلبس الجن بالإنس:

هذا وقد سئل سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - عن حكم تلبس الجن بالإنس بما نصه:

س: هل يجوز للجن الصالحين أن يسكنوا في أجساد المسلمين من الإنس، مع الدليل؟ مع العلم أن بعض الجن الصالحين لا يلحقون أذى بالإنس، بل ينزلون ويتلبسون، لكي يستمعوا الذكر والقرآن، وبعض الجن الصالحين يقرأ القرآن ويُخرج مَرَدَّة الجن من بعض الإنس بلسان صاحبه الإنسي الذي يسكن فيه؟ جزاكم الله خيراً. فأجاب - رحمه الله -:

ج: لا شك أنه لا يجوز للجن أن يسكن في أجسام الإنس، ولا أن يتعدى عليهم، ولا أن يؤذيهم، ومن أعظم الظلم، ومن أعظم الأذى، أن يخالط الجنّي الإنسي، وأن يسكن في جسمه وأن يتلبس به، لما في ذلك من إفساد عقله، وجعله في حكم المجانين، ومع ما في ذلك من الشرور الأخرى، والأذى للآخر، والله يقول سبحانه: ﴿وَمَنْ يَظْلِمِ مِنْكُمْ نَفْسَهُ عَذَابًا كَبِيرًا﴾^(١). ويقول جل وعلا في كتابه العظيم: ﴿وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾^(٢). ويقول: ﴿وَأَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾^(٣). فلا

(١) سورة الفرقان، الآية: ١٩.

(٢) سورة الشورى، الآية: ٨.

(٣) سورة الفرقان، الآية: ٣٧.

يجوز للجني أن يؤذي الإنسي المسلم، ولا يجوز للإنسي أن يؤذيهم ويضرهم، كل منهم عليه الحذر من الآخر، والحذر من ظلمه، ومعلوم ما في حلول الجني في الإنسي من أضرار كثيرة، وفساد كبير سواء كان مسلماً أو كافراً، ليس له أن يسكن في الإنسي وليس له أن يؤذيه، ولا يضره، ومعلوم أيضاً ما يحصل للناس من النفرة من هذا الذي داخله الجني، وما يحصل عليه من المضرة، والأذى في ذلك.

فالواجب على الجن أن يحذروا ظلم الإنس، وأن يتعدوا عن أذاهم، وإذا أراد سماع القرآن يسمعه في حلقات العلم، وحلقات القرآن من غير تلبسه بالإنسي، في إمكانه سماع القرآن وسماع الأحاديث، بحضور حلقات العلم في المساجد، وغيرها، أما احتجاجه على ذلك بأنه يجب أن يسمع منه القرآن هذا غلط، ودعوى خاطئة لا وجه لها، والله المستعان، وعلى الإنسي أن يتعوذ بالأعواد الشرعية التي يعيذه الله بها من الجن، ومن ذلك آية الكرسي عند النوم، ومن ذلك قراءة قل هو الله أحد، والمعوذتين عند النوم ثلاث مرات، ومن ذلك أن يقول مساءً وصباحاً: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، يقول ﷺ: «من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، لم يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك»^(١).

(١) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب في التعوذ من سوء القضاء ودرك

وقال: «من قالها ثلاثاً في ليلة لم تُصبه حَمَّة»^(١). يعني: سُماً من ذوات السموم، ومن ذلك أن يقول: «بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الأرض ولا في السماء وهو السميع العليم». ثلاث مرات يقول ﷺ: «من قالها ثلاث مرات لا يضره شيء، صباحاً ومساءً»^(٢).

ومن ذلك أن يقول: «أعوذ بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة»^(٣). كان المصطفى عليه الصلاة والسلام يعوذ بهما الحسن والحسين كل ليلة، هذه التعوذات الشرعية مما يحفظ الله بها العبد من أذى الجن وغيرهم، ومن ذلك: «أعوذ بكلمات الله التامات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر، من شر ما خلق وذراً وبرأ، ومن شر ما ينزل من السماء، ومن شر ما يعرج فيها، ومن شر ما ينزل في الأرض، ومن شر ما يخرج منها، ومن شر فتن الليل والنهار، ومن شر كل طارق إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن»^(٤). وفي الحديث: «إن العبد إذا دخل بيته مساءً، وقال: بسم الله قال الشيطان لغيره: لا مبيت، وإذا سمى عند أكله قال: لا مبيت ولا عشاء»^(٥).

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسند المكيين مسند أبي هريرة رضي الله عنه، برقم ٧٨٣٨، والترمذي في كتاب الدعوات، باب الاستعاذة، برقم ٣٩٦٦.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسند العشرة المبشرين بالجنة، مسند عثمان بن عفان رضي الله عنه، برقم ٤٧٦.

(٣) أخرجه البخاري في كتاب أحاديث الأنبياء، باب قول الله تعالى: (واتخذ الله إبراهيم خليلاً)، برقم ٣٣٧١.

(٤) أخرجه أحمد في مسند المكيين، حديث عبدالرحمن بن خنيش رضي الله عنه برقم ١٥٤٦٠، وقال الألباني في السلسلة الصحيحة: إسناده حسن، رقم: ٢٩٩٥.

(٥) أخرجه مسلم في كتاب: الأثرية، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامها، برقم ٢٠١٨.

تسمية الله والتعوذ به من أسباب السلامة من الشياطين، فينبغي له أن يحافظ على ذلك، وأن يأخذ بالأوراد الشرعية، التي بينها الرسول ﷺ، وفي ذلك حفظ من الله عز وجل، وسلامة العبد من أذى الجن والإنس جميعاً، والله المستعان» اهـ^(١).

ومما جاء عن أسباب السلامة من الشيطان ما رواه جابر رضي الله عنه عن النبي ﷺ: «إذا كان جنح الليل، أو أمسيتم - فكفُّوا صبيانكم، فإن الشيطان ينتشر حينئذ، فإذا ذهب ساعة من الليل فخلوهم، وأغلقوا الأبواب واذكروا اسم الله فإن الشيطان لا يفتح باباً مغلقاً، وأوكوا قربكم، واذكروا اسم الله، وخمّروا آئيتكم، واذكروا اسم الله، ولو أن تعرضوا عليها شيئاً، وأطفئوا مصابيحكم»^(٢).

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله - : «ولما غفل الناس عن الأوراد الشرعية كثرت فيهم الجن الآن وتلاعبت بهم»^(٣).



(١) فتاوى نور على الدرب لساحة الشيخ عبدالعزيز بن باز، الطبعة الأولى ١٤٢٨ هـ (١/ ٢٣٢ - ٢٣٥).

(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٦٢٣) باب تغطية الإناء (٧/ ١١١)، وأخرجه مسلم برقم (٢٠١٢) باب الأمر بتغطية الإناء (٣/ ١٥٩٥).

(٣) لقاء الباب المفتوح لابن عثيمين (الجزء ١٩٧ ص ١٨).

١٣ - نظرة حول حول إيجاء تلبس الجن

إن قابلية إيجاء المريض النفسي بتلبس الجن أو السحر أو العين تندرج تحت الاضطرابات الانشقاقية التحوّلية ومن إحدى ما تتميز به الشخصيات الهستيرية.

وفي نظري بأن نسبة قابلية الإيجاء بإصابة تلبس الجن أو السحر أو العين لدى المرضى النفسيين قليلة، وليست على إطلاقها كما يزعم بعض الأطباء النفسيين بحسب تجربتي داخل المستشفى وخارجه.

فحينما تظهر أعراض الاضطرابات النفسية على المريض النفسي في بدايتها، يُنكر معاناته بالاضطرابات النفسية، فربما غاب الإدراك عن عقله، ويترتب على ذلك رفضه للعلاج سواء أكان الذهاب به إلى الراقي أو مراجعة الطبيب النفسي، فيشق على الأسرة في البداية مراجعة الطبيب النفسي، وذلك لعدة أمور وبعض الأخطاء الشائعة منها:

١ - الخوف من إشاعة الخبر أن فلاناً لديه ملف في أحد المستشفيات النفسية فيغلب على ظنهم أنها ستكون عثرة في طريق الزواج أو التقييم الدراسي أو الوظيفي.

٢ - الانزعاج من وصمة الأمراض النفسية واعتقادهم أنها مرتبطة بالجنون والتخلّف العقلي وهذا من كيد الشيطان لبني آدم.

٣- التكاليف الباهظة في العيادات النفسية الخاصة وبعدها المواعيد وكثرتها.
 ٤- الخلط بين الأدوية النفسية وآثارها الجانبية والأفكار الخاطئة بأنها مجرد مخدرات وتؤدي إلى الإدمان.

٥- اليأس من شفاء الأمراض النفسية وأنها مستمرة مدى الحياة.
 ٦- اعتقاد الكثير من الناس بأن الإصابة بالعين أو السحر أو المس من الجن أقل ضرراً من الاضطرابات النفسية.

هذه المعوقات تقريباً تُعدّ من أهم الأسباب التي تجعل الأسرة تصرف النظر عن مراجعة الطبيب النفسي ويتوجّهون إلى الرقاة مباشرة، ولا شك بأن القرآن شفاء قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي بِنَافِثَاتِ رُوحِهِمْ يَفْسَدُ وَشِفاءٌ﴾^(١).

فلعلي أترككم أن تتخللوا ما الذي يحصل للمريض النفسي عندما يواجه مثل هذه الظروف عند بعض الرقاة ممن اعتادهم كثرة المراجعين.

١- عندما يرفض المريض النفسي الرقية في الجلسة الأولى، قد يعتقد بعض الرقاة بأن هذا الرفض هو بسبب خوف الجن المتلبس بالمريض على أثر الرقية، فيزداد إصرار الأسرة على إرغام المريض بمواصلته على الرقية. وليس خوف المصابين بتلبس الجن أو السحر من بعض الرقاة على إطلاقه كما يعتقد الكثير من الناس، فما هو إذاً تفسير كثرة ازدحام المصابين

(١) سورة فصلت: (آية ٤٤).

بتلبس الجن أو السحر أو العين - شفاهم الله - عند بعض الرقاة؟
بل إن أكثرهم يتكررون على بعض الرقاة بمحض إرادتهم بعدما لمسوا
بركة القرآن.

٢- يتأثر المريض النفسي حينما ينظر إلى من حوله ممن يتخبطون أو ممن يتناهم
الصراع أو الصراخ أو البكاء أو التقيؤ شفاهم الله في أثناء الرقية
الجماعية^(١) فيتحول هذا التأثير إلى حقيقة مع الاستمرار فيكتسب
المريض النفسي هذه المهارة.

٣- يتفاوت الإيحاء من مريض نفسي إلى آخر على قدر تفاوت الحالة النفسية
وعلى حسب تصوّره للإصابة فمنهم من يتوهم إصابته بالعين، ومنهم من
يتوهم إصابته بالسحر، ومنهم من يتوهم إصابته بالمس من الجن.

٤- يزداد الإيحاء رسوخاً كلما واجه المريض النفسي عنفاً من بعض الرقاة
وكلما زجره أحدهم بكلمة أخرج ونحوها، وحينما يتكلف في رفع
الصوت، كما أن رفع الصوت يتعارض مع الخضوع والانكسار بين
يدي الله، كما وصف الله - عز وجل - دعاء زكريا - عليه السلام -

قال تعالى: ﴿ذَكَرْ رَحْمَتَ رَبِّكَ عَبْدَهُ زَكَرِيَّا﴾ ٢١ إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً

(١) أو مداومة المرضى النفسيين على مشاهدة بعض الرقاة الذين يقومون بالرقية على المرضى
ويتخبطون وذلك عبر أجهزة التواصل الاجتماعي.

خَفِيًّا ^(١). وقول النبي ﷺ للصحابة عندما سمعهم يرفعون أصواتهم بالدعاء في إحدى الغزوات فقال: **«يَا أَيُّهَا النَّاسُ، ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لَا تَدْعُونَ أَصَمَّ وَلَا غَائِبًا، إِنَّمَا تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا»** ^(٢).

والرقية ضرب من ضروب الدعاء وطلب العون والشفاء من الله، والله عز وجل يقول: **«ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً»** ^(٣).

٥ - يعتقد بعض أهالي المرضى وبعض الرقاة بأن المريض النفسي كلما ساءت حالته النفسية، فهو دليل على ضعف الجان المتلبس بالمريض، والحقيقة خلاف ذلك، فكلما ضعف الجان المتلبس بالمريض من أثر الرقية، تحسنت حالته النفسية والعضوية معاً، فلو كان في الجسد عارض كالمس من الجن أو السحر أو العين فإنه لن يثبت أمام القرآن بإذن الله.

قال تعالى: **«أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ»** ^(٤).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «فمن لم يشفه القرآن فلا شفاه الله، ومن لم يكفه فلا كفاه الله» ^(٥).

(١) سورة مريم، آية ٣.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: القدر، باب: لا حول ولا قوة إلا بالله، رقم: ٦٦١، ٨/ ١٢٥.

(٣) سورة الأعراف: (آية ٥٥).

(٤) سورة العنكبوت، الآية: ٥١.

(٥) زاد المعاد لابن القيم (٣/ ٨٧٥).

بل إن تدهور حالة المريض النفسية بعد الرقية - أحياناً - فيها دلالة على إثقال كاهله بالوهم، حينما يصفه بعض الرقاة بتلبس الجن أو السحر أو العين، ولهذا نجد أن بعض الرقاة يؤكد نطق الجن على لسان المريض بعد أربعين يوماً! وآخر يقول: بعد ثلاثة أشهر من استمرار المريض على الرقية! وذلك حينما تتمكن قابلية الإيحاء من المريض تماماً خلال هذه الفترة! والسؤال: ما الدليل على هذا التوقيت الزماني؟

فلعلي أذكر قصة حول هذا الموضوع:

طلب مني أحد الإخوة القراءة على زوجته التي يعتقد أنها مصابة بتلبس الجن بعد ما استمرت عند بعض الرقاة ما يقارب العام.

ولاحظت في أثناء القراءة عليها أن التخبُّط والصراخ مُفتعل ويزداد بعد كل جلسة لمدة ثلاثة أيام حتى خشنا من انزعاج الجيران، بينما المعتاد في أثناء الرقية على المصاب بتلبس الجن أو السحر هو ضعف التخبُّط شيئاً فشيئاً - بإذن الله - بعد كل جلسة، قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾^(١).

فأخبرت زوجها بأنها ليست مصابة بتلبس الجن وأنها تعاني من حالة نفسية، وفي الجلسة الرابعة تقريباً اتفقت أنا وزوجها على زعزعة الإيحاء

(١) سورة النساء، آية ٧٦.

النفسي^(١)، فبدأت القراءة بصوت مرتفع إلى أن استغرقت في الإيحاء، ثم قرأت بصوت منخفض حتى هدأت، وداومتُ على هذا المنوال إلى أن أنصت بهدوء أثناء قراءتي بصوت منخفض لكي تستمع وتترقب ماذا أقول:

فقلت من أنت؟ قالت: أنا برجس أو اسم نحوه، فقلت من أين أتيت؟ قالت من العراق، قلت أتيت راكباً طائرة أم سيارة؟ قالت أكيد أطيّر، فقلت ماذا تريد حتى تخرج؟ فرفضت الإجابة، فقلت أتريد أن نأتي لك بآيس كريم حتى تخرج؟ قالت: (تنكّت)^(٢)، فقلت اخرج من القدم، فإذا بقدمها تهتزّ وكانت مسترة تماماً، فقلت لزوجها هل توافقني على خروج الجنّي؟ قال: نعم^(٣).

فلم ألاحظ في أثناء الرقية عليها شيئاً يذكر بعد ما يقارب ثلاث جلسات، وبعد ذلك حاولت إقناعها -بطريقة وأخرى- أن تراجع الطيبة النفسية لصرف الدواء المناسب، واتصل زوجها بعد فترة ييشرنى بأن حالتها النفسية تحسّنت كثيراً وذهبت إلى مكة لأداء العمرة بفضل الله؛ فينبغي أن لا نلتفت إلى تأثر المريض في أثناء الرقية، بقدر التركيز على تحسّنه بعدها حتى لا نقع في

(١) وهذه الطريقة ضرب من العلاج بالتخييل، انظر: (ص ١٢٩).

(٢) المقصود: المزاح والضحك، وهذا في عرف العامة، أما معناها عند العلماء هي الفوائد العلمية.

(٣) بالطبع ذهب توهم تلبس الجن من ذهنها، وقد سألت الشيخ أ.د. سعد بن تركي الخثلان عن جواز الكذب على المريض النفسي؟ فأجاب بالجواز مع التأول بأن تعتقد معنى صحيحاً وتظهر له معنى آخر.

اللبس مع قابلية الإيحاء لدى المريض النفسي.

وهنا أسوق قصة طريفة وظريفة حول هذا الموضوع ذكرها الشيخ الأديب علي الطنطاوي - رحمه الله -:

ذكر الشيخ علي الطنطاوي رحمه الله عن الشيخ الخضري - رحمه الله -: أصيب في أواخر عمره بتوهم أن في أمعائه ثعباناً، فراجع الأطباء، وسأل الحكماء، فكانوا يدارون الضحك حياءً منه، ويخبرونه أن الأمعاء قد يسكنها الدود، ولكن لا تقطنها الثعابين، فلا يصدق. حتى وصل إلى طبيب حاذق بالطب، بصير بالنفسيات، قد سمع بقصته، فسقاه مسهلاً، وأدخله المستراح، وكان وضع له ثعباناً، فلما رآه أشرق وجهه، ونشط جسمه، وأحس بالعافية، ونزل يقفز قفزاً، وكان قد صعد متحاملاً على نفسه، يلهث إعياء، ويئن ويتوجع، ولم يمرض بعد ذلك أبداً، قال الشيخ علي الطنطاوي: «ما شفي الشيخ لأن ثعباناً كان في بطنه ونزل، بل لأن ثعباناً كان في رأسه وطار»^(١).

وهذه الطريقة التي سلكها - أيضاً - هذا الطبيب تدل على موافقتها لكلام ابن القيم - رحمه الله - الذي تقدم ذكره عن العلاج بالتخييل^(٢).



(١) صور وخواطر، للشيخ علي الطنطاوي، ص ١٥.

(٢) انظر: ص ١٣٠.

١٤ - نظرة حول الرقية الشرعية

لا يخفى على أحد من المسلمين ما للقرآن الكريم من أثر فعال في علاج أمراض القلوب والأبدان قال تعالى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾^(٢).
قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «ذلك أن الشفاء إنما يحصل لمن يتعمد الدواء، وهم المؤمنون، وضعوا دواء القرآن على داء قلوبهم»^(٣).
وقالت عائشة رضي الله عنها: «كان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا مرض أحد من أهله، نفث عليه بالمعوذات»^(٤).

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «فالقرآن هو الشفاء التام من جميع الأدواء القلبية والبدنية، وأدواء الدنيا والآخرة، وما كل أحد يؤهل ولا يوفق للاستشفاء به، وإذا أحسن العليل التداوي به، ووضع على دائه بصدق وإيمان، وقبول تام، واعتقاد جازم، واستيفاء شروطه، لم يقاومه الداء أبداً.

وكيف تُقاوم الأدواء كلام رب الأرض والسماء الذي لو نزل على الجبال لصدَّعها، أو على الأرض لقطعها، فما من مرض من أمراض

(١) سورة يونس: (آية ٥٧).

(٢) سورة الإسراء: (آية ٨٢).

(٣) مجموع الفتاوى (١٠/١٤٣).

(٤) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: رقية المريض بالمعوذات والنفث، رقم: ٢١٩٢، ٤/١٧٢٣.

القلوب والأبدان إلا وفي القرآن سبيل الدلالة على دائه وسببه، والحماية منه لمن رزقه الله فهماً في كتابه»^(١).

قال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا بَلَغَتِ التَّرَاقِيَ ﴿٦٦﴾ وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ ﴿٦٧﴾﴾^(٢).

قال العلامة عبدالرحمن السعدي - رحمه الله - تعليقاً على هذه الآية. «يعظ تعالى عباده بذكر حال المحتضر عند السياق، وأنه إذا بلغت روحه التراقي، وهي العظام المكتنفة لثغرة النحر، فحينئذ يشتد الكرب، ويطلب كل وسيلة وسبب، يظن أن يحصل به الشفاء والراحة، ولهذا قال: ﴿وَقِيلَ مَنْ رَاقٍ﴾ أي: من يرقيه من الرقية لأنهم انقطعت آمالهم من الأسباب العادية، فلم يبق إلا الأسباب الإلهية»^(٣).

قال ابن الجوزي - رحمه الله -: «من لم يعتز بطاعة الله لم يزل ذليلاً، ومن لم يستشفي بكتاب الله لم يزل عليلاً، ومن لم يستغني في الافتقار إلى الله فهو الدهر فقيراً، ومن لم يتحقق بالعبودية لله فهو لكل شيء عبد وفي قبضة الله كل أسير، ومن لم يتوكل على الله أصابه كل رام»^(٤).

والقرآن الكريم عالج أعظم داء وقعت فيه البشرية وهو الشرك بالله سبحانه وتعالى، فكيف بغير الشرك من الأدواء؟! قال تعالى:

﴿الرَّكَتَدُ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ النَّاسَ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾^(٥).

(١) زاد المعاد ٣ / ٨٧٥.

(٢) سورة القيامة، الآية ٢٦.

(٣) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٩٠٠).

(٤) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص ٣٨).

(٥) سورة إبراهيم: (آية ١).

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء في المملكة العربية السعودية رقم (١٨٤٥٠) ونصه:

«س: كثر في هذه الأيام أدعياء الطب من غير الأطباء المعتمدين من قبل وزارة الصحة، ونظراً لخطورة فئة منهم على العقيدة الإسلامية، فإنني أرجو أن أسمع رأي ديننا الإسلامي الحنيف في من يدعي أنه يعالج الناس بالكتاب والسنة ويقوم بفحص المرضى رجالاً ونساءً، وتشخيص أمراضهم ويصف لهم علاجات، ويقرأ لهم في الماء والعسل وغيره، مع أنه قد لا يعرف أصول الدين أو كيف يأخذ من الكتاب والسنة، على سبيل المثال: سمعت شريطاً لأحد المشايخ يقول: إن علاج القلق هو أن يقرأ المريض كل يوم جزءاً من القرآن وتفسيره من ابن كثير، فكيف يكون أصل هذا العلاج من الكتاب والسنة؟

ج: رقية المريض بدنياً أو نفسياً أو من عين أو سحر أو غير ذلك لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم أو من الأدعية الصحيحة، وإذا كان ذلك ممن يُعرف بالعقيدة السليمة والالتزام بالأمور الشرعية، والمعرفة بأمور الطب فيما يخصّ التداوي بالأدوية المباحة.

قال الحافظ ابن حجر - رحمه الله -: (وقد أجمع العلماء على جواز الرقى عند اجتماع ثلاثة شروط:

- ١ - أن تكون بكلام الله تعالى أو بأسمائه وصفاته.
- ٢ - وأن تكون باللسان العربي، أو بها يُعرف معناه من غيره.
- ٣ - وأن يعتقد أن الرقية لا تؤثر بذاتها، بل بتقدير الله تعالى.

واختلفوا في كونها شرطاً، والراجح أنه لا بد من اعتبار الشروط المذكورة، ففي صحيح مسلم من حديث عوف بن مالك رضي الله عنه قال: كنا نرقى في الجاهلة فقلنا: يا رسول الله: كيف ترى في ذلك؟ قال: **(اعرضوا عليّ رقاكم، لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك)** ^(١).

وله من حديث جابر رضي الله عنه: نهى رسول الله ﷺ عن الرقى، فجاءه آل عمرو بن حزم فقالوا: يا رسول الله: إنه كانت عندنا رقية نرقى بها من العقرب. قال: **فعرضوا عليه فقال: (ما أرى بأساً، من استطاع أن ينفع أخاه فليفعل)** ^(٢).

وقد تمسك قوم بهذا العموم فأجازوا كل رقية جربت منفعتها، ولو لم يعقل معناها، لكن دل حديث عوف أنه مهما كان من الرقى يؤدي إلى الشرك يمنع وما لا يعقل معناه لا يؤمن أن يؤدي إلى الشرك فيمنع احتياطاً، والشرط الآخر لا بد منه). ١. هـ ^(٣).

وما لا يُعقل معناه إن لم يؤد إلى الشرك فإنه يفتح باب الشعوذة وتسويغ أعمال السحرة والمبتدعين والخرافيين.

أما من يدعون علم الغيب أو يستحضرون الجن أو أشباههم من المشعوذين أو المجهولين الذين لا تعرف حالهم ولا تعرف كيفية علاجهم فلا يجوز إتيانهم، ولا سؤالهم، ولا العلاج عندهم؛ لقول النبي ﷺ: **(من**

(١) رواه مسلم في صحيحه، باب لا بأس بالرقى ما لم يكن فيه شرك. برقم (٦٤) (٤/١٧٢٧)

(٢) صحيح مسلم، السلام، (٢١٩٩)، سنن ابن ماجه، الطب، (٣٥١٥)، ومسنند أحمد (٣/٣١٥).

(٣) الفتح (١٩٥/١٠).

أتى عرافاً فسأله عن شيء لم تقبل منه صلاة أربعين ليلة^(١). وقوله ﷺ: (من أتى عرافاً أو كاهناً فصدقه بما يقول، فقد كفر بما أنزل على محمد ﷺ)^(٢).

وأحاديث أخرى في هذا الباب كلها تدل على تحريم سؤال العرافين والكهنة وتصديقهم، وهم الذين يدعون علم الغيب أو يستعينون بالجن أو يوجد من أعمالهم وتصرفاتهم ما يدل على ذلك، وفيهم وأشباههم ورد الحديث المشهور الذي رواه الإمام أحمد وأبو داود بإسناد جيد، عن جابر رضي الله عنه قال: سئل النبي ﷺ عن النشرة، فقال: (هي من عمل الشيطان)^(٣).

وفسر العلماء هذه النشرة: بأنها ما كان يُعمل في الجاهلية من حل السحر بمثله، ويلتحق بذلك كل علاج يستعان فيه بالكهنة والعرافين وأصحاب الكذب والشعوذة.

ومن الأدعية المشروعة: (بسم الله أرقيك، من كل داء يؤذيك، ومن شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك، بسم الله أرقيك)، ومنها: (اللهم رب الناس أذهب البأس، واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر سقماً)^(٤).

(١) صحيح مسلم، السلام، ٢٢٣٠، مسند أحمد ٦٨/٤.

(٢) سنن الترمذي، الطهارة (١٣٥)، سنن أبو داود، الطب (٣٩٠٤)، سنن ابن ماجه، الطهارة وسننها (٦٣٩)، مسند أحمد بن حنبل (٤٧٦/٢)، وسنن الدارمي، الطهارة، (١١٣٦)، وصححه الألباني في صحيح الجامع رقم (٥٩٣٩).

(٣) سنن أبي داود، الطب (٣٨٦٨)، مسند أحمد (٢٩٤/٣).

(٤) سنن أبي داود، الطب، (٣٨٨٣)، سنن ابن ماجه، الطب، (٣٥٣٠)، مسند أحمد،

ومنها: أن يضع الإنسان يده على موضع الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: **(بسم الله، أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر)** ^(١) سبع مرات. إلى غير ذلك.

أما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها على المريض فلا يجوز على الصحيح؛ لأن النبي ﷺ نهى عن ذلك وقال: **(إن الرقى والتائم والتولة شرك)** ويستثنى من ذلك ما أجازاه الشرع من الرقى.

أما النفث في الماء، فإن كان المراد به التبرك بريق النفث فهو حرام، ويُعدّ من وسائل الشرك؛ لأن ريق الإنسان ليس بركة ولا شفاء، ولا أحد يُتبرك بريقه إلا رسول الله ﷺ.

وأما النفث بالريق مع تلاوة القرآن الكريم والأدعية، مثل أن يقرأ الفاتحة، والفاخرة رقية وهي أعظم ما يرقى به المريض، فهذا لا بأس به، وقد فعله أصحاب النبي ﷺ في رقية اللديغ فشفاه الله، وأخبروا النبي ﷺ بذلك فأقرهم عليه، وقال: **(أصبتم)**، وهو مجرب ونافع بإذن الله، وقد كان النبي ﷺ ينفث في يديه عند نومه بـ: **﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾**، و**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾** و**﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾**، فيمسح بهما وجهه وما استطاع من جسده ثلاث مرات.

(١/ ٣٨١).

(١) صحيح مسلم، السلام، (٢٢٠٢)، سنن الترمذي، الطب، (٢٠٨٠)، سنن أبي داود، الطب (٣٨٩١)، وابن ماجه، الطب، (٣٥٢٢)، مسند أحمد، (٢١٧/٤)، موطأ مالك الجامع، (١٧٥٤).

أما ما جاء في السؤال من أن علاج القلق هو قراءة جزء من القرآن وتفسيره من ابن كثير فلا أصل له، لكن القرآن كله مما يُرقى به وينفع الله به. وأما تخصيص آيات معينة لرقية بعض الأمراض بلا دليل فلا يجوز، فإن القرآن خير كله وشفاء للمؤمنين، ومن أعظم ما يُرقى به منه الفاتحة كما سبق^(١).

ويجب التنبيه إلى أن القرآن ما نزل ليكون دواء لأمراض الناس البدنية فقط، لكن نزل لأمرٍ عظيم وخطب جليل؛ ليكون نذيراً للعالمين وهادياً إلى صراط الله المستقيم، وحاكماً بينهم فيما يختلفون فيه، ومحدّراً من طريق الكفر والكافرين، وهو مع هذا ينفع الله تعالى به عباده المؤمنين من أسقامهم الدينية والبدنية، كما قال تعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي هَدَىٰ وَشَفَاءُ﴾^(٢) وقال تعالى: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا﴾^(٤).

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم^(٥).

(١) ومن أسماء الفاتحة (الرقية).

(٢) سورة فصلت: (آية ٤٤).

(٣) قال ابن القيم -رحمه الله-: «ومن هنا لبيان الجنس، لا للتبويض، فإن القرآن كله شفاء، كما قال في الآية الأخرى: ﴿يَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِدَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ [يونس: ٥٧] فهو شفاء للقلوب من داء الجهل، والشك والريب، فلم يُنزل الله سبحانه من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع، ولا أعظم، ولا أسرع في إزالة الداء من القرآن» الجواب الكافي، (ص ٣).

(٤) سورة الإسراء: (آية ٨٢).

(٥) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء، ١ / ٧٢.

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبدالله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

وقد سئل معالي الشيخ الدكتور / عبدالكريم بن عبدالله الخضير عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء وفقه الله: «هل تُمنع الرقية الشرعية إذا كان المريض لا بد له من التدخل الجراحي، كأن يكون التدخل لاستخراج الحصاة وغيرها من جوف البدن، أو أن تكون الرقية الشرعية للمكسور أو من به فتق فاحتاج إلى خياطة وغيرها مما يحتاج إلى تدخل محسوس؟

فأجاب - حفظه الله -: أن الرقية جاءت بها النصوص، وهي سبب شرعي معتبر له أثره العجيب، لا سيما إذا كان الراقي من أهل الخير والفضل والصلاح والعلم، فلا شك أن لها أثراً كبيراً، ولها أثر حتى في الأمور المحسوسة، والنص في السؤال يقول: (كأن يكون التدخل لاستخراج الحصاة)، أذكر مسألة واقعة لامرأة كبيرة في السن قرّرها عملية لاستخراج حصاة من المرارة أو من الكلية - نسيت الآن - فطلبت الخروج من المستشفى للاستخارة، فأخذت كأساً من ماء زمزم فقرأت فيه سورة الفاتحة والمعوذتين^(١)، فشربته فخرجت الحصاة، ثم رجعت إلى المستشفى وأجري لها تحليل فقليل لها: الحصاة ليست موجودة، فماذا صنعت؟ قالت: قرأت القرآن في ماء زمزم، والقرآن لو أنزل على جبل لرأته خاشعاً متصدعاً

(١) قال ابن القيم -رحمه الله-: (لا يستغني عنهما أحد قط يعني بذلك -المعوذتين- وأن لهما تأثيراً خاصاً في دفع السحر والعين وسائر الشرور، وأن حاجة العبد إلى الاستعاذة بهاتين السورتين أعظم من حاجته إلى النفس والطعام والشراب واللباس) (بدائع الفوائد الجزء الثاني ص ١٩٩).

من خشية الله، فالجبل يخشع ويتصدع بسبب القرآن، فتأثيره في هذه الحصة الصغيرة أمر لا شك أنه واقع، وقد وقع، فلا ييأس الإنسان، بل الأصل أن الإنسان يرقى نفسه كما كان النبي ﷺ يفعل، «**كان رسول الله ﷺ إذا أوى إلى فراشه نفث في كفيه بقل هو الله أحد، وبالمعوذتين جميعاً، ثم يمسح بهما وجهه، وما بلغت يده من جسده، قالت عائشة: فلما اشتكى كان يأمرني أن أفعل ذلك به**»^(١)، وأيضاً لا مانع من فعل الأسباب المحسوسة، فيتطافر هذا وهذا، والكل إن شاء الله فيه خير، فيجمع بينهما، ولا مانع، ومن العامة من يرى أنه لا أثر للرقية مع العلاج المحسوس، وهذا الكلام ليس بصحيح، نعم قد يتأخر تأثير الرقية إذا اعتمد اعتماداً كلياً على الطبيب أو على العلاج، وارتبط به ارتباطاً ونسي المسبب، فقد لا يتأثر بالرقية كما هو مجرب ومُشاهد، والرقية أيضاً لا شك أنها سبب من الأسباب قد يترتب عليها أثرها لانتفاء المانع، وقد لا يترتب عليها أثرها لوجود المانع»^(٢) انتهى الجواب.

وحول هذا المعنى يقول شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله -: «إن كثيراً من المرضى، أو أكثر المرضى يُشفون بلا تداءٍ، لاسيما في أهل الوبى والقرى والساكنين في نواحي الأرض، يشفيهم الله بما خلق فيهم من القوى المطبوعة في أبدانهم الرافعة للمرض، وفيما يسره لهم من نوع حركة وعمل، أو دعوة مستجابة، أو رقية نافعة، أو قوة للقلب، وحسن التوكل، إلى غير

(١) أخرجه البخاري، كتاب الطب، باب النفث في الرقية، حديث رقم ٥٧٤٨ (٧/١٣٣).

(٢) صحيفة الجزيرة، الجمعة ٢٠ ذي الحجة ١٤٢٧هـ، العدد ١٦٠٧٣.

ذلك من الأسباب الكثيرة غير الدواء»^(١).

عن أبي مسعود رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة في ليلة كفتاه**^(٢).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - عن آية الكرسي: جرب المجربون الذين لا يحصون كثرة أن لها من التأثير في دفع الشياطين وإبطال أحوالهم ما لا ينضب من كثرته وقوته فإن لها تأثيراً عصبياً في دفع الشيطان عن نفس الإنسان وعن المصروع وعن من تعينه الشياطين مثل أهل الظلم والغضب وأهل الشهوة والطرب، وأرباب سماع المكاء والتصدية إذا قرئت عليهم بصدق دفعت الشياطين وبطلت الأمور التي يخلها الشيطان ويبطل ما عند إخوان الشياطين من مكاشفة شيطانية وتصرف شيطاني^(٣).

وقال عبدالله بن مسعود رضي الله عنه: (من قرأ أربع آيات من أول سورة البقرة وآية الكرسي وآيتين بعد آية الكرسي، وثلاثاً من آخر سورة البقرة لم يقربه ولا أهله يومئذ شيطان ولا شيء يكرهه في أهله ولا ماله ولا يقرآن على مجنون إلا أفاق)^(٤).

وفي صحيح مسلم عن معدان بن أبي طلحة عن أبي الدرداء عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: **«أيعجز أحدكم أن يقرأ في ليلة ثلث القرآن؟» قالوا: وكيف يقرأ**

(١) مجموع الفتاوى (٥٦٣ / ٢١).

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: فضائل القرآن، باب: فضل سورة البقرة، رقم (٥٠٠٩)، ٦ / ١٨٨.

(٣) مجموع الفتاوى (٥٥ / ١٩).

(٤) الدر المنثور في التفسير بالمأثور (٧٠ / ١).

ثالث القرآن؟ قال: «قل هو الله أحد» تعدل ثلث القرآن»^(١).

وسئل شيخ الإسلام - رحمه الله - (عمّن يقرأ القرآن، هل يقرأ سورة الإخلاص مرة أو ثلاثاً؟ وما السنة في ذلك؟

فأجاب: إذا قرأ القرآن كله ينبغي أن يقرأها كما في المصحف مرة واحدة، هكذا قال العلماء؛ لئلا يزداد على ما في المصحف وأما إذا قرأها وحدها، أو مع بعض القرآن، فإنه إذا قرأها ثلاث مرات، عدلت القرآن. والله أعلم^(٢).

وأما الحديث في (الفاتحة) فروى البخاري في صحيحه عن أبي سعيد ابن المعلّى قال: «كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي. قال: (ألم يقل الله ﴿أَسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، ثم قال: لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن قال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم»^(٣).

وقال الإمام ابن القيم - رحمه الله - في بيان اشتغال الفاتحة على شفاء الأبدان.

(وأما تضمينها لشفاء الأبدان: فنذكر منه ما جاءت به السنة، وما شهدت به قواعد الطب، ودلت عليه التجربة.

(١) أخرجه مسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل قراءة (قل هو الله أحد) رقم (٨١١)، ١/٥٥٦.

(٢) مجموعة فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية: (٩/١١٩)، الطبعة الثانية ١٤٢٢، الناشر: دار الوفاء بمصر.

(٣) صحيح البخاري في فضائل القرآن (٥٠٠٦).

فأما ما دلت عليه السنة: ففي الصحيح من حديث ابن عباس: **أَنَّ نَفَرًا مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ مَرُّوا بِمَاءٍ، فِيهِمْ لَدِيغٌ أَوْ سَلِيمٌ، فَعَرَضَ لَهُمْ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْمَاءِ، فَقَالَ: هَلْ فِيكُمْ مِنْ رَاقٍ، إِنَّ فِي الْمَاءِ رَجُلًا لَدِيغًا أَوْ سَلِيمًا، فَاَنْطَلَقَ رَجُلٌ مِنْهُمْ، فَقَرَأَ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ عَلَى شَاءٍ، فَبَرَأَ^(١)، فَجَاءَ بِالشَّاءِ إِلَى أَصْحَابِهِ، فَكَرِهُوا ذَلِكَ وَقَالُوا: أَخَذْتَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، حَتَّى قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخَذَ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ أَجْرًا، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنَّ أَحَقَّ مَا أَخَذْتُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا كِتَابُ اللَّهِ»^(٢).**

فقد تضمن هذا الحديث حصول شفاء هذا اللديغ بقراءة الفاتحة عليه، فأغتنه عن الدواء، وربما بلغت من شفائه ما لم يبلغه الدواء.

هذا مع كون المحل غير قابل، إما لكون هؤلاء الحي غير مسلمين، أو أهل بخل ولؤم، فكيف إذا كان المحل قابلاً^(٣).

ويقول - رحمه الله - في موضع آخر: (وفي تأثير الرقى بالفاتحة وغيرها في علاج ذوات السموم سرٌّ بديع، فإن ذوات السموم أثرت بكيفيات نفوسها الخبيثة... وسلاحها هُماتها التي تلدغ بها، وهي لا تلدغ حتى تغضب، فإذا غضبت ثار فيها السم فقذفته بآلتها وقد جعل الله سبحانه وتعالى لكل دواء داء، ولكل شيء ضداً، ونفس الراقى تفعل في نفس المرقى، فيقع بين نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء فتقوى

(١) يعني: اللديغ.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الشرط في الرقية بقطيع من الغنم، رقم: ٥٧٣٧،

١٣١/٧.

(٣) مدارج السالكين (ص: ٣٩)، الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ، دار ابن حزم بيروت - لبنان.

نفس المرقى وقوته بالرقية على ذلك الداء، فتدفعه^(١).

ويقول - رحمه الله - في موضع آخر: (وأما شهادة التجارب بذلك: فهي أكثر من أن تذكر، وذلك في كل زمانٍ، وقد جربت أنا من ذلك في نفسي وفي غيري أموراً عجيبةً، ولا سيما مدة المقام بمكة - أعزها الله تعالى -، فإنه كان يعرض لي آلامٌ مزعجةٌ، بحيث تكاد تقطع الحركة مني، وذلك في أثناء الطواف وغيره، فأبادر إلى قراءة الفاتحة، وأمسخ بها على محل الألم فكأنه حصاةٌ تسقط، جربت ذلك مراراً عديدةً، وكنت آخذ قدحاً من ماء زمزم فأقرأ عليه الفاتحة مراراً، فأشربه فأجد به من النفع والقوة ما لم أعهد مثله في الدواء، والأمر أعظم من ذلك، ولكن بحسب قوة الإيمان، وصحة اليقين، والله المستعان)^(٢).

ويقول - رحمه الله - في موضع آخر: (ومن أعظم ما يندفع به شرّ - أيّ شيطان - قراءة المعوذتين وأول سورة الصافات، وآخر سورة الحشر)^(٣).

ويقول - رحمه الله - في موضع آخر: (وكان شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - إذا اشتدت عليه الأمور: قرأ آيات السكينة، وسمعتة يقول في واقعة عظيمة جرت له في مرضه، تعجز العقول عن حملها - من محاربة أرواح شيطانية، ظهرت له إذ ذاك في حال ضعف القوة - قال: فلما اشتد علي الأمر، قلت لأقاربي ومن حولي: اقرءوا آيات السكينة، قال: ثم أفلع عني ذلك الحال، وجلست وما بي قلبٌ).

وقد جربت^(٤) أنا أيضاً قراءة هذه الآيات عند اضطراب القلب بما يرد

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٥٤).

(٢) مدارج السالكين ص (٤١) الطبعة الأولى ١٤٣٤ هـ دار ابن حزم بيروت - لبنان.

(٣) الوابل الصيب (ص ١١٥).

(٤) الكلام لابن القيم - رحمه الله -.

عليه. فرأيت لها تأثيراً عظيماً في سكونه وطمأنينته.

وقد ذكر الله سبحانه السكينة في كتابه في ستة مواضع:

الأوّل: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ آيَةَ مُلْكِهِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ التَّابُوتُ

فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ ^(١).

الثاني: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٢).

الثالث: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنزَلَ اللَّهُ

سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا﴾ ^(٣).

الرابع: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَّعَ

إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ ^(٤).

الخامس: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ

مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ ^(٥).

السادس: قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِذْ جَعَلَ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي قُلُوبِهِمُ الْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ الْجَاهِلِيَّةِ

فَأَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَى رَسُولِهِ وَعَلَى الْمُؤْمِنِينَ﴾ ^(٦) ^(٧).

(١) سورة البقرة: (آية ٢٤٨).

(٢) سورة التوبة: (آية ٢٦).

(٣) سورة التوبة: (آية ٤٠).

(٤) سورة الفتح: (آية ٤).

(٥) سورة الفتح: (آية ١٨).

(٦) سورة الفتح: (آية ٢٦).

(٧) ينظر: مدارج السالكين بين منازل إياك نعبد وإياك نستعين (٢ / ٤٧١).

١٥ - نظرة حول أثر الرقية الشرعية

إن من أروع الأمثلة لمعرفة مدى أثر الرقية على المريض، هي المقولة الشهيرة لابن القيم -رحمه الله-: (الرقية براقبها وقبول المحل، كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع) ^(١).

فلا بد أن ندرك هذه المقولة جيداً حتى نستطيع التمييز ما بين تباين قوة تأثير الرقية وما بين ضعفها على المرضى المصابين بالأمراض النفسية، وبين المرضى المصابين بتلبس الجن أو السحر أو العين.

قوله -رحمه الله-: (الرقية براقبها): يتبين لنا من خلال هذه العبارة أن تأثير الرقية يتفاوت من راقٍ إلى آخر في شفاء بعض المرضى بإذن الله، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء، والله ذو الفضل العظيم.

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: (وكان بعض الشيوخ يرقى بـ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ وكان لها بركة عظيمة فيرقى بها غيره فلا يحصل ذلك فيقول: ليس ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ من كل أحد تنفع كل أحد) ^(٢).

وقال الأعمش -رحمه الله-: (حدثنا رجل كان يكلم الجن قالوا ليس علينا أشد ممن يتبع السنة وأما أصحاب الأهواء فإننا نلعب بهم لعباً) ^(٣).

(١) مدارج السالكين (ص: ٤١).

(٢) مجموع الفتاوى (١٧ / ١٣٩).

(٣) تلبس إبليس لابن الجوزي -رحمه الله- (ص ٣٧).

وقال الإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: (لو وضع الصدق على جرح لبرى) ^(١).

وليس المراد بمقولة ابن القيم - رحمه الله - كما يتصوره بعض العامة من الناس حينما حملوا هذه المقولة على غير محلها كما يعتقد بعضهم بأن تأثير الرقية ونفعها يتفاوت من راقٍ إلى آخر على قدر تفاوت قوة البدن ورفع الصوت وشخص البصر وقوة النفث ^(٢).

قال النووي - رحمه الله -: (والنفث نفخ لطيف بلا ريق) ^(٣).

وقال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «النفث: نفخ مع ريق خفيف» ^(٤).

وقد اشتكى لي أحد المراجعين من طنين في إحدى أذنيه استمر ما يقارب خمسة أيام نتيجة الرقية بصوت مرتفع في إحدى أذنيه، علماً بأن المريض يتنفع بالرقية بمجرد سماعها بإذن الله قال تعالى على لسان الجن: ﴿وَأَنَا لَمَّا سَمِعْنَا الْمَدَىٰءَ آمَنَّا بِهِ﴾ ^(٥).

وقد تداول بعض الناس مقطعاً صوتياً لرقية سماحة الشيخ: عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - على أحد المرضى بسورة الفاتحة بصوت منخفض مع

(١) الآداب الشرعية لابن مفلح ٢/٢٢.

(٢) انظر: كلام شيخ الإسلام رحمه الله عن القراءة بصدق (ص ١٧٤).

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم (١٤/١٨٢).

(٤) فتاوى نور على الدرب شريط ٢١٤.

(٥) سورة الجن: (آية ١٣).

النفث.

وقد يستدعي المقام رفع الصوت بحيث يكون مسموعاً دون أن يحدث ضرراً في أذن المريض المصاب بصرع الجن كما فعل شيخ الإسلام -رحمه الله-^(١).

وأما قوله -رحمه الله-: (وقبول المحل): فعلى ضربين :

أحدهما: أن يكون المرض عضوياً، ويكون المرقى عليه على يقين بنفع القرآن وإن لم يكن مسلماً كما حصل في قصة اللديغ^(٢).

كما قال العلامة ابن القيم -رحمه الله-: (فإن مبنى الشفاء والبرء على دفع الضد بضده، وحفظ الشيء بمثله، فالصحة تُحفظ بالمثل، والمرض يُدفع بالضد، أسباب رَبطها بمسبباتها الحكيم العليم خلقاً وأمرأً، ولا يتم هذا إلا بقوة من النفس الفاعلة، وقبول من الطبيعة المنفعلة، فلو لم تنفع نفس الملدوغ لقبول الرقية، ولم تقوَ نفس الراقي^(٣) على التأثير لم يحصل البرء.

فهنا أمور ثلاثة: موافقة الدواء للداء، وبذل الطبيب له، وقبول طبيعة

(١) انظر ص: ١٤٧.

(٢) تقدم: ص ١٨١.

(٣) ويقول -رحمه الله- في موضع آخر: (الروح إذا كانت قويّة وتكيفت بمعاني الفاتحة واستعانت بالنفث والتفل، قابلت ذلك بالأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة فأزالته والله أعلم) (زاد المعاد الجزء الرابع ص ١٦٥).

العليل. فمتى تخلف واحد منها لم يحصل الشفاء، وإذا اجتمعت حصل الشفاء ولا بد بإذن الله سبحانه وتعالى^(١).

وقال الشيخ العلامة محمد بن صالح العثيمين - رحمه الله -: يجب أن نعلم أن القرآن نفسه شفاء ودواء ولكنه بحسب القارئ وبحسب المقروء عليه لأنه لا بد من أهلية الفاعل وقابلية المحل، وإلا لم تتم المسألة، فالفاعل لا بد أن يكون أهلاً للفعل، والمحل لا بد أن يكون قابلاً له، فلو أن أحداً من الناس قرأ بالقرآن وهو غافل أو شاك في منفعته فإن المريض لا ينتفع بذلك، وكذلك لو قرأ القرآن على المريض والمريض شاك في منفعته فإنه لا ينتفع به، فلا بد من الإيمان من القارئ والمقروء عليه بأن ذلك نافع، فإذا فعل هذا مع الإيمان من كل من القارئ والمقروء عليه انتفع به^(٢).

أما الآخر: أن يكون السبب الرئيس لمعاناة المريض المرقى عليه هو نتيجة الإصابة بالعين أو السحر أو تلبس الجن مهما اختلفت الأعراض سواء ظهرت بصورة مرض عضوي أو نفسي .

قوله - رحمه الله -: (كما أن السيف بضاربه مع قبول المحل للقطع) شبه تفاوت تأثير الرقية على المريض من راقٍ إلى آخر كتفاوت تأثير ضربة السيف من رجل إلى آخر حال القتال.

فكلما تفوق أحدهما على الآخر بالشجاعة، كان لضرب سيفه وقعٌ على

(١) مدارج السالكين: (ص ٤١).

(٢) فضائل القرآن الكريم، ص ٣٩٥.

هام^(١) الرجال، وأثخن في العدو الجراح ما لم يحل بين ضربة سيفه وبين محل قطع الأعناق أو البنان^(٢) حائل.

بغض النظر عن قوة البدن، كما قال ابن القيم -رحمه الله-: (إنه لا تلازم بين قوة البدن وقوة النفس ولا بين ضعفه وضعفها، فقد يكون الرجل قوي البدن ضعيف النفس جبناً خوّاراً، وقد يكون ضعيف البدن قوي النفس، فيكون شجاعاً مقداماً على ضعف بدنه)^(٣).

فإذا وافقت ضربة السيف بسيف آخر أو درع ونحوه لم يحصل التأثير مهما كثر الضرب، كذلك ضعف تأثير الرقية على المرضى المصابين ببعض الأمراض المستعصية.

فمتى ما أدركنا معنى هذه المقولة جيداً حينها ندرك قوة تأثير الرقية في شفاء بعض الأمراض وضعف تأثيرها على البعض الآخر.

كما أن علينا أن نوقن بأن الله عز وجل غالب على أمره ونؤمن بأن الله سبحانه هو الذي قدّر هذه الأمراض، وهو سبحانه قادر على دفعها ورفعها.

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَبْرَأَهَا إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾^(٤).

قال البغوي في تفسيره قوله عز وجل: ﴿مَا أَصَابَ مِنْ مُصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ﴾

(١) جمع لكلمة هامة: هي أعلى الرأس.

(٢) الأطراف وكل مفصل.

(٣) كتاب الروح (ص: ٢٥٥).

(٤) سورة الحديد: (آية ٢٢)

(يعني: قحط المطر وقلة النبات ونقص الثمار، ﴿وَلَا فِي أَنْفُسِكُمْ﴾ يعني: الأمراض وفقد الأولاد، ﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ﴾، يعني: اللوح المحفوظ، ﴿مَنْ قَبْلَ أَنْ تَبْرَأَهَا﴾، من قبل أن نخلق الأرض والأنفس.

قال ابن عباس: من قبل أن نبرأ المصيبة.

وقال أبو العالية: يعني النسيمة.

﴿إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾، أي: إثبات ذلك على كثرته هيئ على الله عز وجل^(١).

وكذلك التسليم بما جاء في محكم التنزيل والرضى بما قسم الله للعبد كما جاء عن أبي بكر رضي الله عنه يوم أن مرض فقالوا ألا ندعوا الطبيب؟ فقال: قد رأي فقال إني فعّال لما أريد^(٢).

وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ﴾^(٣).

قال ابن مفلح - رحمه الله تعالى -: «لولا المصائب لبطر العبد، وبغى وطغى، فيحميه بها من ذلك ويظهر مما فيه، فسبحان من يرحم ببلائه ويبتلي بنعمائه»^(٤).

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَزَالُ الْبَلَاءُ بِالْمُؤْمِنِ أَوْ

(١) تفسير البغوي: (ص ١٢٧٩)، دار ابن حزم، الطبعة الثانية ١٤٣٥ هـ، بيروت.

(٢) الطبقات الكبرى لابن سعد ١/٤٨٨.

(٣) سورة العلق: (آية ٦)

(٤) الآداب الشرعية، ابن مفلح (٢/ ١٩١).

المُؤْمِنَةِ، فِي جَسَدِهِ وَأَهْلِهِ، وَفِي مَالِهِ، وَفِي وَلَدِهِ، حَتَّى يَلْقَى اللَّهَ وَمَا عَلَيْهِ مِنْ خَطِيئَةٍ»^(١).

وفي هذا النص النبوي الكريم بشرى عاجلة وآجلة لكل مؤمن ومؤمنة مبتلى، وفيه حثٌّ على الصبر والاحتساب مع فعل الأسباب المشروعة.

وما أجمل ما قاله أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه:

وكم لله من لطف خفيٍّ	يدقُّ خفاهُ عن فهم الذكيِّ
وكم يُسرُّ أتى من بعد عُسرٍ	ففرَّج كُرْبَةَ القلبِ الشجيِّ
وكم أمرٌ تُساءُ به صباحاً	وتأتيك المسرةُ بالعشيِّ
إذا ضاقت بك الأحوال يوماً	فثِق بالواحد الفردِ العليِّ
ولا تجزع إذا ما نابَ خطبٌ	فكم لله من لطفٍ خفيٍّ ^(٢)



(١) أخرجه البخاري في الأدب المفرد، باب: كفارة المريض، رقم (٤٩٤)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد (ص ١٨٥).

(٢) ديوان علي بن أبي طالب رضي الله عنه ص (١٦٠).

١٦ - نظرة حول المقارنة بين تأثير الرقية وتأثير بعض الأدوية النفسية على المريض

عندما تحدثت عن تفاوت تأثير الرقية في حال قوتها وضعفها على المريض.

فلا بد هنا من أن أشير إلى تفاوت تأثير بعض الأدوية النفسية في حالة قوة تأثيرها وضعفها على إصابة المريض بتلبس الجن أو السحر أو العين. حتى ندرك الفارق بين قوة تأثير الرقية وبين ضعفها على الأمراض النفسية، ومن خلال مقارنتي في تباين بعضهما على بعض لا يعني المساواة بينهما، ولسان الحال يقول كما قال الشاعر^(١):

ألم تر أن السيف ينقص قدره إذا قيل إن السيف أمضى من العصا
فلا أحد يستطيع أن يحصي مدى تأثير القرآن إلا الله عز وجل، قال تعالى: ﴿لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْنَاهُ خَشِيعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾^(٢)، كما أن تأثير القرآن الكريم ليس له منتهى قال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِعَتْ بِهِ الْأَرْضُ أَوْ كُتِبَ بِهِ الْمَوْتُ بَلِ اللَّهُ الْأَمْرُ جَمِيعًا﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا

(١) أبيات مختارة تشتمل على عقيدة، نصائح، مواعظ، وصايا، حكم، أمثال، أدب (ص: ٨٠).

(٢) سورة الحشر: (آية ٢١)

(٣) سورة الرعد: (آية ٣١)

يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ، وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴿١﴾.

فالرقية نافعة للمريض في جميع أحوالها^(٢) - بإذن الله تعالى - وليس لها آثار جانبية سلبية، بينما الآثار الجانبية السلبية لبعض الأدوية النفسية مغمورة في بحر حسناتها، باعتراف حذاق الأطباء، فهي العلاج - بعد توفيق الله عز وجل - للأشخاص المصابين بالاضطرابات النفسية المتقدمة، كما هو الحال عند المريض بداء السكري حينما لا يلتفت إلى الآثار السلبية لعلاج السكر (الأنسولين) مقابل إنقاذه - بإذن الله - حين ترتفع عنده نسبة السكر في الدم، فحياته قد تتعرض للخطر في أي لحظة، فربما يدخل في غيبوبة أو نحوها؛ لذا فإن عليه أن يتابع مع الطبيب ويأخذ الجرعة المناسبة إلى حين استقرار حالته، والعافية أمامه بإذن الله.

هذا، وكما أمر الرسول ﷺ بالرقية، كذلك أمر بالتداوي ومما جاء في ذلك:

عن أسامة بن شريك، قال: قالت الأعراب: يا رسول الله، ألا نتداوى؟ قال: «نعم، يا عباد الله تداووا، فإن الله لم يضع داء إلا وضع له شفاء، أو قال: دواء، إلا داء واحد، قالوا: يا رسول الله، وما هو؟ قال: الهرم»^(٣).

(١) سورة الإسراء: (آية ٨٨).

(٢) انظر: ص ٢٨٢.

(٣) أخرجه الترمذي، باب: ما جاء في الدواء والحث عليه، رقم (٢٠٣٨)، وصححه الألباني في صحيح سنن الترمذي، (٣٨ / ٥).

وفي هذا النص النبوي الكريم بشارة وأمل لكل مريض ومريضة.

وتنقسم المقارنة بين تأثير الرقية وبين تأثير الأدوية النفسية إلى قسمين:

أولاً: قوة تأثير الرقية بالمقارنة مع ضعف تأثير الأدوية النفسية الحسيّة المباحة على المريض.؟

إن غالب المرضى المصابين بتلبس الجن أو السحر أو العين بإصابات مزمنة يعانون من بعض الأعراض المصاحبة مثل أعراض الاكتئاب

فلا بد في مثل هذه الاصابات المختلطة الجمع بين الرقية لمعالجة السبب الرئيس وبين مراجعة الطبيب النفسي لوصف مضادات الاكتئاب المناسبة^(١) لعلاج الاعراض المصاحبة لدى المريض إلى أن يمن الله عليه بالشفاء العاجل، فالمعيار الحقيقي لأثر الرقية، هو تحسّن المريض تحسّناً فعلياً عقب الرقية، بخلاف التحسن الوهمي الذي قد لا يتجاوز أياماً معدودة.

قال ابن القيم -رحمه الله- : «وقد جعل الله سبحانه لكل داء دواء، ولكل شيء ضداً. ونفس الراقي تفعل في نفس المرقى، فيقع بين نفسيهما فعل وانفعال، كما يقع بين الداء والدواء. فتقوى نفس المرقى وقوته بالرقية على ذلك الداء، فتدفعه بإذن الله. ومدار تأثير الأدوية والأدواء على الفعل والانفعال. وهو كما يقع بين الداء والدواء الطبيعيين، يقع بين الداء

(١) انظر كلام ابن القيم رحمه الله عن الدواء وبذل الطبيب له (ص ١٨٦).

والدواء الروحانيين، والروحاني والطبيعي. وفي النفث والتفل استعانة بتلك الرطوبة والهواء والنفس المباشر للرقية والذكر والدعاء. فإن الرقية تخرج من قلب الراقي وفمه، فإذا صاحبها شيء من أجزاء باطنه من الريق والهواء والنفس كانت أتم تأثيراً، وأقوى فعلاً ونفوذاً. ويحصل بالازدواج بينها كيفية مؤثرة شبيهة بالكيفية الحادثة عند تركيب الأدوية^(١).

كما أن الأدوية النفسية التي يتناولها المريض مهما بلغت من تأثير لا يمكن أن تحجب قوة تأثير الرقية بخلاف ما يعتقد بعض الرقاة! حتى إن أحدهم يشترط على المريض ترك العلاج النفسي قبل الرقية بما يقارب عشرة أيام؟ فالرقية سبب من الأسباب المؤدية للشفاء من الأمراض - بإذن الله تعالى -، لكن ليست هي كل الأسباب، فالأخذ بالرقية باعتبارها سبباً من أسباب الشفاء لا يمنع من الأخذ بعلاج آخر، والكل من عند الله، والشفاء من عنده سبحانه وتعالى.

وهذه قصة حول هذا الموضوع.

قرأت على مريض مصاب بتلبس الجن أمام الفريق المعالج، وفي أثناء الرقية قام المريض يتخبط بطريقة مخيفة ففزع بعض أعضاء الفريق وكاد أحدهم أن يلوذ بالفرار لولا أن المريض اختبأ تحت المكتب، فنزلت معه لمواصلة الرقية فإذا بطبيب متدرب ينزل معي بعدما سقط العقل والشماع

(١) زاد المعاد (٤/ ٢٥٤).

من رأسه على ما أظن من شدة حرصه وهو يقول: تتمم تتممه ؟
فوقعت في حيرة من أمر هذا الطبيب، ولا أدري! أكان يقصد -
كغيره - نقد الرقاة؟

أم كان يريد أن يثبت لأعضاء الفريق بهذه الطريقة المعروفة بأن هذا
المريض يمرّ بحالة إيجاء نفسي^(١)؟.

فقرأت على المريض شيئاً من الشعر على وتيرة الرقية مع النفث فلم
يحرك المريض ساكناً.

وماهي إلا فترة يسيرة ويصف لنا الطبيب المعالج حالة المريض قائلاً:
سرعان ما استقرت حالة المريض بعد الرقية بفضل الله، وكتبت له خروجاً.
وأضاف الطبيب قائلاً: لقد منّ الله عليّ بحفظ القرآن وأنا على يقين
بأن له أثراً عظيماً في علاج الأمراض النفسية والعضوية وذكر هذه القصة
فقال: أصاب زوجتي وعكة أثناء فترة الحمل في الشهر الأول، فنقلتها إلى
المستشفى وأجريت لها كامل الفحوصات الطبية ولم يظهر شيء، واحتار
الأطباء في تشخيصها وقالوا اشتباه جلطة في الرئة.

ووضعت تحت خطة علاجية، فألهمني الله عز وجل بالقراءة عليها
حتى برئت بفضل الله وخرجت من المستشفى، ووضعت مولودة سليمة
في الشهر التاسع فله الحمد والمنة.

(١) توهم المريض لتلبس الجن، سبق ذكره ص ١٦٣.

ثانياً: ضعف تأثير الرقية أحياناً بالمقارنة مع قوة تأثير بعض الأدوية النفسية^(١) على بعض المرضى، والكل من عند الله، وبأمره سبحانه وتعالى.

عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «لكل داء دواء فإذا أصيب دواء الداء برأ بإذن الله عز وجل»^(٢).

قال ابن حجر -رحمه الله-: «فيه الإشارة إلى أن الشفاء متوقف على الإصابة بإذن الله وذلك أن الدواء قد يحصل معه مجاوزة الحد في الكيفية أو الكمية فلا ينجع بل ربما أحدث داء آخر، وأن الدواء قد ينقلب داء إذا قدر الله ذلك وإليه الإشارة بقوله: بإذن الله فمدار ذلك كله على تقدير الله وإرادته، وقد يقع لبعض المرضى أنه يتداوى من داء بدواء فيبرأ ثم يعتريه ذلك الداء بعينه فيتداوى بذلك الدواء بعينه فلا ينجع، والسبب في ذلك الجهل بصفة من صفات الدواء قرب مرضين تشابها ويكون أحدهما مركباً لا ينجع فيه ما ينجع في الذي ليس مركباً»^(٣).

إن تأثير بعض الأدوية النفسية أكثر فعالية - بإذن الله - من تأثير الرقية على بعض المرضى المصابين بالأمراض النفسية المتقدمة وكلها مأمور بها شرعاً.

والدليل على ذلك أن معظم المرضى النفسيين المنومين في داخل

(١) انظر الفقرة الرابعة عشر: ص ٣١.

(٢) صحيح مسلم (٢٢٠٤)، كتاب: السلام، باب: لكل داء دواء، واستحباب التدوي، رقم: ١٧٢٩/٤، ٢٢٠٤.

(٣) فتح الباري (١٠/١٣٥).

المستشفى يتحسنون إلى حد كبير على أثر الأدوية النفسية دون رقية، فضلاً عن المراجعين في العيادات الخارجية.

فالرقية ليست بديلاً عن الأدوية النفسية في الحالات النفسية المتقدمة كما يعتقد الكثير من الناس، لكنها تخفف من حدة التوتر النفسي^(١) - بإذن الله -.

وطلب العلاج منهج نبوي، ففي حديث عائشة رضي الله عنها أن النبي ﷺ لما سحره اليهودي، دعا ﷺ حتى شُفي، وأخبره الله - عز وجل - عن طريق الوحي بالسحر ومكانه قالت عائشة: يا رسول الله أفأخرجته؟ قال: «لا، أما أنا فقد عافاني الله وشفاني، وخشيت أن أثور على الناس منه شراً»^(٢).

وجه الاستدلال: أن عائشة رضي الله عنها أشارت على النبي ﷺ سلوك طريق أخرى، فقال النبي ﷺ: «لا أما أنا فقد عافاني الله وشفاني» فهذا هو المطلوب.

فإذا كان النبي ﷺ لا يعلم أنه مسحور حتى أتاه الوحي فأخبره عن السحر ومكانه؛ فكيف بحال كثير من المرضى في هذا الزمن مع توهم السحر! وضعف اليقين، والله المستعان.

هذا، ومما ينبغي أن يعلم ويؤكد أن السحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً عارضاً من الأمراض شفاها الله منه، وأن ذلك غير قادم في عصمته ﷺ^(٣).

وهنا أذكر شيئاً من تجربتي في بدايتي بالمقراءة^(٤) حول هذا الموضوع:

بعدما عازمت على تأليف هذا الكتاب كان عليّ التزاماً استيفاءه حقه

(١) انظر: ص ٢٨٥.

(٢) رواه البخاري، كتاب: الأشربة، باب: السحر، برقم (٥٧٦٦)، ١٣٧/٧.

(٣) سيأتي كلام ابن القيم ص ٢٣٨.

(٤) سيأتي تعريف المقراءة ص ٢٠٢.

-بتوفيق الله وعونه - حتى تصل رسالة سامية إلى المريض وأسرته
-بإذن الله-.

فقررت العمل الميداني الخارجي لمراقبة بعض المرضى النفسيين عن كثب
بغض النظر عن المرضى المصابين بالأمراض العضوية، والتحقت بإحدى
دور الرقية.

وخصصت مكاناً للنساء المرافقات مع المراجعين يحتوي على حاجز
يفصل بيني وبينهم، وفي وسطه ثلاث فرجات حجمها كحجم كف اليد
بمحاذاة الرأس حتى يصل إليهم شيء من النفث^(١) في أثناء الرقية؛ لئلا
يتكشّفن حال الصرع كما جاء في الحديث: (**إني أصرع، وإني أتكشف**)^(٢).

(١) وفي النفث سر آخر، فإنه مما تستعين به الأرواح الطيبة والخبيثة. ولهذا تفعله السحرة كما يفعله أهل
الإيمان. قال تعالى (ومن شر النفاثات في العقد) (الفرق: ٤). وذلك لأن النفس تتكيف بكيفية
الغضب والمحاربة، وترسل أنفاسها سهاماً لها، وتمدها بالنفث والتفل الذي معه شيء من ريق
مصاحب لكيفية مؤثرة. والسواحر تستعين بالنفث استعانة بينة، وإن لم تتصل بجسم المسحور. بل
تنفث على العقدة وتعقدها، وتكلم بالسحر، فيعمل ذلك في المسحور بتوسط الأرواح السفلية
الخبيثة. فتقابلها الروح الزكية الطيبة بكيفية الدفع والتكلم بالرقية وتستعين بالنفث؛ فأيهما قوي كان
الحكم له. ومقابلة الأرواح بعضها لبعض وتجارها وآلتها من جنس مقابلة الأجسام ومحاربتها وآلتها
سواء. بل الأصل في المحاربة والتقابل للأرواح والأجسام آلتها وجندها، ولكن من غلب عليه
الحس لا يشعر بتأثيرات الأرواح وأفعالها وانفعالاتها، لاستيلاء سلطان الحس عليه، وبعده من عالم
الأرواح وأحكامها وأفعالها. والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية، وتكيفت بمعاني الحس عليه،
وبعده من عالم الأرواح وأحكامها وأفعالها. والمقصود: أن الروح إذا كانت قوية، وتكيفت بمعاني
الفاتحة، واستعانت بالنفث والتفل = قابلت ذلك الأثر الذي حصل من النفوس الخبيثة، فأزالته.
والله أعلم. (زاد المعاد ص ٢٥٥-٢٥٦).

(٢) سبق تحريجه (ص ١٤٥).

فلم تكن هذه الطريقة معهودة لدى الرقاة في الغالب؛ ولهذا استنكرها كثير من المراجعين فما زادتهم إلا نفوراً.
وزعم - أيضاً - أحد الرقاة في وقت لاحق، وبعض المراجعين أن هذه الطريقة تحدد من أثر الرقية على حد علمهم^(١)، وكلامهم هذا غير صحيح، فقد ارتفعت أصوات مختلفة من بعض مرافقات المراجعين كال بكاء والصراخ والتجشؤ والتقيؤ في أثناء الرقية من وراء ذلك الحجاب.
بل إني سمعت صراخ بعض المراجعين من صالة الانتظار في أثناء الرقية.

يقول - جل وعلا - على لسان الجن: ﴿قَالُوا يَنْقُومَنَا إِنَّا سَمِعْنَا كِتَابًا أُنزِلَ مِنْ بَعْدِ مُوسَى مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِي إِلَى الْحَقِّ وَإِنَّ طَرِيقَ مُسْتَقِيمٍ ۝٣٠﴾
يَنْقُومَنَا لِمَجِبُوا دَاعِيَ اللَّهِ وَآمِنُوا بِهِ يَغْفِرَ لَكُمْ مِنْ ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرَكُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ۝٣١﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَنَعِيهَا أُذُنٌ وَعِيَةٌ ۝٣٢﴾^(٣).
قال قتادة: «أذن عقلت عن الله فانتفعت عما سمعت من كتاب الله»^(٤).
وقال تعالى: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ۝٣٣﴾^(٥).

(١) سيأتي الكلام عن أثر استماع القرآن (ص ٢٨٢).

(٢) سورة الأحقاف: ٣٠ - ٣١.

(٣) سورة الحاقة: ١٢.

(٤) تفسير الطبري (٢٣/ ٥٧٩).

(٥) سورة ق: ٣٧.

قال ابن القيم -رحمه الله-: إذا أردت الانتفاع بالقرآن، فاجمع قلبك عند تلاوته، وألق سمعك، واحضر حضور من يخاطبه به من تكلم به سبحانه، منه إليه، فإنه خطاب منه سبحانه لك على لسان رسوله ﷺ، قال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ﴾^(١).

وذلك أن تمام التأثير لما كان موقوفاً على مؤثر مقتض، ومحل قابل، وشرط لحصول الأثر، وانتفاء المانع الذي يمنع منه: تضمنت الآية بيان ذلك كله بأوجز لفظ وأبينه، وأدلة على المراد.

فقوله: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرٍ﴾ إشارة إلى ما تقدم من أول السورة إلى ههنا، وهذا هو المؤثر.

وقوله: ﴿لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ﴾ فهذا هو المحل القابل، والمراد به: القلب الحي الذي يعقل عن الله، كما قال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنْبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ﴾^(٢) لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴿٦١﴾ أي: حي القلب.

وقوله: ﴿أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ﴾^(٣) أي: وجّه سمعه، وأصغى حاسة سمعه إلى ما يقال له، وهذا هو شرط التأثر بالكلام.

(١) سورة ق: ٣٧.

(٢) سورة يس: ٦٩، ٧٠.

(٣) سورة ق: ٣٧.

وقوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ أي: شاهد القلب حاضره، غير غائب^(١).
ولاحظت - كذلك - أن بعض المراجعين توجَّسوا من أسلوبِي في استعمال المصطلحات النفسية التي تختلف نوعاً ما عن طريقة مقابلتهم مع بعض الرقاة.

فواجهت صعوبة في عكس التيار المعتاد لنمط بعض الرقاة، فعجزت عن إزالة الوهم بتلبس الجن أو السحر أو العين الذي علقَ في عقول الكثير من المرضى النفسيين في أثناء الحوار معهم قبل الرقية وبعدها، فلم أتمكن من إقناع الكثير من المرضى النفسيين - شفاهم الله - بضرورة التوجه إلى الأطباء النفسيين للعلاج، فنجم عن ذلك نفور الكثير من المراجعين، والإقبال على مراجعة الراقي المجاور الذي يوافقهم على الهلاوس والشكوك والوساوس.
فشاهدت معظم المرضى النفسيين يترددون عليه طيلة فترة عملي بالمقرأة، بينما الأقلية من المرضى النفسيين ممن تجاوبوا وتوجهوا إلى الطب النفسي، وجدوا ثمرة العلاج النفسي، فمنهم من كان يعاني من اضطراب نفسي لمدة سنتين، وآخر خمس سنوات، وآخر عشر سنوات تقريباً.

بل إنني التقيت بأحد هؤلاء المرضى خلال فترة الدوام في ممرِّ العيادات الخارجية وكان يعاني من قلق مزمن لمدة ثلاثين عاماً فقال: جزاك الله عني خير الجزاء.

(١) التفسير القيم، لابن القيم (ص ٤٢٨).

فكانت نتيجة الخبرة في مجال الرقية الشرعية بالمقراءة توازي نتاج خبرة الرقية الشرعية بمجمع إرادة الصحة النفسية بالرياض أضعافاً مضاعفة لاختلاف طبيعة العمل داخل المستشفى، ولعزوف مجتمعنا عن الطب النفسي.

الحكم الشرعي للجلوس في المقراءة^(١).

هذه فتوى من اللجنة الدائمة برقم (٢٠٥١٥) إجابة عن السؤال التالي^(٢):

س: سمعنا ممن ينسب إلى العلم أن وضع وقت محدد ومكان محدد للقراءة بدعة لا تجوز، فما صحة هذا القول؟ حيث إن كثيراً ممن يقوم برقية الناس يضع مكاناً غير بيته، يقرأ فيه على الناس في ساعة محددة، حتى لا يتأذى في منزله من أولئك الذين لا يقدرون أوقات الآخرين.

ج: لا حرج على الراقي أن يجعل وقتاً معيناً أو مكاناً معيناً يقرأ فيه على الناس، وهذا فيه مصلحة ظاهرة له ولغيره.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس
بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز



(١) والمقراءة هي عبارة عن مكان مهياً لقراءة القرآن في المساجد أو دور تعليم القرآن والمراد بها هنا تخصيص مكان للرقية ويقوم عليها أحد الرقاة.

(٢) المجموعة الثانية، المجلد الأول، ط ١، ص ٩٤.

١٧ - نظرة حول العين والحسد

تُطلق تسمية النفس عند بعض الناس على الإصابة بالعين ويقولون: فلان فيه نفس؛ لأن تأثير نفس الحاسد على المحسود إنما يكون بواسطة العين، ويقول البعض الآخر: فلان فيه عين.

قال ابن القيم - رحمه الله - : «ونفس العائن لا يتوقف تأثيرها على الرؤية بل قد يكون أعمى فيوصف له الشيء فتؤثر نفسه فيه وإن لم يره وكثير من العائنين يؤثر في المعين بالوصف من غير رؤية»^(١).

وقال ابن حجر - رحمه الله - : «وأن العين تكون مع الأعجاب ولو بغير حسد، ولو من الرجل المحب ومن الرجل الصالح، وأن الذي يعجبه الشيء ينبغي أن يبادر إلى الدعاء للذي يعجبه بالبركة ويكون ذلك رقية منه»^(٢).

والحسد منشأؤه من النفس كما وصف الله ﷻ حسد أهل الكتاب في قوله تعالى: ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنْفُسِهِمْ﴾^(٣).

ويقول ابن حزم - رحمه الله - : «الحرص متولد عن الطمع والطمع متولد عن الحسد والحسد متولد عن الرغبة والرغبة متولده عن الجور

(١) زاد المعاد (٤ / ١٥٤).

(٢) فتح الباري لابن حجر (١٠ / ٢٠٥).

(٣) سورة البقرة، الآية: (١٠٩)

والشح^(١) والجهل^(٢).

وقال الحسن البصري - رحمه الله -: «أصول الشر وفروعه ستة: فالأصول الثلاثة: الحسد، والحرص، وحب الدنيا، والفروع كذلك: حب الرياسة، وحب الثناء، وحب الفخر»^(٣).

وقال ابن سيرين - رحمه الله -: «ومن الحسد يتوَلَّد الحقد، والحقد أصل الشر، ومن أضمر الشر في قلبه أنبت له نباتاً مرّاً مذاقه نياؤه الغيظ، وثمرته الندم»^(٤).

وقال سفيان بن عيينة - رحمه الله -: «الغل هو الحسد، فما خرج منه فهو الشرّ، وما بقي منه فهو الغلّ، وليس يسلم أحد أن يكون فيه شيء من الحسد»^(٥).

(١) كما قرن شيخ الإسلام رحمه الله: البخل بالحسد، سبق ذكره ص ٥٠، وقد ورد سؤال لسماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله ما نصه: هل البخل ثمرة من ثمرات الشح؟ الجواب: الشح أشد، فالشح معناه: البخل بالموجود، والحرص على المفقود، فالشح حريص على طلب الزيادة وبخيل بما عدنه (موقع الشيخ ابن باز)، وقال ابن القيم رحم الله: الجبن والبخل قرينان. انظر: ص ٢٩٧، قلت: الخوف يصدر من الشح، قال السعدي رحمه الله في تفسير قوله تعالى: ﴿أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ﴾ الأحزاب: ١٩، بأبدانهم عند القتال، وبأموالهم عند النفقة فيه، فلا يجاهدون بأموالهم وأنفسهم ﴿فَإِذَا جَاءَ الْحُوفُ زَايَغْتُمْ بِنُظُورٍ إِلَيْكَ تَدُورُ أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْتَنَّى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ﴾ من شدة الجبن الذي خلع قلوبهم والقلق الذي أذهلهم، وخوفاً من إجبارهم على ما يكرهون من القتال. (تفسير الكريم الرحمن ٦٦٠).

(٢) مداواة النفوس (ص ١٠٩).

(٣) العقد الفريد (٢/ ١٧٣).

(٤) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٣٤).

(٥) حلية الأولياء (٧/ ٢٨٤).

ولذا امتنَّ الله عز وجل على أهل الجنة في قوله تعالى: ﴿وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِمْ مِّنْ غِلٍّ إِخْوَانًا عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَابِلِينَ﴾^(١).

قال السعدي - رحمه الله -: (ويخلق الله لهم من الكرامة ما به يحصل لكل واحد منهم الغبطة والسرور، ويرى أنه لا فوق ما هو فيه من النعيم نعيم، فبهذا يأمنون من التحاسد والتباغض لأنه قد فُقدت أسبابه)^(٢).

وقال شيخ الإسلام - رحمه الله -: «(الحسد) مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب فلا يخلص منه إلا قليل من الناس، ولهذا يقال: (ما خلا جسد من حسد، لكن اللئيم يديه والكريم يخفيه)، وقد قيل للحسن البصري: أيجسد المؤمن؟ فقال: ما أنساك أخوة يوسف لا أبا لك، ولكن عمه في صدرك، فإنه لا يضرْك ما لم تعدَّ به يداً ولساناً...

ومن اتقى الله وصبر فلم يدخل في الظالمين نفعه الله بتقواه، كما جرى لزَيْنَب بنت جحش - رضي الله عنها - فإنها كانت هي التي تسامي عائشة من أزواج النبي ﷺ، وحسد النساء بعضهم لبعض كثير غالب لا سيما المتزوجات بزواج واحد، فإن المرأة تغار على زوجها لحظّها منه، فإنه بسبب المشاركة يفوت بعض حظّها.

وهكذا الحسد يقع كثيراً بين المتشاركين في رئاسة أو مال إذا أخذ بعضهم قسطاً من ذلك وفات الآخر^(٣).

(١) سورة الحجر، الآية (٤٧).

(٢) تفسير السعدي، تفسير الكريم الرحمن (ص ٢٨٩).

(٣) انظر: مجموعة الفتاوى (١٠/١٢٥).

قلت: الكِبَر والحسد قرينان قال تعالى: ﴿إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَى أَنْ يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾^(١) عن مالك أنه قال: بلغني أن أول معصية كانت الحسد والكِبَر، حسد إبليس آدم، وشح آدم في أكله من الشجرة^(٢).
ويظهر الكِبَر من صاحبه على أثر نقص يجده في نفسه، فقد يصدر منه الحسد على غيره بقدر ذلك النقص.

كما قال ابن القيم - رحمه الله - : «وللحسد حد، وهو المنافسة في طلب الكمال والأئفة أن يتقدم عليه نضيره فمتى تعدى ذلك صار بغياً وظلماً يتمنى معه زوال النعمة عن المحسود ويحرص على إيذائه، ومتى نقص عن ذلك كان دناءة وضعف همّة وصغر نفس قال النبي ﷺ : (لا حسد إلا في اثنتين رجل آتاه الله مالاً فسلط على هلكته في الحق ورجل آتاه الله الحكمة فهو يقضي بها ويعلمها)»^(٣) فهذا حسد منافسة يطالب الحاسد به نفسه أن يكون مثل المحسود، لا حسد مهانة يتمنى به زوال النعمة عن المحسود^(٤).
وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «ما وجد أحد في نفسه كبراً إلا من مهانة يجدها في نفسه»^(٥).

(١) سورة الحجر، الآية: (٢١).

(٢) تفسير القرطبي (الجزء الأول ص ٢٩٦).

(٣) أخرجه البخاري، كتاب العلم، باب: الاغتباط في العلم والحكمة، رقم ٧٣، ٢٥ / ١، ومسلم، كتاب: صلاة المسافرين وقصرها، باب: فضل من يقوم بالقرآن ويعلمه، وفضل من تعلم حكمة من فقه أو غيره، فيعمل بها ويعلمها، رقم ٨١٦، ١ / ٥٥٩.

(٤) الفوائد لابن القيم (ص ٢٠٣).

(٥) نهاية الأرب في فنون الأدب (ص ٣٧١).

وقال أبو موسى عمران بن موسى المؤدب: «قرأت في بعض الكتب، ما رأيت أحداً قط، تكبر على من دونه، إلا وبذلك المقدار يجود بالذلة لمن فوقه»^(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله - : «الحاسد تعينه الشياطين بلا استدعاء للشيطان لأن الحاسد شبيه بإبليس وهو في الحقيقة من أتباعه لأنه يطلب ما يحبه الشيطان من فساد الناس وزوال نعم الله عنهم كما أن إبليس حسد آدم ﷺ لشرفه وفضله وأبى أن يسجد له فالحاسد من جند إبليس»^(٢).

وقال عبد الله ابن المعتز - رحمه الله - : «من كثر مزاحه لم يخل من استخفاف به، أو حقد عليه»^(٣).

ويقول ابن القيم - رحمه الله - :

(وتأثيرات النفوس بعضها في بعض أمر لا ينكره ذو حس سليم، ولا عقل مستقيم، ولا سيما عند تجردها نوع تجرد عن العلائق والعوائق البدنية فإن قواها تتضاعف وتتزايد بحسب ذلك ولا سيما عند مخالفة هواها وحملها على الأخلاق العالية من العفة والشجاعة والعدل والسخاء وتجنبها سفاسف الأخلاق ورذائلها وسافلها فإن تأثيرها في العالم يقوى جداً، تأثيراً يعجز عنه البدن، وأعراضه أن تنظر إلى حجر عظيم فتشقه أو حيوان

(١) مساوي الأخلاق للخرائطي (ص ٢٦٣).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٧٥٨).

(٣) الوافي بالوفيات (١٧/ ٢٤٢).

كبير فتتلفه أو إلى نعمة فتزيلها. وهذا أمرٌ قد شاهده الأُمم على اختلاف أجناسها وأديانها وهو الذي سُمِّي إصابة العين فيضيفون الأثر إلى العين وليس لها في الحقيقة وإنما هو النفس المتكيفة بكيفية رديّة سُمِّيَة وقد تكون بواسطة نظر العين وقد لا تكون بل يوصف له الشيء من بعيد فتتكيّف عليه نفسه بتلك الكيفية فتفسده، وأنت ترى تأثير النفس في الأجسام صفرة وحمرة وارتعاشا بمجرد مقابلتها لها وقوتها وهذه وأضعافها آثار خارجة عن تأثير البدن وأعراضه فإن البدن لا يؤثر إلا فيما لاقاه وماسّه تأثيراً مخصوصاً، ولم تزل الأُمم تشهد تأثير الهمم الفعالة في العالم وتستعين بها وتحذر أثرها وقد أمر رسول الله أن يغسل العائن مغابنه ومواضع القدر منه ثم يصب ذلك الماء على المعين فإنه يزيل عنه تأثير نفسه فيه وذلك بسبب أمر طبعي اقتضته حكمة الله سبحانه^(١).

فكما أن للعين آثارها العضوية على الإنسان، كذلك لها آثارها النفسية ولهذا أمرنا الله عز وجل أن نتعوذ من شرها وشر صاحبها كما قال تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(٢). ولهذا يقرؤها المسلم في أوراده صباحاً ومساءً.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وقد دل القرآن والسنة على أن نفس حسد الحاسد يؤدي المحسود. فنفس حسده شر متصل بالمحسود من نفسه وعينه

(١) الروح (ص: ٢٦٢).

(٢) سورة الفلق: (آية ٥).

وإن لم يؤذ به يده ولا لسانه. فإن الله تعالى قال: ﴿وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾^(١) فحقق الشر منه عند صدور الحسد. والقرآن ليس فيه لفظة مهمة.

ومعلوم أن الحاسد لا يسمّى حاسداً إلا إذا قام به الحسد، كالضارب، والشاتم، والقاتل ونحو ذلك. ولكن قد يكون الرجل في طبعه الحسد وهو غافل عن المحسود، لاه عنه، فإذا خطر على ذكره وقلبه انبعث نار الحسد من قلبه إليه، وتوجهت إليه سهام الحسد من قبله. فيتأذى المحسود بمجرد ذلك. فإن لم يستعذ بالله ويتحصن به، ويكون له أورد من الأذكار والدعوات والتوجه إلى الله والإقبال عليه، بحيث يدفع عنه من شره بمقدار توجهه وإقباله على الله، وإلا ناله شر الحاسد ولا بد.

فقوله تعالى: ﴿إِذَا حَسَدَ﴾ بيان لأن شره إنما يتحقق إذا حصل منه الحسد بالفعل^(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله - في موضع آخر: (والعاين والحاسد يشتركان في شيء، ويفترقان في شيء. فيشتركان في أن كل واحد منهما تتكيف نفسه، وتتوجه نحو من يريد أذاه.

فالعائن: تتكيف نفسه عند مقابلة المعين ومعاينته.

والحاسد: يحصل له ذلك عند غيبة المحسود وحضوره أيضاً.

وفترقان في أن العائن قد يصيب من لا يحسده، من جماد أو حيوان، أو زرع أو مال، وإن كان لا يكاد ينفك من حسد صاحبه، وربما أصابت عينه

(١) التفسير القيم، تفسير القرآن الكريم لابن القيم: (ص ٥٤٩)، الناشر: دار الهيثم، القاهرة، عام ١٤٢٦ هـ.

نفسه، فإن رؤيته للشيء رؤية تعجب وتحديق، مع تكيف نفسه بتلك الكيفية: تؤثر في المعين.

وقد قال غير واحد من المفسرين في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِزْلُ قَوْلِكَ لَبِزْلُكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾^(١). إنه الإصابة بالعين، أرادوا أن يصيبوا بها النبي ﷺ. فنظر إليه قوم من العائنين، وقالوا: ما رأينا مثله، ولا مثل حجته، وكان طائفة منهم تمر به الناقة والبقرة السمينية فيعينها، ثم يقول لخدمه: خذ المكتل والدرهم واثننا بشيء من لحمها. فما تبرح حتى تقع، فتنحر^(٢). وقال الكلبي: «كان رجل من العرب يمكث يومين أو ثلاثة لا يأكل، ثم يرفع جانب خبائه، فتمر به الإبل، فيقول: لم أر كاليوم إبلاً ولا غنماً أحسن من هذه، فما تذهب إلا قليلاً حتى يسقط منها طائفة، فسأل الكفار هذا الرجل أن يصيب رسول الله ﷺ بالعين، ويفعل به كفعله في غيره، فعصم الله رسوله ﷺ وحفظه وأنزل عليه: ﴿وَلَا يَكَاذُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَبِزْلُ قَوْلِكَ لَبِزْلُكَ بِأَبْصَرِهِمْ لَمَّا سَمِعُوا الذِّكْرَ﴾ هذا قول طائفة.

وقالت طائفة أخرى، منهم ابن قتيبة: ليس المراد: أنهم يصيبونك بالعين، كما يصيب العائن بعينه ما يعجبه، وإنما أراد: أنهم ينظرون إليك إذا قرأت القرآن نظراً شديداً بالعداوة والبغضاء، يكاد يُسقطك. قال الزجاج: يعني من شدة العداوة يكادون بنظرهم نظر البغضاء أن يصرعوك. وهذا

(١) سورة القلم: (آية ٥١).

(٢) قلت: وهذا من أعظم الظلم والعدوان؛ لأن الشرع شرع علاجاً ناجعاً لدفع أذى العائن وشره.

مستعمل في الكلام، يقول القائل: نظر إليّ نظراً كاد يصرعني.
 قال: ويدل على صحة هذا المعنى: أنه قرن هذا النظر بسماع القرآن،
 وهم كانوا يكرهون ذلك أشد الكراهية، فيُحدُّون إليه النظر بالبغضاء.
 قلت^(١): النظر الذي يؤثر في المنظور: قد يكون سببه شدة العداوة
 والحسد فيؤثر نظره، كما تؤثر نفسه بالحسد، ويقوى تأثير النفس عند
 المقابلة، فإن العدو إذا غاب عن عدوه فقد يشغل نفسه عنه. فإذا عاينه قُبلاً
 اجتمعت الهمّة عليه، وتوجهت النفس بكليتها إليه، فيتأثر بنظره، حتى إن
 من الناس من يسقط، ومنهم من يُحْم، ومنهم من يحمل إلى بيته. وقد شاهد
 الناس من ذلك كثيراً^(٢).

وقال حاتم الأصم - رحمه الله - : «رأيت الناس يتحاسدون فنظرت في
 قوله تعالى: ﴿أَهْمُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾^(٣)
 فتركت الحسد لأنه إعتراض على قسمة الله»^(٤).

والحسد هو مرض قلبي قائم على عدم الرضا بقضاء الله وقدره.
 ودليل ذلك ما رواه أبي أمامة بن سهل بن حنيف، قال: (مَرَّ عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ
 بِسَهْلِ بْنِ حَنِيفٍ، وَهُوَ يَغْتَسِلُ فَقَالَ: لَمْ أَرَ كَالْيَوْمِ، وَلَا جِلْدَ مُحَبَّاةٍ فَمَا لَبِثَ أَنْ لُبِطَ

(١) لا يزال الكلام لابن القيم رحمه الله.

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣١، ٢٣٢).

(٣) سورة الزخرف، الآية (٣٢).

(٤) مختصر منهاج القاصدين (ص ٢٨).

بِهِ، فَأَتَى بِهِ النَّبِيُّ ﷺ فَقِيلَ لَهُ: أَذْرِكُ سَهْلًا صَرِيحًا، قَالَ «مَنْ تَتَّهَمُونَ بِهِ» قَالُوا عَامِرُ بْنُ رَبِيعَةَ، قَالَ: «عَلَامَ يَقْتُلُ أَحَدُكُمْ أَخَاهُ، إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مِنْ أَخِيهِ مَا يُعْجِبُهُ، فَلْيَدْعُ لَهُ بِالْبَرَكَاتِ» ثُمَّ دَعَا بِسَاءٍ، فَأَمَرَ عَامِرًا أَنْ يَتَوَضَّأَ، فغَسَلَ وَجْهَهُ وَيَدَيْهِ إِلَى الْمِرْفَقَيْنِ، وَرُكْبَتَيْهِ وَدَاخِلَةَ إِزَارِهِ، وَأَمَرَهُ أَنْ يَصُبَّ عَلَيْهِ قَالَ سُفْيَانُ: قَالَ مَعْمَرٌ، عَنِ الزُّهْرِيِّ: وَأَمَرَهُ أَنْ يَكْفَأَ^(١) الْإِنَاءَ مِنْ خَلْفِهِ^(٢).

وفي رواية قال عامر بن ربيعة: (فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فجاء يمشي فخاض الماء كأني أنظر إلى بياض ساقيه، قال: فضرب صدره بيده ثم قال: «اللهم أذهب عنه حرها وبردها ووصبها». قال: فقام)^(٣).

وقد ذكر فضيلة الشيخ عبد المحسن بن قاسم إمام وخطيب المسجد النبوي في كتابه «خطوات إلى السعادة» كلاماً نفيساً عن الحسد: فقال: «الحسد مرض من أمراض النفس، وهو مرض غالب يقع بين النظراء، لكرهية أحدهما، أو لفضل الآخر عليه، وهو من أعظم مداخل الشيطان، وهو خصلة ذميمة من خصال اليهود، قال جل وعلا: ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُمْ مُلْكًا عَظِيمًا﴾^(٤) وهو نار محرقة من بُلي به فهو في عذاب الله، يقول الشاعر:

(١) أي: صبَّه خلفه من على رأسه، طرح الثريب في شرح التقريب (٨ / ٢٠٠).

(٢) سنن ابن ماجه ٢ / ١١٦٠، صححه الألباني برقم ٤٤٨٧، وأحمد ١٦٠٢٣، والنسائي في السنن الكبرى (٧٦١٩) باختلاف يسير.

(٣) الأحاديث الصحيحة وشيء من فقهها وفوائدها للألباني (٦ / ١٤٨).

(٤) سورة النساء: ٥٤.

لله در الحسد ما أعدله يبدأ بصاحبه فيقتله

وقد قيل: أول ذنب عصي الله به ثلاثة: الحرص، والكبر، والحسد، فالحرص من آدم، والكبر من إبليس، والحسد من قابيل حيث قتل أخاه هابيل.

والحسد نوع من معاداة الله، فالحاسد يكره نعمة الله على عبده، وقد أحبها الله وأحب زوالها عنه، والله يكره ذلك فهو مضاد لله في قضائه وقدره ومحبه وكراهيته، وهو منافي للآخرة في الدين، قال عليه الصلاة والسلام: «لا تحاسدوا، ولا تناجشوا، ولا تباغضوا، ولا تدابروا، ولا يبيع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله أخواناً»^(١).

والحاسد كاره فضل الله على عباده، مبغوض في الخلق، محب للذات، كاره لنفع الآخرين.

قال معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه: «كل الناس أستطيع أن أرضيه إلا حاسد نعمة فإنه لا يرضيه إلا زوالها».

وقال أبو حاتم رحمه الله: «بئس الشعار للمرء الحسد لأنه يورث الكمد ويورث الحزن وهو داء لا شفاء له والحاسد إذا رأى بأخيه نعمة بهت وإن رأى به عثرة شمت ودليل ما في قلبه كمين على وجهه مبین وما رأيت حاسداً سالم أحداً.

والحسد داعية إلى النكد ألا ترى إبليس حسد آدم فكان حسده نكداً على نفسه فصار لعينا بعدما كان مكيناً ويسهل على المرء ترضي كل ساخط

(١) أخرجه مسلم، كتاب: البر والصلاة والآداب، باب تحريم ظلم المسلم وخذله واحتقاره برقم

في الديننا حتى يرضى إلا الحسود فإنه لا يرضيه إلا زوال النعمة التي حسد من أجلها»^(١).

وقال ابن القيم - رحمه الله - : «الحاسد عدو نعمه - أي نعم الله - وعدو عباده، وممقوت عند الله وعند الناس، ولا يسود أبداً، ولا يواسى، فإن الناس لا يسودون عليهم إلا من يريد الإحسان إليهم»^(٢).
والفاضل لا يكون حسوداً، ولا يحسد إلا المفضل، والله عز وجل قد ينعم على المحسود بالنعمة التي حسد عليها أو يزيد.

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : «بغضه لنعمة الله على عبده مرض، فإن تلك النعمة قد تعود على المحسود وأعظم منها، وقد يحصل نظير تلك النعمة لنظير ذلك المحسود»^(٣).

ومن وجد في قلبه حسداً لغيره فليجاهد نفسه باستعمال التقوى والصبر، قال رجاء بن حيوة: «ما أكثر عبد ذكر الموت إلا ترك الحسد والفرح»، فعليك بالسعي في إزالة الحسد من قلبك، والإحسان إلى المحسود بإكرامه، والدعاء له، ونشر فضائله، وأعلّ بنفسك إلى إزالة ما وجدت عليه في نفسك من الحسد حتى تصل إلى مرتبة تتمنى فيها أن يكون أخوك المسلم خيراً منك وأفضل.
قال ابن رجب: «وهذا من أعلى درجات الإيمان، وصاحبه هو المؤمن الكامل الذي يجب لأخيه ما يجب لنفسه»^(٤).

(١) روضة العقلاء ونزهة الفضلاء (ص ١٣٧).

(٢) بدائع الفوائد ٢/ ٤٦٢.

(٣) الفتاوى (١١٢/ ١٠).

(٤) جامع العلوم والحكم (٢/ ٢٦٣).

والمحسود مظلوم مأمور بالصبر والتقوى فليصبر على أذى الحاسد وليعف وليصفح عنه فالرفعة له.

قال ابن القيم - رحمه الله -: «من أصعب الأسباب على النفس وأشقها عليها، ولا يوفق لها إلا من عظم حظه من الله، وهو إطفاء نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرّاً وبغياً وحسداً، ازدادت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة»^{(١)(٢)} . اهـ

وإن من رحمة الله - عز وجل - بعباده أن شرع لهم أسباباً تقيهم - بإذن الله - من الشرور، سواء أكان مصدرها من الجن أو من الإنس، وقد تتبّع الإمام ابن القيم - رحمه الله - الأسباب التي تندفع بها الشرور بأنواعها البدنية أو النفسية، وقد أوصلها إلى عشرة أسباب، وهي على النحو التالي:

السبب الأول: التعوذ بالله من شرّه والتحصن به واللجأ إليه، كما قال

تعالى: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِنْ شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣ وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ ۝٤ وَمِنْ شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ .

والله تعالى سميعٌ لمن استعاذ به، عليمٌ بما يستعين منه، قادرٌ على كل شيء، وهو وحده المستعاذ به، لا يُستعاذ بأحد من خلقه، ولا يُلجأ إلى أحد

(١) بدائع الفوائد (٢/٤٦٨).

(٢) انظر: خطوات إلى السعادة ص ١٨٣ - ١٨٦.

سواه، بل هو الذي يعيد المستعيزين ويعصمهم ويحميهم من شر ما استعاذوا من شره.

وحقيقة الاستعاذة الهروب من شيء تخافه إلى من يعصمك ويحميك منه، ولا حافظ للعبد ولا معيد له إلا الله، وهو سبحانه حسب من توكل عليه، وكافي من لجأ إليه، وهو الذي يؤمن خوف الخائف ويخبر المستجير، وهو نعم المولى ونعم النصير.

السبب الثاني: تقوى الله وحفظه عند أمره ونهيه، فمن اتقى الله تولى حفظه ولم يكله إلى غيره، قال تعالى: ﴿وَأِنْ تَصَبَّرُوا وَتَتَّقُوا لَإَيُّضْرَكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ﴾، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «احفظ الله يحفظك، احفظ الله تجده تجاهك»^(١)؛ فمن حفظ الله حفظه الله، ووجدته أمامه أينما توجه، ومن كان الله حافظه وأمامه فممن يخاف وممن يحذر.

السبب الثالث: الصبر على عدوه وأن لا يقاتله ولا يشكوه ولا يحدث نفسه بأذاه أصلاً، فما نصر على حاسده وعدوه بمثل الصبر عليه، وكلما زاد بغى الحاسد كان بغيه جنداً وقوة للمبغى عليه، يقاتل بها الباغي نفسه وهو لا يشعر، فبغيه سهم يرميها من نفسه إلى نفسه ﴿وَلَا يَحِيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إِلَّا

(١) أخرجه الترمذي، كتاب: صفة القيامة والرقائق والورع عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، (٦٦٧/٤)، رقم (٢٥١٦)، وصححه الألباني.

يَا أَهْلِيهِ؛ فإذا صَبَرَ المحسودُ ولم يستطلِ الأمرَ نالَ حُسْنَ العاقبةِ بإذنِ الله.

السبب الرابع: التوكُّلُ على الله، فَمَنْ يَتَوَكَّلْ على الله فهو حَسْبُهُ، والتوكُّلُ من أقوى الأسباب التي يدفع بها العبدُ ما لا يطيقُ من أذى الخلقِ وظلمهم وعدوانهم، وَمَنْ كان الله كافيه فلا مطمَع فيه لعدوِّه، ولو توكَّل العبدُ على الله حقَّ توكُّله، وكادته السموات والأرضُ وَمَنْ فيهنَّ لجعلَ له مخرجاً من ذلك وكفاه ونصره.

السبب الخامس: فراغُ القلب من الاشتغال به والفكر فيه، وأن يقصدَ أن يَمْحوه من باله كلّما خَطر له، فلا يلتفتُ إليه، ولا يخافُه، ولا يملأ قلبه بالفكر فيه، وهذا من أنفع الأدوية وأقوى الأسباب المعينة على اندفاع شرِّه، فَإِنَّ هذا بمنزلة من يطلبه عدوُّه ليمسكه ويؤذيه، فإذا لم يتعرَّض له ولا تَمَسَّك هو وإياه، بل انزل عنه لم يقدر عليه، فإذا تَمَسَّكاً وتعلَّق كلُّ منهما بصاحبه حصل الشرُّ، وهكذا الأرواحُ سواء، فإذا تعلَّقت كلُّ روحٍ منهما بالأخرى عُدِمَ القرائُ ودام الشرُّ حتى يهلك أحدهما، فإذا جذب روحه عنه وصانها عن الفكر فيه والتعلُّق به، وأخذ يشغل باله بما هو أنفع له بقي الحاسدُ الباغي يأكلُ بعضه بعضاً، فَإِنَّ الحسدَ كالنار، إذا لم تجد ما تأكله أكلَ بعضها بعضاً.

السبب السادس: الإقبالُ على الله والإخلاصُ له وجعلُ محبته ونيلِ رضاه والإِنابةِ إليه في كلّ خواطر نفسه وأمانيتها، تدب فيها دبيب تلك الخواطر

شيئاً فشيئاً حتى يقهرها ويغمرها ويذهبها بالكلية، فتبقى خواطره وهواجسه وأمانيه كلها في محابِّ الرّب والتقرّب إليه وذكره والثناء عليه، قال تعالى عن عدوه إبليس أنّه قال: ﴿فِعِزَّنَاكَ لِأَعْوَيْنَهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ (٨٢) **إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمْ**

الْمُخْلِصِينَ ﴿٨٣﴾، فالمخلص بمثابة مَنْ آوى إلى حصن حصين، لا خوف على مَنْ تحصّن به، ولا ضيعة على مَنْ آوى إليه، ولا مطمع للعدوّ في الدُّنُو منه.

السبب السابع: تجريد التوبة إلى الله من الذنوب التي سلطت عليه أعداءه،

فإنَّ الله تعالى يقول: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾؛ فما سلَّط على العبد مَنْ يؤذيه إلّا بذنب، يعلمه أو لا يعلمه، وما لا يعلمه العبد من ذنوبه أضعاف ما يعلمه منها، وما ينساه ممّا علّمه وعمله أضعاف ما يذكره، وفي الدعاء المشهور: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشْرَكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ) ^(١)، فما يحتاج العبد إلى الاستغفار منه ممّا لا يعلمه أضعاف أضعاف ما يعلمه، فما سلَّط عليه مؤذٍ إلّا بذنب، وليس في الوجود شرٌّ إلّا الذنوب وموجباتها، فإذا عُوِيَ من الذنوب عُوِيَ من موجباتها، فليس للعبد إذا بُغِيَ عليه وأُوذِيَ وتسلط عليه خصومه شيءٌ أنفع له من التوبة النصوح من الذنوب التي كانت سبباً لتسلُّط عدوّه عليه.

السبب الثامن: الصّديقة والإحسان ما أمكنه؛ فإنَّ لذلك تأثيراً عجيباً

(١) الأدب المفرد للبخاري، باب: فضل الدعاء رقم (٧١٦)، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد

في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن مُتصدِّق^(١)، وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة، والصدقة والإحسان من شكر النعمة، والشكر حارس النعمة من كل ما يكون سبباً لزلها.

السبب التاسع: أن يطفئ نار الحاسد والباغي والمؤذي بالإحسان إليه، فكلما ازداد أذى وشرًا وبغياً وحسداً ازدادت إليه إحساناً وله نصيحة وعليه شفقة، قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِ الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ (٣٤) وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلْقِيهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾، وتأمل في ذلك حال النبي عليه السلام الذي حكى عنه نبينا ﷺ أنه ضربه قومه حتى أدموه فجعل يسלט الدَّم عنه ويقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْمَلُونَ»^(٢).

السبب العاشر: تجريد التوحيد والترحل بالفكر في الأسباب إلى المسبب العزيز الحكيم، والعلم بأن كل شيء لا يضر ولا ينفع إلا بإذن الله، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ﴾، وقال النبي ﷺ لعبد الله بن عباس رضي الله عنهما: «واعلم أن الأمة لو اجتمعوا على أن ينفعوك لم ينفعوك إلا بشيء كتبه الله لك، ولو اجتمعوا على

(١) قلت: وهذه بشارة عاجلة في الدنيا، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدْفِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا﴾.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: أحاديث الأنبياء رقم (٣٤٧٧)، ومسلم، كتاب: الجهاد والسير رقم

أَنْ يَضُرُّوكَ لَمْ يَضُرُّوكَ إِلَّا بِشَيْءٍ كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَيْكَ»^(١)، فإذا جَرَّدَ العبدُ التوحيدَ فقد خَرَجَ من قلبه خوفٌ ما سواه، وكان عدوُّه أهونَ عليه من أنْ يَخَافَهُ مع الله، بل يُفَرِّدُ اللهَ بالمخافة، ويَرَى أَنَّ إِعْمَالَهُ فكره في أمرِ عدوِّه وخوفه منه واشتغاله به من نقص توحيده، وإلا فلو جَرَّدَ توحيده لكان له فيه شغل شاغل، والله يتولَّى حفظَه والدفعَ عنه، فَإِنَّ اللهَ يدافعُ عن الذين آمنوا، فَإِنْ كَانَ مُؤْمِنًا فَاللهُ يدافعُ عنه ولا بدَّ، وبحسبِ إيمانه يكون دفاعُ الله عنه، فَإِنْ كَمَّلَ إِيْمَانُهُ كَانَ دَفَاعُ اللهِ عَنْهُ أَتَمَّ دَفْعٍ، وَإِنْ مَزَجَ مَزَجَ لَهُ، وَإِنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً فَاللهُ لَهُ مَرَّةً وَمَرَّةً، كما قال بعض السلف: (مَنْ أَقْبَلَ عَلَى اللهِ بِكَلِيَّتِهِ أَقْبَلَ اللهُ عَلَيْهِ جُمْلَةً، وَمَنْ أَعْرَضَ عَنِ اللهِ بِكَلِيَّتِهِ أَعْرَضَ اللهُ عَنْهُ جُمْلَةً، وَمَنْ كَانَ مَرَّةً وَمَرَّةً فَاللهُ لَهُ مَرَّةً وَمَرَّةً).

فالتوحيدُ حصنُ الله الأعظم الذي مَنْ دَخَلَهُ كَانَ مِنَ الْآمِنِينَ، قال بعض السلف: (مَنْ خَافَ اللهُ خَافَهُ كُلُّ شَيْءٍ، وَمَنْ لَمْ يَخَفِ اللهُ أَخَافَهُ اللهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ).

فهذه عشرة أسباب عظيمة يندفعُ بها شرُّ الحاسد والعائن والسَّاحِرِ بإذن الله تعالى، ونسأل الله الكريم أن يقيِّنا والمسلمين من الشرور كلها إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ انتهى كلام الإمام ابن القيم -رحمه الله-^(٢).

(١) أخرجه الترمذي رقم ٢٥١٦، وصححه الألباني.

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٣٨ - ٢٤١) بتصرف.

١٨ - نظرة حول أثر إصابة العين

لو افترضنا جدلاً: بأن لاعب كرة قدم متميز وشهير أصابته عين من أحد الجماهير وهو يجري في الملعب فوق وقع على الأرض أو اصطدم بلاعب آخر وأصيبت قدمه اليمنى بكسر مضاعف ونُقل إلى المستشفى وأجريت له عملية جراحية، واستمر على الرقبة بعدها حتى لا تتضاعف الإصابة وتتطور حالته المرضية فتصبح إعاقة إلى أن تماثل بالشفاء بعد فترة من الزمن بإذن الله، ثم عاد إلى ممارسة الرياضة مرة أخرى.

أعتقد أن مستواه الاحترافي لن يعود إلى ما كان عليه في السابق بسبب هذه الإصابة البليغة والله أعلم.

وكذلك ضياع شهرة هذا اللاعب حال ضعف مستواه الرياضي تنعكس سلباً على النفس يوماً بعد يوم إلى أن تتزامن مع الاضطرابات النفسية، وتظهر بآلام جسدية متنقلة، وهذا ما يسمّى في علم النفس بالاضطرابات النفسية جسدية^(١)، كانتقال الآلام من القدم اليمنى المصابة بالكسر سابقاً عند هذا اللاعب إلى القدم اليسرى السليمة، أو الشعور بآلام في أي عضو آخر دون سبب طبي واضح .

كذلك أثر الإصابة بالعين حينما تشترك مع الاضطرابات النفسية وتترك

(١) تقدم تعريفها ص (٣٨) وذكرها ص (١١٠).

بعض الأعراض على المريض وتظهر بصورة أمراض نفسية حتى بعد الرقية.

فإحساس المريض في مثل هذه الحالة بانتقال الألم من موضع إلى آخر في سائر البدن، ليس من أثر إصابة العين مباشرة كما يتصوره كثير من الناس، لكنها أعراض مصاحبة نتيجة القلق أو الاكتئاب^(١) الذي ظهر على المريض على أثر إصابته بالعين بعد فترة تزيد أو تقل عن شهرين أو ثلاثة والله أعلم.

كما أن بعض الرقاة اختلفوا في بعض القرائن التي تدل على إصابة المريض بالعين حينما تظهر بعضها على المريض في أثناء الرقية .

فمن الرقاة من يقول للمريض: تصور العائن في أثناء الرقية فإذا ظهر لك خذ من أثره؟^(٢)

وآخر يقول للمريض: سوف ترى العائن في النوم بعد الرقية؟

وآخر يقول: بأن المريض يشعر بحرارة في بعض أعضاء جسمه في أثناء الرقية.

وآخر يؤكد على إصابة المريض بالعين حينما يبكي في أثناء الرقية.

وآخر يستدل على إصابة المريض بالعين حينما تنتقل الآلام من عضو في الجسم إلى عضو آخر في أثناء الرقية.

(١) تقدم ذكره، ص ١١٠.

(٢) دعوى تصور العائن في اليقظة أو النوم دعوى باطلة وغير صحيحة، تقدم الكلام عليها ص ١٣٢.

وآخر يقول: بأن الصداع يشتدُّ على المريض في أثناء الرقية.
وآخر يقول: بأن العين تبدو بشكل واضح حينما يتشاءب المريض في أثناء الرقية.

وأعتقد أن بعض هذه القرائن تحتاج إلى إعادة نظر! مثل القراءة التصورية، والجزم بتصوُّر العائن في أثناء الرقية، فربما هذه الطريقة تُعزِّز الوهم لدى المريض على خلاف هدي النبي ﷺ: «ويعجبني الفأل»^(١).
وقد صدر فتوى من اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء رداً على سؤال عن مدى صحة تخيُّل المريض للعائن من جراء القراءة أو طلب الراقي من القرين أن يخيِّل للمريض من أصابه بالعين.

الجواب: تخيُّل المريض للعائن أثناء القراءة عليه، وأمر القارئ له بذلك هو عمل شيطاني لا يجوز؛ لأنه استعانة بالشياطين، فهي التي تتخيل له في صورة الإنسي الذي أصابه، وهذا عمل محرم؛ لأنه استعانة بالشياطين، ولأنه يسبب العداوة بين الناس، ويسبب نشر الخوف والرعب بين الناس، فيدخل في قوله تعالى: ﴿وَأَنَّهُ كَانَ رِجَالٌ مِنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا﴾^{(٢)(٣)}.

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

(١) أخرجه البخاري في صحيحه: الطب، باب الفأل، حديث رقم ٥٦٥٦ (٧/١٣٥)، ومسلم

في صحيحه، باب الطيرة والفأل، حديث رقم ١١١ (٤/١٧٤٦).

(٢) سورة الجن: ٦.

(٣) فتاوى اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء ص ٩٠.

وكذا الجزم برؤية العائن في النوم بعد الرقية، فقد يتلبس الشيطان للمريض وهو نائم بصورة شخص يعرفه حتى يوقع بينهما العداوة والبغضاء، فخير الهدي هدي نبينا محمد ﷺ، وما كان عليه سلف الأمة.

فالتهمة على نوعين :

١ - تهمة عليها دليل كالعائن حينما يصف المريض بكلمة إعجاب ونحوها فيعتلّ في ساعته على إثرها، كما حصل للصحابي سهل بن حنيف حينما وصفه عامر بن ربيعة رضي الله عنهما^(١).

٢ - تهمة ليس عليها دليل فيكتفي المريض بالرقية الشرعية والإكثار من قراءة القرآن والأدعية الماثورة من الكتاب والسنة والمحافظة على فعل الخيرات وإقامة الصلاة.

أما البعض الآخر من القرائن فإنها تتشابه إلى حدّ كبير مع أعراض الاكتئاب والأعراض النفس جسدية كما لاحظنا سابقاً في الاضطرابات النفسية^(٢) كالآلام الرأس والرقبة وأسفل الظهر واضطراب القولون العصبي وغيرها من الأعراض العضوية.

أما بالنسبة لاضطراب القولون العصبي الحاد الذي يستجيب غالباً لحالات الاكتئاب المزمنة، فقد ينتاب المريض النفسي في أثناء الرقية مع

(١) انظر: ص ٢١١.

(٢) انظر: ص ١١٠.

ضيق في التنفس كما سيأتي ذكره^(١) بالإضافة إلى محاولة التقيؤ دون جدوى. فعلى الراقي في مثل هذه الحالات المشتبهة الاطلاع على ماضي المريض مع ضرورة فحصه عن تعاطي المخدرات؛ فقد تكون سبباً للحالة النفسية التي يعاني منها، والله أعلم.

وهذه قصة حول هذا الموضوع :

طلب مني أحد المراجعين القراءة على ابنه الذي يبلغ من العمر قرابة خمسة وعشرين عاماً، وذكر لي أن حالته النفسية سرعان ما تدهورت بالأمس القريب، ساعة حضوره مناسبة زواج، أو مشاركته في حفل ونحوه.

ولا ريب أن مثل هذه الشكوى متواترة عن كثير من أهالي مرضى الإدمان، وربما غفلوا عن احتواء أبنائهم قبل الانزلاق في براثن المخدرات هداهم الله .

ومما أسهم - أيضاً - في تعزيز الإيحاء النفسي لدى هذا المريض: استشارته أحد الرقاة عبر الهاتف وموافقته على إصابته بالعين.

وعلى كل حال هذه العوامل قد تدفع بعض المرضى إلى (الإسقاط) وهو مبرر انقياده إلى التعاطي الخارج عن محض إرادته.

وعندما سألت المريض عن بعض الأعراض التي يعاني منها، ذكر أنه

(١) انظر الرسم: ص: ٢٧٢.

يعاني من اكتئاب منذ اربع سنوات بخلاف ما ذكر لي أبوه؟

ولما قرأت على المريض اجتمعت على نفسه قابلية إيجاء إصابته بالعين
بالإضافة إلى تهيج القولون العصبي معاً.

فقام يلتف ببدنه يميناً و شمالاً ويضغط بكلتا يديه على أسفل بطنه بطريقة
تفوق الوصف مع محاولة التقيؤ دون جدوى.

فأخبرت والده بضرورة فحصه عن التعاطي، فتفاجأ بنتيجة تحليل
إيجابية ناتجة عن تعاطيه جرعة هروين، كاد ابنه أن يهلك على إثرها لولا عناية
الله عز وجل .

فأخذ العلاج المناسب والله الحمد وبعد فترة من الزمن طلب منّي
الرقية، فقرأت عليه ولم يظهر عليه شيء مما كان يشكو منه، والله أعلم .

أما بالنسبة للصداع الذي يشتدّ على المريض في أثناء الرقية وليس له سبب
طبي ظاهر، فهذا ملاحظ على بعض المرضى، وقد يكون ذلك نتيجة إصابته
بالعين، والله أعلم.

وأما بالنسبة للصداع المستمر الذي لا يزول إلا بزوال العلة التي بالجسد
فيعدّ هذا أمراً طبيعياً، كما جاء عن النبي ﷺ: « تَرَى الْمُؤْمِنِينَ فِي تَرَاهِمِهِمْ
وَتَوَادِهِمْ وَتَعَاطُفِهِمْ، كَمَثَلِ الْجَسَدِ، إِذَا اشْتَكَى عُضْوًا تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ

جَسَدُهُ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى^(١).

وقد ذكر العلامة ابن القيم - رحمه الله - عدّة أسباب لآلام الرأس والصداع (الشقيقة) منها ما يلي:

- ١ - ما يحدث من الأعراض النفسانية، كالهجوم، والغموم، والأحزان، والوساوس، والأفكار الرديئة.
- ٢ - ما يحدث من السهر وعدم النوم.
- ٣ - ما يحدث من كثرة الكلام، فتضعف قوة الدماغ لأجله.
- ٤ - ما يحدث من ضغط الرأس وحمل الشيء الثقيل عليه.
- ٥ - ما يحدث من كثرة الحركة والرياضة المفرطة.
- ٦ - صُداع يحصل عن امتلاء المعدة من الطعام، ثم ينحدر ويبقى بعضه نيئاً، فيصّدع الرأس ويثقله.
- ٧ - ما يحدث بسبب الحمّى لاشتعال حرارتها فيه فيتألم، والله أعلم^(٢).

عن عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي رَافِعٍ، عَنْ جَدَّتِهِ سَلَمَى خَادِمِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ قَالَتْ: «مَا كَانَ أَحَدٌ يَشْتَكِي إِلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ: وَجَعًا فِي رَأْسِهِ إِلَّا قَالَ: اخْتَحِمْ، وَلَا وَجَعًا فِي رِجْلَيْهِ، إِلَّا قَالَ اخْضِبْهُمَا»^(٣)، وفي رواية: «اخْضِبْهُمَا

(١) أخرجه البخاري، كتاب الأدب، باب: رحمة الناس والبهائم، ٨/ ١٠ برقم ٦٠١١.

(٢) ينظر: زاد المعاد (ص ٧٤٩)، الناشر: دار الكتاب العربي، بيروت - لبنان، ١٤٢٧ هـ.

(٣) حسنه الألباني في صحيح الترغيب رقم ٣٤٦١.

بالحناء»^(١).

أما شعور بعض المرضى بحرارة في سائر أجسامهم أو بعضها في أثناء الرقية، فهذا ملاحظ على الكثير من المراجعين وكذلك إحساس بعض المرضى بالبرودة، لكنها أقل بكثير من إحساس بعضهم بالحرارة، فمن المرضى من يشعر بحرارة من أكتافه إلى ساعديه أو في أسفل قدميه ومنهم من يشعر بحرارة في كامل جسمه وكذلك البرودة كما جاء في الحديث (اللهم اذهب عنه حرها وبردها ووصبها)^(٢).

وقد لاحظت أيضاً على بعض المرضى في أثناء الرقية بكاءً شديداً ويصاحبه أحياناً تعرُّق في البدن أو رعشة في أحد الأجزاء أو في سائر الجسم، أو دوخة، أو آلام شديدة في سائر الجسم أو أحد أعضائه، أو رجفة وقد يصاحبها حركة يسيرة في أحد الأجزاء أو صعوبة في التنفس، أو الشعور بوخزٍ في الرأس أو أحد الأجزاء أو ألم أو ثقل أو دوران في الرأس، أو الشعور بغصة في الحلق أو الشعور بغازات في البطن، أو الشعور بغثيان، أو التواء في الرقبة أو أحد الأجزاء، أو تصلب في اليدين أو الرجلين أو أحد الأجزاء، أو الشعور بشيء من لمس الكهرباء في إحدى اليدين أو كلاهما أو أحد الأجزاء أو تنميل في سائر الجسم أو بعض الأجزاء مع صعوبة القيام وتعب عام بعد الرقية، وكذا إحساس أحدهم بأن حملاً ثقيلاً

(١) أخرجه البخاري، من حديث سلمى، برقم ٢٧٦١٦ (٤٥/ ٥٩٠)، والمستدرک علی الصحیحین للحاکم، کتاب: الطب، رقم ٧٤٥٩، صحیح الإسناد.

(٢) سبق تخريجه: ص ٢١١.

جثى على صدره، أو نبض في الكفين، أو بعض أعضاء الجسم، وكذلك تصلُّب في اليدين والرجلين، أو تجشؤ في أثناء الرقية، أو خفقان في القلب أو نعاس، أو نوم، أو إغماء لطيف في أثناء الرقية.

وكذلك ظهور طفح جلدي دون سبب طبي ظاهر قبل الرقية.

وكذلك شعور بعض المرضى في أثناء الرقية بصعوبة في التنفس وكأن أحداً يخنقه إلى أن تنهار قواه فيضطر إلى الجلوس غالباً فترة يسيرة بعد الرقية لا تتجاوز مدتها عشرين دقيقة، وقد يصاحب بعض هذه القرائن شيء من الخوف.

أما بالنسبة لتثاؤب المريض في أثناء الرقية فيحتمل والله أعلم بأن المريض يعاني من أرق أو نحوه.

وفي نظري بأن هذه الأعراض الظاهرة التي ذكرت، قد يكون فيها دلالة على أثر الإصابة بالعين والله أعلم بحسب تأثيرها على حياة الإنسان، أما بالنسبة لغيرها من الأعراض الخفية التي لم اتطرق لها فتظل مجهولة لا يعلمها إلا الله عز وجل.

وقد لا حظت التحسن والله الحمد على بعض المراجعين بعد عدة جلسات يسيره.

قال الشيخ السعدي -رحمه الله-: «على قدر تكرارك للرقية الشرعية

يكون فتكك بالشياطين وطرده لسموم الحسد»^(١).

وقد لفت انتباهي مقولة متواترة من بعض المراجعين نحو عبارة (حياتي متعطلة) حينما يشكو أحدهم ممن يطلبون الرقية خشية الإصابة بالعين دون أن تظهر عليهم في أثناء الرقية بعض القرائن التي ذكرت، قال -تعالى-: ﴿وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَّ لِفَضْلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾^(٢).

وعن ابن عباس -رضي الله عنهما-، عن النبي ﷺ أنه قال: (العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقته العين، وإذا استغسلتم فاغسلوا)^(٣).

قال ابن عبد البر -رحمه الله-: «وفي قوله (لو سبق شيء القدر لسبقته العين) دليل على أن الصحة والسقم قد علمها الله -تعالى-، وما علم فلا بد من كونه على ما علمه، لا يتجاوز وقته، ولكن النفس تسكن إلى العلاج والطب والرقى وكل سبب من أسباب قدر الله وعلمه»^(٤).

وقال القاضي عياض -رحمه الله-: «(لو سبق شيء القدر سبقته العين): بيان أن لا شيء إلا ما قدره الله، وإن كل شيء من عين وغيره إنما هو بقدر الله ومشيتته، لكن فيه صحة أمر العين وقوة دائه»^(٥).

(١) علم العقائد والتوحيد (ص ٤٧).

(٢) سورة يونس: ١٠٧.

(٣) أخرجه مسلم، كتاب: السلام، باب: الطب والمرض والرقى رقم (٢١٨٨)، ٤/ ١٧١٩.

(٤) انظر: الاستذكار (٨/ ٤٠٣).

(٥) إكمال المعلم (٧/ ٨٥).

قال الشيخ ابن عثيمين - رحمه الله -: «العين لا تأتي إلا غفلة وأكثر ما تأتي أيضاً من يخاف منها»^(١).

فهنا تتجلى فائدة الحوار مع المريض قبل الرقية كما جاء في هديه ﷺ في قوله: (من تتهمون؟) فعلى الراقي أن يجتهد في البحث عن أسباب أخرى قد تعرّض لها المريض، كحادث مروري شنيع، أو حالة رُعب عند موقف مخيف، أو وفاة قريب أو ضغوط نفسية مستمرة وغيرها من الصدمات النفسية التي واجهها المريض في حياته، أو أمراض وراثية.

فقد تساعد جميع هذه المعلومات على نتائج إيجابية في الوصول إلى معرفة علّة المريض بإذن الله، بدلاً من أن يُعلّق المريض فشله في الزواج أو الدراسة أو الوظيفة أو التجارة ونحوها بإصابته بالعين؛ فقد يرسخ هذا الوهم في ذهن المريض إلى أن يهيمن عليه الوهن، فيركن إلى الإحباط حتى يصبح وهم الإصابة بالعين ديدنه طيلة حياته، فربما تعثر عن مواصلته إلى طريق النجاح، وهذه إيجاءات شيطانية، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾^(٢).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فالخزن من أمراض القلب يمنع من نهوضه وسيره وتشميره. والثواب عليه ثواب المصائب الذي يُبتلى العبد

(١) تفسير ابن عثيمين سورة الشعراء (ص ١٠٠).

(٢) سورة الأعراف، آية ٢٠١.

بها بغير اختياره، كالمرض والألم ونحوها»^(١) وقال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَلِفٌ مِّنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ﴾^(٢).

وهذه قصة حول هذا الموضوع:

لما شاع الخبر عند المراجعين في الفترة الأخيرة من عملي في المقرأة عن كثرة إحالتي للمرضى النفسيين شفاهم الله إلى الأطباء النفسيين. لم يرابعني سوى حالة جديدة في كل يومين أو حالتين تقريباً في كل أسبوع ممن لا يطيقون الانتظار الطويل عند الراقي المجاور بسبب كثرة الزحام^(٣). حتى إن إحدى زوجات المراجعين التي لم يظهر عليها شيء في أثناء الرقية، وكانت تعاني من اضطراب نفسي والله أعلم، قالت لزوجها وهي غاضبة باللهجة العامية حينما وجهتها إلى الطيبة النفسية: (قم، مشينا، لا يهّمك هذا، ترى ما عنده سالفة).

لهذا كانت نفسي تراودني بالانتقال إلى مكان آخر. فإذا بأحد المراجعين من الإخوة السوريين يعتقد أنه مصاب بالعين، وكان يتمتع بصحة نفسية جيدة حينما سألته عن أعراض الاكتئاب بعدما فرغنا من الرقية، ولم ألاحظ عليه شيئاً مما ذكر.

قلت: لعلك تتوهم الإصابة بالعين؟

فقال: كيف أتوهم إصابتي بالعين وقد فتحت محلاً تجارياً وخسرت فيه!

(١) طريق الهجرتين. (٢/٦٠٧).

(٢) سورة المجادلة، آية ١٠.

(٣) سبق الكلام عن أسباب الزحام لدى الراقي المجاور ص (٢٠١).

قلت: هذا موضوع آخر ليس له علاقة بإصابتك بالعين، الزم الاستغفار كما جاء في القرآن الكريم عن نوح عليه السلام و مناصحته لقومه: ﴿فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ۝ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَارًا ۝ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَيُنِيبْكُمْ إِلَى الصِّرَاطِ ۝ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَارًا ۝﴾^(١). وقال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ۝﴾^(٢).

فقال: كل المحلات التي من حولي عندهم زبائن، وكلما دخل محلي زبون خرج ولم يشتري شيئاً.

فقلت له: وما حالك عني بعيد، أما ترى ما أنا فيه الآن؟ فكأنه لم يقتنع، فقلت له: لعلك تبحث عن راقٍ آخر يحلّ لك هذه المشكلة؟ فإذا وجدته فأخبرني؟ فوضعتُه أمام الأمر الواقع فخرج ولم يعد. وليست إحالتي له إلى راقٍ آخر للتحدي أو نحوه ولكنني استعملت الأسلوب القرآني الرائع المُقنع في حوار إبراهيم عليه السلام مع نمرود يوم أن عدل إبراهيم عليه السلام عن المقام الأول من مناظرته التي كانت بينهما في الإحياء والإماتة، وانتقل إلى المقام الثاني ﴿قَالَ إِبْرَاهِيمُ فَإِنَّ اللَّهَ يَأْتِي بِالشَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ ۝﴾^(٣).



(١) سورة نوح: (الآيات ١٠-١٢).

(٢) سورة الإسراء: (آية ٣٠).

(٣) سورة البقرة: (آية ٢٥٨).

١٩ - نظرة حول أثر السحر^(١)

يُموّه لبعض المصابين بالسحر أشياء موجودة على غير حقيقتها^(٢)، بخلاف ما يرى بعض المرضى النفسيين أشياء غير ملموسة، فقد يرى الرجل المسحور زوجته بشكل قبيح، أو المرأة المسحورة ترى زوجها بشكل مخيف،

(١) السحر لغة: ما خفي ولطف سببه، ومنه سُمِّي السَّحَر لآخر الليل، لأن الأفعال التي تقع فيه تكون خفية، وكذلك سُمِّي السَّحُور؛ لما يؤكل في آخر الليل؛ لأنه يكون خفياً؛ فكل شيء خفي سببه يسمَّى سحراً.

وأما في الشرع، فإنه ينقسم إلى قسمين:

الأول: عقد ورقى؛ أي: قراءات وطلاسم يتوصل بها الساحر إلى استخدام الشياطين فيما يريد به ضرر المسحور، لكن قد قال الله تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ١٠٢].

الثاني: أدوية وعقاقير تؤثر على بدن المسحور وعقله وإرادته وميله؛ فتجده ينصرف ويميل، وهو ما يسمَّى عندهم بالصرف والعطف فيجعلون الإنسان يعطف على زوجته أو امرأة أخرى، حتى يكون كالبهيمة تقوده كما تشاء، والصرف بالعكس من ذلك فيؤثر في بدن المسحور بإضعافه شيئاً فشيئاً حتى يهلك، وفي تصوُّره بأن يتخيل الأشياء على خلاف ما هي عليه وفي عقله، فربما يصل إلى الجنون والعياذ بالله، (القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن صالح العثيمين) (ص ٣١٣).

(٢) أن السحر يؤثر بلا شك، لكنه لا يؤثر بقلب الأعيان إلى أعيان أخرى؛ لأنه لا يقدر على ذلك إلا الله - عز وجل - وإنما يُخَيَّل إلى المسحور أن هذا الشيء انقلب، وهذا الشيء تحرك أو مشى وما أشبه ذلك، كما جرى لموسى - عليه الصلاة والسلام - أمام سحرة آل فرعون، حيث كان يُخَيَّل إليه من سحرهم أنها تسعى، (القول المفيد على كتاب التوحيد، محمد بن صالح العثيمين) (ص ٣١٤).

فلا يطبق أحدهما معايشرة الآخر على حسب إصابة أحدهما أو كلاهما بالسحر، قال تعالى: ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِ بَيْنَ الْمَرْءِ وَزَوْجِهِ وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١).

قال الطبري - رحمه الله -: (واختلف في معنى السحر، فقال بعضهم: هو خدعٌ ومخاريق ومعانٍ يفعلها الساحر، حتى يخيل إلى المسحور الشيء أنه بخلاف ما هو به، نظير الذي يرى السراب من بعيدٍ، فيخيل إليه أنه ماءٌ، ويرى الشيء من بعيد فيثبته بخلاف ما هو على حقيقته، وكراكب السفينة السائرة سيرًا حثيثًا يُخَيَّلُ إليه أن ما عاين من الأشجار والجبال سائرٌ معه. قالوا: فكذلك المسحور ذلك صفته، يحسب بعد الذي وصل إليه من سحر الساحر أن الذي يراه أو يفعله بخلاف الذي هو به على حقيقته كالذي حدث للنبي ﷺ، فعن عائشة رضي الله عنها: «أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا سُحِرَ كَانَ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ أَنَّهُ يَفْعَلُ الشَّيْءَ وَلَمْ يَفْعَلْهُ»^{(٢)(٣)}.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «هذا الحديث ثابت عند أهل العلم بالحديث، فتلقَّى بالقبول بينهم لا يختلفون في صحته، وقد اعتاص على كثير من أهل الكلام وغيرهم وأنكروه أشد الإنكار، وقابلوه بالتكذيب، لأن النبي ﷺ لا يجوز أن يُسحر فإنه يكون تصديقاً لقول الكفار: ﴿إِنْ

(١) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (٢ / ٣٥٠).

(٣) والحديث أخرجه البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩).

تَتَّبِعُونَ إِلَّا رَجُلًا مَسْحُورًا ﴿١﴾ ورد عليهم بقوله: السحر الذي أصابه ﷺ كان مرضاً من الأمراض عارضاً شفاه الله منه ولا نقص في ذلك ولا عيب بوجه، فإن المرض يجوز على الأنبياء وكذلك الإغماء فقد أغمي عليه الصلاة والسلام في مرضه، وهذا من البلاء الذي يزيده الله به رفعة في درجاته، ونيل كرامته، وأشد الناس بلاء الأنبياء فابتلوا من أهمهم بما ابتلوا به من القتل والضرب والشتم والحبس فليس ببدع أن يتلى النبي من بعض أعدائه بنوع من السحر» (٢).

وسوف تَضْمَحِل تلك المخاوف بإذن الله من السحرة والمشعوذين عند كثير من الناس حينما يتدبرون قول الله عز وجل: **لَهُ مُعَقِّبَتٌ مِّنْ بَيْنِ يَدَيْهِ** **وَمِنْ خَلْفِهِ يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ** ﴿٣﴾. قال ابن عباس -رضي الله عنهما-: (ذلك ملك من ملوك الدنيا له حرس من دونه حرس) (٤).

يَحْفَظُونَهُ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ ﴿٥﴾ قال: (ملائكة يحفظونه من بين يديه ومن خلفه، فإذا جاء قدره خَلُّوا عنه) (٥).

كما أن السحر لا يؤثر على الإنسان بمجرد حصول الساحر على صورته

(١) سورة الفرقان: (آية ٨).

(٢) بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٣ - ٢٢٤).

(٣) سورة الرعد: (آية ١٣).

(٤) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧٣).

(٥) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر (١٦ / ٣٧١).

الفوتغرافيه أو صورته عبر أجهزة الاتصال ونحوها، ولا يستطيع الساحر السحر حتى بالمكالمه الهاتفية كما يزعم بعض المشعوذين حينما يتصل أحدهم من خارج البلاد ليأخذ أموال الناس بالباطل، قال تعالى: ﴿وَمَا هُمْ بِضَاكِرِينَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾^(١)، بإذن الله الكوني القدري.

وكانت العرب تُكنّي الشخص المصاب بالسحر وتقول: فلان به طب أو مطبوب تفاؤلاً بالشفاء.

قال ابن القيم - رحمه الله -: (يقال رجلٌ مطبوبٌ أي مسحورٌ، وفي (الصحيح)^(٢) في حديث عائشة «لما سحرت يهود رسول الله ﷺ، وجلس الملكان عند رأسه وعند رجله، فقال أحدهما: ما بال الرجل؟ قال الآخر: مطبوبٌ. قال: من طبه؟ قال: فلان اليهودي».

قال أبو عبيد: إنما قالوا للمسحور: مطبوبٌ، لأنهم كنُوا بالطب عن السحر، كما كنُوا عن اللديغ، فقالوا: سليمٌ تفاؤلاً بالسلامة، وكما كنُوا بالمفازة عن الفلاة المهلكة التي لا ماء فيها، فقالوا: مفازةٌ تفاؤلاً بالفوز من الهلاك. ويقال: الطب لنفس الداء)^(٣).

والفأل يدخل على المريض السرور، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: «لَا طَيْرَةَ، وَخَيْرُهَا الْفَأْلُ» قَالَ: وَمَا الْفَأْلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟

(١) سورة البقرة: (آية ١٠٢).

(٢) البخاري برقم (٥٧٦٣)، ومسلم برقم (٢١٨٩).

(٣) زاد المعاد في هدي خير العباد (٤ / ١٢٦).

قَالَ: «الْكَلِمَةُ الصَّالِحَةُ يَسْمَعُهَا أَحَدُكُمْ»^(١).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (وقد دل قوله: مِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ وحديث عائشة المذكور على تأثير السحر، وأن له حقيقة.

وقد أنكر ذلك طائفة من أهل الكلام من المعتزلة وغيرهم.

وقالوا: إنه لا تأثير للسحر البتة لا في مرض، ولا قتل، ولا حل، ولا عقد.

قالوا: وإنما ذلك تخيل لأعين الناظرين، لا حقيقة له سوى ذلك.

وهذا خلاف ما تواترت به الآراء عن الصحابة والسلف، واتفق عليه

الفقهاء، وأهل التفسير والحديث. وما يعرفه عامة العقلاء.

والسحر الذي يؤثر مرضاً وثقلاً وعقداً وحباً وبغضاً ونزيفاً وغير ذلك

من الآثار موجود، تعرفه عامة الناس. وكثير منهم قد علمه ذوقاً بما أصيب

به منه، وقوله تعالى: ﴿وَمِنْ شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ﴾ دليل على أن هذا

النفث يضر المسحور في حال غيبته عنه، ولو كان الضرر لا يحصل إلا بمباشرة

البدن ظاهراً، كما يقوله هؤلاء، لم يكن للنفث ولا للنفاثات شر يستعاذ منه.

وأيضاً فإذا جاز على الساحر أن يسحر جميع أعين الناظرين مع كثرتهم

حتى يروا الشيء بخلاف ما هو به، مع أن هذا تغيير في إحساسهم، فما

الذي يحيل تأثيره في تغيير بعض أعراضهم وقواهم وطباعهم؟ وما الفرق

بين التغيير الواقع في الرؤية والتغيير الواقع في صفة أخرى من صفات

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الطب، باب: الطيرة، رقم: ٥٧٥٤، ٧ / ١٣٥، ومسلم، كتاب:

السلام، باب: الطيرة والفأل وما يكون فيه الشؤم، رقم: ٢٢٢٣، ٤ / ١٧٤٥.

النفس والبدن؟ فإذا غير إحساسه حتى صار يرى الساكن متحركاً، والمتصل منفصلاً، والميت حياً، فما المحيل لأن يغير صفات نفسه، حتى يجعل المحبوب إليه بغيضاً، والبغيض محبوباً، وغير ذلك من التأثيرات.

وقد قال تعالى عن سحرة فرعون إنهم: ﴿سَحَرُوا أَعْيُنَ النَّاسِ

وَأَسْرَهُبُهُمْ وَجَاءَ وَبِسِحْرِ عَظِيمٍ﴾ فبين سبحانه أن أعينهم سحرت، وذلك إما أن يكون لتغيير حصل في المرئي، وهو الحبال والعصي، مثل أن يكون السحرة استغاثت بأرواح حركتها، وهي الشياطين. فظنوا أنها تحركت بأنفسها. وهذا كما إذا جرّ من لا تراه حصيراً أو بساطاً فترى الحصير والبساط ينجر، ولا ترى الجار له، مع أنه هو الذي يجره، فهكذا حال الحبال والعصي التبستها الشياطين، فقلبتهم كتقليب الحيّة. فظن الرائي أنها تقلبت بأنفسها، والشياطين هم الذين يقلبونها. وإما أن يكون التغيير حدث في الرائي. حتى رأى الحبال والعصي تتحرك، وهي ساكنة في أنفسها. ولا ريب أن الساحر يفعل هذا وهذا، فتارة يتصرف في نفس الرائي وإحساسه، حتى يرى الشيء بخلاف ما هو به، وتارة يتصرف في المرئي باستغاثته بالأرواح الشيطانية حتى يتصرف فيها.

وأما ما يقوله المنكرون: من أنهم فعلوا في الحبال والعصي ما أوجب حركتها ومشيتها، مثل الزئبق وغيره، حتى سعت. فهذا باطل من وجوه كثيرة. فإنه لو كان كذلك لم يكن هذا خيالا، بل حركة حقيقية، ولم يكن ذلك سحراً لأعين الناس، ولا يسمّى ذلك سحراً، بل صناعة من الصناعات

المشتركة.

وقد قال تعالى: ﴿فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى﴾ ولو كانت تحركت بنوع حيلة - كما يقوله المنكرون - لم يكن هذا من السحر في شيء. ومثل هذا لا يخفى.

وأيضاً لو كان ذلك بحيلة - كما قال هؤلاء - لكان طريق إبطالها إخراج ما فيها من الزئبق، وبيان ذلك المحال ولم يحتاج إلى إلقاء العصا لا بتلاعها وأيضاً: فمثل هذه الحيلة لا يحتاج فيها إلى الاستعانة بالسحرة، بل يكفي فيها حُذَاق الصنَّاع. ولا يحتاج في ذلك إلى تعظيم فرعون للسحرة، وخضوعه لهم، ووعدهم بالتقريب والجزاء

وأيضاً: فإنه لا يقال في ذلك ﴿إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمُ الَّذِي عَلَّمَكُمُ السِّحْرَ﴾ فإن الصناعات يشترك الناس في تعلمها وتعليمها.

وبالجملة: فبطلان هذا أظهر أن يتكلف رده، فلنرجع إلى المقصود^(١).

وسوف أذكر قصتين تحكي عن الحقيقة ما بين السحر والوهم:

القصة الأولى: تحكي عن واقع متواتر عند كثير من الرقاة عن نطق الجان على لسان الإنس بلغات مختلفة في أثناء الرقية:

قرأت على مريض يظهر عليه بأنه غير متعلم، في أحد الأقسام الداخلية في مستشفى إرادة والصحة النفسية بالرياض، فوضع يديه على أذنيه في أثناء

(١) ينظر: بدائع الفوائد (٢/ ٢٢٧ - ٢٢٨).

الرقية، وأخذ يتقيأ و يتخبط تخبطاً عنيفاً ويقول بأعلى صوته: لا فيو.. لا فيو.. لا فيو..^(١) وكان يكررها مراراً إلى أن سقط مغشياً عليه، فأراق على رأسه ماء أحد الزملاء من التمريض حتى أفاق وهو ينظر إلينا بنظرة تعجب واستنكار ويقول: من أنتم؟ وما الذي جاء بي إلى هذا المكان؟ وما هذه الملابس التي أرتديها؟ ويشير بيده إلى شعار وزارة الصحة المختوم على القميص الخاص بالمرضى.

فقد يقول قائل: يحتمل بأن هذا المريض كان يجيد اللغة الانجليزية ويعاني من اضطراب نفسي فتوهم السحر في أثناء الرقية.

الجواب: نعم^(٢) و لكن إذا أمعنا النظر في بعض القرائن التي ظهرت على المريض في أثناء الرقية، نستطيع بعد ذلك أن نميّز ما بين الوهم والحقيقة لدى هذا المريض.

(١) شاهدت عبر جوال أحد المراجعين بالمقرأة خط أعجمي مخطوط على حائط غرفة النوم، يشير إلى كلمة «أحبك» عندما ترجمت من اللغة الفارسية إلى اللغة العربية، حيث قامت زوجته بكتابتها قبل صرعها في أثناء الرقية بزمن يسير، على الرغم من بُعد الزوجين كل البعد عن بلاد فارس.

(٢) كما تلقيت اتصالاً من امرأة يبدو أنها كبيرة في السن تقول: «تعرف تقرأ يا شيخ انقليزي؟ فقلت: إن الله عز وجل يقول: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا﴾ [يوسف: ٢] قالت: الجنّي الّلي في بنتي يتكلم إنقليزي، فسألته: هل تجيد ابنتك اللغة الإنجليزية؟ قالت: نعم، وفي أثناء الحوار معها أدركت بأن ابنتها تعاني من حالة نفسية - شفاها الله -، وتراجع طبيبة نفسية لكنها غير منتظمة على العلاج النفسي على حد تعبيرها، والله أعلم.

أولاً: ما الذي حمل المريض على التقيؤ فوراً في أثناء الرقية؟ على الرغم من صعوبة تقيؤ الإنسان بمحض إرادته دون أن يضع إصبعه داخل فمه -أسفل الحلق- .

ثانياً: لماذا نطق المريض باللغة الانجليزية فقط في أثناء الرقية دون أن يتكلم بكلمة واحدة على الأقل بلغة بلده؟

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: فإنه -يعني الجنّي- يصرع الرجل، فيتكلم بلسان لا يعرف معناه... الخ^(١).

ثالثاً: لماذا تكررت كلمة الحب على لسان المريض بأعلى صوته في أثناء الرقية؟

قال شيخ الإسلام -رحمه الله-: عن أحد أسباب صرع الجن تارةً يكون الجنّي يحب المصروع^(٢).

رابعاً: لماذا لم تتأثر ملابس المريض بالتبول بعد افاقته من الصرع؟

كما هو الحال عند الصرع العصبي لبعض المرضى، ولماذا لم نلاحظ بعض الأعراض المصاحبة مثل التشنُّج وكذلك ظهور الزبد من فم المريض؛ كما وصف ابن القيم -رحمه الله- صرع الأخلاط^(٣).

(١) انظر: ص ١٤٦.

(٢) انظر: ص ١٤٥.

(٣) انظر: ص ١٥٠.

كما أن الصرع العصبي قد يباغت المريض في أي لحظة سواءً في أثناء الرقية أو في غيرها .

خامساً: ما الذي حمل المريض على إغلاق أذنيه بيديه حتى لا يسمع القرآن؟

وأخيراً: لماذا لم يشعر المريض بالمستشفى واستنكر ملابس التنويم حينما عاد إليه الإدراك في لحظة إفاقته من الصرع في أثناء الرقية؟

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: فقعد المصروع يلتفت يميناً وشمالاً وقال: ما جاء بي إلى حضرة الشيخ^(١).

هذا وبمناسبة نطق ذلك المريض باللغة الإنجليزية الذي قد يشكل على بعض الناس، وهنا أنقل فائدة نفيسة من فتاوى سماحة الإمام عبدالعزيز بن باز - رحمه الله - تتعلق بهذا الموضوع، فقد سئل - رحمه الله - عن لغات الجن، فأجاب بما نصه:

«الذي يظهر أنهم مثل الإنس، لهم لغات متعددة، ففيهم الإنجليزي وفيهم الفرنسي، والعجمي، والعربي وهكذا، فهم أجناس؛ لأن الله قال عنهم: ﴿وَأَنَا مِمَّا الصَّالِحُونَ وَمِمَّا دُونَ ذَلِكَ كُنَّا طَرَائِقَ قِدْدًا﴾^(٢) فهم على طرائق، وقال سبحانه عنهم: ﴿وَأَنَا مِمَّا الْمُسْلِمُونَ وَمِمَّا الْقَاسِطُونَ﴾^(٣). يعني

(١) وربما حالة هذا المريض تشبه حالة المريض الذي قرأ عليه شيخ الإسلام، من حيث الإفاقة وتقديم ذكرها ص ١٣٠.

(٢) سورة الجن، الآية: ١١.

(٣) سورة الجن، الآية: ١٤.

أقساماً، وفرقاً فيهم الطيّب، وفيهم الخبيث، وفيهم الجهمي، وفيهم السنّي، وفيهم الرّافضي، وفيهم النّصراني^(١)، وفيهم اليهودي، وفيهم غير ذلك، أقسام وفرق شتى، ﴿وَأَنَا مِنَ الصّٰلِحِينَ وَمِنَٰ ذُوْنَ ذٰلِكَ﴾^(٢). فقلوله: ﴿ذُوْنَ ذٰلِكَ﴾ يعمّ الفرق الأخرى^(٣).

والقصة الثانية: حول تأثير الوهم الذي حمل بعض المرضى على عداوتهم مع بعض أقاربهم: اتهمت إحدى زوجات المراجعين ضرّتها بأنها تسعى في الانتقام منها إلى أن تمكنت من السحر، وكانت تبكي بكاءً شديداً، فلم أتمكن من استجوابها غير أنني أدركت من خلال الحوار مع والدتها أنها حديثة عهد بولادة.

(١) قام أحد المراجعين بالمقراءة بصرخ بأعلى صوته في أثناء الرقية ويضع إحدى يديه على وجهه ويقبّلها ثم يحركها بين كتفيه، وهكذا... يكرر هذه الحركة التي يفعلها بعض النصارى، علماً بأنه مسلم ويعيش في مجتمع مسلم، ثم عاد إلى فعل هذه الحركة في أثناء الرقية في الجلسة الأخرى، وهو يقول: خروج... خروج... خروج...! ثم بعد ذلك استقرت حالته بفضل الله عز وجل في أثناء الرقية في جلسة أخرى، فسألته: لماذا تفعل ما يفعله النصارى في أثناء الرقية وأنت مسلم؟ فأنكر ما صدر منه في أثناء الرقية، وقال: أمّا الآن فلنّني أشعر بأسعد لحظات حياتي والله الحمد بعد معاناتي من اكتئاب دام ما يقارب سبع سنين، وأخرج من جيبه أدوية نفسية كان يتناولها وقال: لا حاجة لي بها الآن، فنصحته باستشارة الطبيب الذي صرف له الدواء، وأخبرني في الجلسة الأخيرة أنه راجع الطبيب النفسي ولاحظ التحسن الفعلي بفضل الله، فوافقه على تركها تدريجياً مراعاة للأعراض الانسحابية، والله أعلم.

(٢) سورة الجن، الآية: ١١.

(٣) فتاوى ساحة الشيخ عبد العزيز بن باز، نور على الدرب، ١/ ٢٣٦.

فأخذت أقرأ عليها ما تيسر من القرآن حتى هدأت نوعاً ما، ولم يظهر لي بعض القرائن التي تدل على السحر والله أعلم، فقلت لها: الحمد لله لا يوجد سحر، ولكن هذه الأعراض التي تعاني منها تُعرف بأعراض اكتئاب الولادة، وقد يتعرّض لهذه المعاناة بعض النساء بعد الولادة، ويحتمل بأن يكون هذا الاكتئاب على أثر العين والله أعلم، ولكنه سيزول بإذن الله بعد الرقية بفترة يسيرة.

وفي اليوم التالي جاءت مع زوجها بعدما ذهب عنها الكثير من الخوف حينما أيقنت بعدم وجود سحر، وقرأت عليها ولم يظهر شيئاً من الأعراض التي كانت تشتكي منها سابقاً بفضل الله.

فكأنّي بزوجها تغمّر وجهه البشاشة بعدما تحسنت حالتها والله الحمد ولا أدري هل هي نتيجة سلامة هذه الزوجة من السحر! أم نتيجة براءة الزوجة الأخرى.

وقال سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز - رحمه الله -: «أمّا العلاج للسحر فيعالج بالرقى الشرعية والأدوية النافعة المباحة. ومن أنفع العلاج علاج المسحور بقراءة الفاتحة عليه مع النفث، وآية الكرسي، وآيات السحر في سورة الأعراف ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ مُوسَىٰ أَنِ أَلْقِ عَصَاكَ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ ﴿١١٧﴾ فَوَقَعَ الْحَقُّ وَبَطَلَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١١٨﴾ فَعُلِبُوا هُنَالِكَ وَانْقَلَبُوا صَافِرِينَ ﴿١١٩﴾ وَأَلْقَى السَّحَرَةُ سَجْدِينَ ﴿١٢٠﴾ قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٢١﴾ رَبِّ مُوسَىٰ وَهَارُونَ ﴿١٢٢﴾»

ويونس ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ أَتَأْتُونِي بِكُلِّ سِحْرِ عَلِيمٍ﴾ (٧٩) فَلَمَّا جَاءَ السَّحَرَةُ قَالَ لَهُمُ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَنْتُمْ مُلقُونَ ﴿٨٠﴾ فَلَمَّا أَلْقَوْا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ السِّحْرُ إِنَّ اللَّهَ سَيُبْطِلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٨١﴾ وَيُحْيِي اللَّهُ الْحَيِّ بِكَلِمَتِهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ ﴿٨٢﴾ .

وسورة طه ﴿قَالُوا يَمُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقَى وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى﴾ (٩٥) قَالَ بَلْ أَلْقُوا فَإِذَا جِأَهُمْ وَعَصِيهِمْ يُخِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ﴿٩٦﴾ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴿٩٧﴾ قُلْنَا لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ﴿٩٨﴾ وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدٌ سِحْرٌ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَقَى ﴿٩٩﴾ وبقرة ﴿قُلْ تَأْتِيهِمُ الْكَافِرُونَ﴾ ﴿١٠٠﴾ ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ﴿١٠١﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ ﴿١٠٢﴾ ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ويستحب تكرار هذه السور الثلاث ثلاث مرات مع الدعاء الصحيح المشهور الذي كان يدعو به النبي ﷺ لعلاج المرضى وهو:

«اللهم رب الناس، أذهب البأس، اشف أنت لا شفاء إلا شفاؤك شفاء لا يُغادرُ سقماً»^(١) ويكرر ذلك ثلاثاً.

ويدعو أيضاً بالرقية التي رقى بها جبرائيل النبي ﷺ وهي: «باسم الله أرقيك من كل شيء يؤذيك من شر كل نفس أو عين حاسد الله يشفيك

(١) متفق عليه من حديث عائشة أخرجه البخاري في كتاب الطب، باب رقية النبي صلى الله عليه

وسلم برقم (٥٣٥١)، ومسلم في كتاب السلام، باب استحباب رقية المريض، برقم

(٢١٩١) كما أخرجه البخاري من حديث أنس برقم (٥٤١٠).

باسم الله أَرْقِيكَ^(١) ويكررها ثلاثاً، وهذه الرقية من أنفع العلاج بإذن الله سبحانه.

ومن العلاج أيضاً إتلاف الشيء الذي يظن أنه عمل فيه السحر من صوف أو خيوط معقدة أو غير ذلك مما يظن أنه سبب السحر، مع العناية من المسحور بالتعوذات الشرعية، ومنها التعوذ: **«بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ»**^(٢). ثلاث مرات صباحاً ومساءً، وقراءة السور الثلاث المتقدمة بعد الصبح والمغرب ثلاث مرات، وقراءة آية الكرسي بعد الصلاة وعند النوم.

ويستحب أن يقول صباحاً ومساءً: **«بِسْمِ اللَّهِ الَّذِي لَا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ»** ثلاث مرات^(٣)، لصحة ذلك كله عن النبي ﷺ، مع حسن الظن بالله والإيمان بأنه مسبب الأسباب، وأنه هو الذي يشفي المريض إذا شاء، وإنما التعوذات والأدوية أسباب، والله سبحانه هو الشافي، فيعتمد على الله سبحانه وحده دون الأسباب، ولكن يعتقد أنها

(١) أخرجه مسلم في كتاب السلام، باب الطب والمرضى والرقية برقم (٢١٨٦) من حديث أبي سعيد رضي الله عنه.

(٢) أخرجه مسلم في كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب التعوذ من سوء القضاء... برقم (٢٧٠٨)، من حديث خولة بنت الحكيمة السلمية رضي الله عنها.

(٣) أخرجه من حديث عثمان بن عفان أبو داود في كتاب الأدب، باب ما يقول: إذا أصبح برقم (٥٠٨٨)، والترمذي في كتاب الدعوات عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، باب ما جاء في الدعاء إذا أصبح برقم (٣٣٨٨) وقال: حديث حسن صحيح.

أسباب إن شاء الله نفع بها، وإن شاء سلبها المنفعة، لما له سبحانه من الحكمة البالغة في كل شيء، وهو سبحانه على كل شيء قدير، وبكل شيء علیم، لا مانع لما أعطى ولا معطي لما منع، ولا راد لما قضى، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، وهو سبحانه ولي التوفيق^(١).

انتهى كلامه - رحمه الله -.



(١) مسائل في العقيدة وصفة الوضوء وصفة صلاة النبي صلى الله عليه وسلم والتحقيق والإيضاح لكثير من مسائل الحج والعمرة والزيارة، لساحة الشيخ العلامة عبدالعزيز بن عبدالله بن باز - رحمه الله - (ص ٢١).

٢٠ - نظرة حول الخيالات البصرية والأصوات الوهمية

قد لا يدرك أهمية هذا الموضوع سوى أهل المريض الذي يعاني من الخيالات بأنواعها.

واعتقد بأن اتساع دائرة الجدل العقيم بين بعض الرقاة وبعض الأطباء النفسيين التي انقسم الناس بينهما نصفين، تنحصر حول تشكيك بعض الأطباء في حقيقة تلبس الجن وتفسير ما يعاني منه المريض النفسي أنه نتيجة خلل كيميائي في الجسم وليس له علاقة بالعين أو السحر أو تلبس الجن على الرغم من ثبوت ذلك في الكتاب والسنة.

ومن جهة أخرى إنكار بعض الرقاة، ما وصفه الأطباء والتأكيد على أن ما يعترى المريض النفسي خصوصاً من الخيالات البصرية والأصوات الوهمية، هو بسبب تلبس الجن أو السحر، وإن الجدل حول هذا الموضوع على ما يبدو يزداد حدة وضراوة دون الوصول إلى نتيجة تذكر، فقد جاء عن النبي ﷺ: **الْحَلَالُ بَيْنَ، وَالْحَرَامُ بَيْنَ، وَبَيْنَهُمَا مُشَبَّهَاتٌ لَا يَعْلَمُهَا كَثِيرٌ مِّنَ النَّاسِ، فَمَنْ اتَّقَى الْمَشَبَّهَاتِ اسْتَبْرَأَ لِدِينِهِ وَعِرْضِهِ، وَمَنْ وَقَعَ فِي الشُّبُهَاتِ وَقَعَ فِي الْحَرَامِ: كَرَاعٍ يَرَعَى حَوْلَ الْحِمَى، يُوشِكُ أَنْ يُوَاقِعَهُ، أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمًى، أَلَا إِنَّ حِمَى اللَّهِ فِي أَرْضِهِ مَحَارِمُهُ، أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً: إِذَا صَلَحَتْ صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ** ^(١).

(١) أخرجه البخاري، كتاب: الإيمان، باب: فضل من استبرأ لدينه برقم ٥٢، ١/١٢٠، ومسلم،

وسوف أفصل في هذا الخلاف - بإذن الله - فأقول مستعيناً بالله :

سمعت من معظم الأطباء النفسيين في مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض، يقولون: بأن الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة من إحدى أعراض الاضطرابات العقلية كالفصام.

وسمعت أيضاً بعض الرقاة يقولون: أن سببها تلبس الجن.

ولعلي أنقل هنا كلاماً متواتراً سمعته من بعض الأطباء النفسيين لكي تتضح الصورة أكثر.

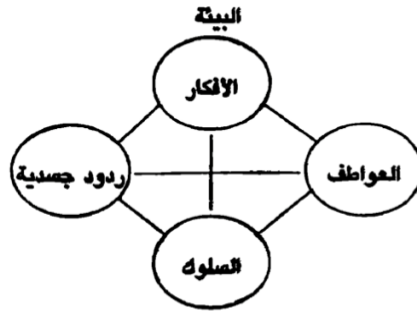
مريض الفصام في بعض دول أمريكا الجنوبية يرى أسحاراً وشياطين، بينما مريض الفصام في بعض دول أمريكا الشمالية يرى أطباقاً طائرة وأقماراً فضائية.

فحين ندرك أن البيئة هي التي تعكس نوعية الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة عند مريض الفصام، وترسم صُورَها بما يحكيه المجتمع في ذهنه، فإننا لا نستغرب توهُّم رؤية الجن عند مريض الفصام في المجتمعات الإسلامية بحكم العادة^(١)، وأنها مصدر تأثير عليه في تحيّل.

باختلاف يسير، كتاب: المساقاة، باب: أخذ الحلال وترك الشبهات برقم ١٥٩٩/٣/١٢١٩.

(١) بحكم البيئة التي يعيش فيها المريض، فالإنسان ابن بيئته يتأثر ويؤثر، وسيأتي كلام ابن القيم رحمه الله عنها (ص ٢٥٥).

ولعل هذا الرسم يوضح علاقة الأفكار مع البيئة التي يعيش فيها المريض^(١).



الرسم (١:١) خمسة جوانب لخبرات حياتك

١ - الأفكار (المعتقدات والصور الذهنية والذكريات).

٢ - العواطف.

٣ - السلوك.

٤ - ردود الفعل الجسدية.

٥ - البيئة (في الماضي والحاضر).

لاحظ أن الجوانب الخمسة هذه متداخلة مع بعضها. وتشير خطوط التداخل المرسومة أن كل جانب منها يؤثر ويتأثر بالجوانب الأخرى لحياة الإنسان. ومثال هذا، أن تغيرات سلوكنا تؤثر على طريقة تفكيرنا وعلى مشاعرنا الجسدية والعاطفية، وهي قد تغير أيضاً في بيئتنا. وكذلك تؤثر تغيرات تفكيرنا في سلوكنا وتصرفاتنا وعواطفنا وردود أفعالنا الجسدية، وحتى في بيئتنا الاجتماعية. إن فهم كيفية تفاعل هذه الجوانب الخمسة من حياتنا سيساعدنا على فهم طبيعة مشكلاتنا.

فلنتأمل ماذا قال ابن القيم - رحمه الله - حينما وصف الحالة النفسية لأهل البدع من غُلاة الصوفية وكيفية ظهور الخيالات البصرية

(١) العقل فوق العاطفة، د. كريستين باديسكي و د. دينيس غرينبرغر (ص ١٢)، الطبعة الأولى

١٤٢٢هـ، ترجمة د. مأمون المبيض، المكتب الاسلامي.

والأصوات الوهميّة عندهم، وهذا مشاهد حتى في هذا الزمن لدرجة أن أحد مشايخهم يزعم أن النبي ﷺ اتصل به هاتفياً؟^(١) والعياذ بالله، فحينما شاهدت شيخهم هذا وكثرة أتباعه في المقطع، تأملت قول الله عز وجل: ﴿فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾^(٢). وقوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾^(٣).

قال الإمام ابن الجوزي -رحمه الله- متقداً ومعقباً طريقة الصوفية في العبادة والزهد: (وقد صنف أحد مشايخ الصوفية أبو عبد الله محمد بن علي الترمذي^(٤) كتاباً سماه «رياضة النفوس» قال فيه: فينبغي للمبتدئ في هذا الأمر أن يصوم شهرين متتابعين توبة من الله ثم يفطر فيطعم اليسير ويأكل كسرة كسرة. ويقطع الأدام والفواكه واللذة، ومجالس الإخوان والنظر في الكتب، وهذه كلها أفراس للنفس فيمنع النفس لذتها حتى تمتلئ غمّاً)^(٥).

سبحان الله! قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ

(١) <https://www.youtube.com/watch?v=UdkrpwPd٦٩E>

(٢) سورة الزخرف: (آية ٥٤)

(٣) سورة يوسف: (آية ١٠٣)

(٤) محمد بن علي الترمذي ليس هو محمد بن عيسى بن سورة الترمذي صاحب كتاب الجامع الصحيح، سنن الترمذي.

(٥) تلييس إبليس: (ص ٢٦٠).

مِنَ الرِّزْقِ ﴿١﴾

وهذا أيضاً خلاف هدي النبي ﷺ، فعَنْ عَائِشَةَ، زَوْجِ النَّبِيِّ ﷺ: أَنَّهَا كَانَتْ إِذَا مَاتَ الْمَيِّتُ مِنْ أَهْلِهَا، فَاجْتَمَعَ لِذَلِكَ النِّسَاءُ، ثُمَّ تَفَرَّقْنَ إِلَّا أَهْلَهَا وَخَاصَّتَهَا، أَمَرَتْ بِبُرْمَةٍ مِنْ تَلْبِينَةٍ فَطُبِخَتْ، ثُمَّ صُنِعَ ثَرِيدٌ فَصُبَّتِ التَّلْبِينَةُ عَلَيْهَا، ثُمَّ قَالَتْ: كُلْنَ مِنْهَا، فَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ: «التَّلْبِينَةُ مُجَمَّةٌ لِفُؤَادِ الْمَرِيضِ، تَذْهَبُ بِبَعْضِ الْحُزَنِ»^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾^(٣).

قيل للإمام أحمد بن حنبل - رحمه الله -: (هؤلاء الذين يأكلون قليلاً ويقللون من مطعمهم فقال: ما يعجبني سمعت عبدالرحمن بن مهدي يقول: فعل قوم هذا فقطعهم عن الفرض وقال. قلت لعبدالرحمن بن مهدي يا أبا سعيد إن بلدنا قوماً من هؤلاء الصوفية . فقال: لا تقرب هؤلاء فإننا قد رأينا من هؤلاء قوماً أخرجهم الأمر إلى الجنون)^(٤).

يقول الإمام ابن القيم - رحمه الله - في الخطاب الخيالي: (تكون بدايته من النفس، وعوده إليها، فيتوهم أنه من خارج، وإنما هو من نفسه، منها

(١) سورة الأعراف، آية ٣٢.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب: الأطعمة، باب: التلبينة رقم ٥٤١٧، ٧ / ٧٥، ومسلم، كتاب السلام، باب: التلبينة مجمة لفؤاد المريض، رقم ٢٢١٦، ٤ / ١٧٣٦.

(٣) سورة الأعراف: (آية ٣١).

(٤) تليس إبليس: (ص ٢٦٦).

بدأ وإليها يعود.

وهذا كثيراً ما يعرض للسالك^(١) فيغلط فيه، ويعتقد أنه خطاب من الله عز وجل، كلمه به منه إليه^(٢)، وسبب غلظه أن اللطيفة المدركة من الإنسان إذا صفت بالرياضة^(٣)، وانقطعت علقها من الشواغل الكثيفة^(٤) صار الحكم لها بحكم استيلاء الروح والقلب على البدن، ومصير الحكم لهما^(٥)، فتتصرف عناية النفس والقلب إلى تجريد المعاني^(٦) التي هي متصلة بهما، وتشتد عناية الروح بها، وتصير في محل تلك العلائق والشواغل، فتملاً

(١) أي: السالك لطريقة هذه الفرقة، وإطلاق السالك من اصطلاحات المتصوفة، والشيخ رحمه الله خاطبهم باصطلاحاتهم.

(٢) وهذه من شطحات المتصوفة، فيظن المتصوف أن الله يكلمه، وهذا من إحياء الشيطان وتضليله قال تعالى: ﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَآئِهِمْ لِجُدِّ لَوْكُمْ﴾ [الأنعام: ١٢١]، وقد لاحظت على بعض المرضى النفسيين يزعم بأن الله عز وجل يكلمه.

(٣) أي: أن هذه الملكة الخفية في جسم الإنسان إذا فرغت بترويض البدن على الجوع والعطش، وهذه الطريقة من بدع المتصوفة الذين يعذبون أنفسهم بالجوع والعطش، كما قال شيخ الإسلام رحمه الله، وكثير من أرباب الاعتقادات الفاسدة إذا ارتاضوا صقلت الرياضة نفوسهم، فتتمثل لهم اعتقاداتهم فيظنونها كشفاً، يعني بذلك - رحمه الله - : كشفاً للغيب، مجموعة الفتاوى (٦/ ٥٤٧).

(٤) أي انعزل عن المجتمع واستسلم للوحدة والانطواء.

(٥) أي أن اللطيفة المدركة هي المتصرفة بالبدن بدلاً من الروح والقلب.

(٦) ما المراد بتجريد المعاني؟ هي تخلص الأشياء التي كان يتصورها ويغلب عليها ظنه، وقد أشار شيخ الإسلام إلى هذا المعنى بقوله: والناس يقولون: غلط الحس والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه؛ فإن الحس يرى أمراً معيناً فيظن صاحبه فيه شيئاً آخر فيؤتى من ظنه فلا بد له من العقل، انظر ص ٢٥٩.

القلب^(١)، فتصرف تلك المعاني إلى المنطق^(٢)، والخطاب القلبي الروحي بحكم العادة^(٣)، ويتفق تجرد الروح، فتتشكل تلك المعاني للقوة السامعة بشكل الأصوات المسموعة، وللقوة الباصرة بشكل الأشخاص المرئية، فيرى صورها^(٤)، ويسمع الخطاب، وكله في نفسه ليس في الخارج منه شيء، ويحلف أنه رأى وسمع، وصدق، لكن رأى وسمع في الخارج أو في نفسه؟ ويتفق ضعف التمييز، وقلة العلم، واستيلاء تلك المعاني على الروح. وتجردها عن الشواغل^(٥).

وعندما نقيس هذه النظرية عن السالك لطريقة هذه الفرقة بمنطق نفسي، نلاحظ أن الأعراض النفسية التي ذكرها ابن القيم -رحمه الله-، تنطبق على واقع الكثير من المرضى النفسيين في وقتنا الحاضر، وتتوافق هذه

(١) قال تعالى: ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أَرْمُوتَ نَزْغًا﴾ [القصص: ١٠]، أي فارغاً من كل شيء إلا من موسى عليه السلام حينما ملأ فؤادها بعد الفراق، قال تعالى: ﴿إِنْ كَادَتْ لَتُبْدَى بِهِمْ لَوْلَا أَنْ رَئَيْنَا أَنَّ قُلُوبَهُمْ إِتَّكَتْ مِنَ التَّوْبِينِ﴾ [القصص: ١٠].

(٢) أي المراد هنا منطق الفكر والعقل، وليس المراد بالعلوم المدونة تحت اسم المنطق الصوري الرياضي...

(٣) انظر أيها القارئ كيف توافق كلام الأطباء النفسيين مع كلام ابن القيم رحمه الله.
(٤) صور ماذا؟ صور تلك المعاني التي كان يضمها في نفسه حينما تحولت في نظره أو سمعه إلى حقيقة، وهذا كالذي يسمع صوت أخيه يناديه بعد وفاته، كما حصل لأحد المرضى النفسيين يوم أن حزن عليه حزناً شديداً وكما حصل لمرضى نفسي آخر يزعم أنه يرى الملائكة.
ويقول ابن القيم رحمه الله في موضع آخر: «ومعلوم قطعاً أن هذه المتخيلات لا حقيقة لها في ذاتها وإنما الذهن يفرضها تقديراً وليست منضبطة في النفس، فإن العلوم الخارجية لا تنطبع صورها بالنفس فكيف بالخيالات المدومة؟». انظر (ص ١٢٣).

(٥) مدارج السالكين: (١/ ٤٧).

الأعراض مع بعض أعراض الفصام^(١)، والخيالات البصرية والأصوات الوهميّة التي يعاني منها المريض ليست في الخارج كما تظهر له، وليس لها حقيقة في ذاتها كما يتصوّر بعض أفراد الأسرة حينما يشاهدون المريض يتفاعل معها، وإنما هي بدأت من المريض وعادت إليه.

كما أن هذه النظرية تشير إلى أن الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة التي يفرضها ذهن الإنسان حينما يمرّ بظروف قاسية^(٢) نحو مجاهدة البدن على الجوع والعطش، والعزلة عن الناس والانقطاع عن الشواغل الكثيفة وضوء المدين إلى أن تستعد النفس وتتهيأ لقبول ما يرد عليها من أثر الوهم الذي يُملّي عليه المجتمع من أفكار خاطئة، كاختلاف أنواع الخيالات من بلد لآخر حتى يسيطر عليها الوهم.

كما وصفها العلامة ابن القيم - رحمه الله - قائلاً: (أَنَّ لِلنَّفْسِ مِنَ الْكَيْفِيَّاتِ الْمُخْتَصَّةِ بِهَا مَا لَا يَشَارِكُهَا فِيهَا الْبَدَنُ، وَلَهَا خَفَّةٌ وَثَقَلٌ وَحَرَارَةٌ وَبَرُودَةٌ وَيَبَسٌ وَلِينٌ بِحَسَبِهَا وَأَنْتَ تَجِدُ الْإِنْسَانَ فِي غَايَةِ الثَّقَالَةِ وَبَدَنُهُ نَحِيلٌ جَدًّا وَتَجِدُهُ فِي غَايَةِ الْخَفَةِ وَبَدَنُهُ ثَقِيلٌ وَتَجِدُ نَفْسًا لَيِّنَةً وَادَعَةً وَنَفْسًا يَابِسَةً قَاسِيَةً).

فَالنَّفْسُ هِيَ الْحَاسَةُ الْمَدْرَكَةُ وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُحَسَّوسَةً، فَالْأَجْسَامُ وَالْأَعْرَاضُ مُحَسَّوسَةٌ وَالنَّفْسُ مُحَسَّةٌ بِهَا وَهِيَ الْقَابِلَةُ لِأَعْرَاضِهَا الْمُتَعَاقِبَةِ عَلَيْهَا مِنَ الْفَضَائِلِ وَالرِّذَائِلِ كَقَبُولِ الْأَجْرَامِ لِأَعْرَاضِهَا الْمُتَعَاقِبَةِ عَلَيْهَا، وَهِيَ الْمُتَحَرِّكَةُ بِاخْتِيَارِهَا

(١) انظر: ص ١١٠.

(٢) انظر: ص ١٢٤.

المحركة للبدن قسرا وقهرا وهي مؤثرة في البدن متأثرة به تألم وتلذذ وتفرح وتحزن وترضى وتغضب وتنعم وتبأس وتحب وتكره وتذكر وتنسى وتصعد وتنزل وتعرف وتنكر وآثارها من أدل الدلائل على وجودها كما أن آثار الخالق سبحانه دالة على وجوده وعلى كماله فإن دالة الأثر على مؤثره ضرورية^(١).

فإذا استحوذ هذا الوهم على النفس، ظهر بصورة حقيقية في نظر المريض^(٢) فتظهر له الخيالات بشكل أشخاص مرئية وأصوات مسموعة، ويحلف أنه رأى وسمع وهو صادق، فينبغي أن لا يكذب المريض بما يرى ويسمع، ولن يجدي الحوار معه، ولكن توجه أسرته بمراجعة المريض للطبيب النفسي مباشرة.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - في تصوير البله^(٣) وإن اختلفت مسميات الأمراض النفسية في هذا الزمن كالذهان، ومنها: الفصام، كما يعرف بمصطلح الطب النفسي.

و«الوحي» وحيان: وحي من الرحمن ووحي من الشيطان قال تعالى:

﴿وَإِنَّ الشَّيَاطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰ أَوْلِيَائِهِمْ لِيُجِدُوا لَكُمْ﴾^(٤) وقال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ

جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرَفَ

(١) كتاب الروح: (ص ٢٦٠).

(٢) انظر: ص ١٢٥.

(٣) بَلَه: ضعف العقل وقلة التمييز، درجة أقل من الجنون، تأخر النمو العقلي والإدراك، (القاموس الطبي العربي، د. عبدالعزيز البلدي) (ص ١٩٤).

(٤) سورة الأنعام، آية: ١٢١.

الْقَوْلُ غُرُورًا ^(١) وقال تعالى: ﴿هَلْ أُبَيِّنُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيْطَانُ﴾ ^(٢) وقد كان المختار ابن أبي عبيد من هذا الضرب حتى قيل لابن عمر وابن عباس - رضي الله عنهم - قيل لأحدهما إنه يقول إنه يوحى إليه فقال: **﴿وَإِنَّ الشَّيْطَانَ لِيَوْحِيَ إِلَىٰ آيَاتِهِمْ لِيُجَدِّ لَكُمْ﴾** وقيل للآخر: إنه يقول إنه ينزل عليه فقال **﴿هَلْ أُبَيِّنُكُمْ عَلَىٰ مَن نَّزَّلُ الشَّيْطَانُ﴾**.

فهؤلاء يحتاجون إلى الفرقان الإيماني القرآني النبوي الشرعي أعظم من حاجة غيرهم وهؤلاء لهم حسيات يرونها ويسمعونها والحسيات يضطر إليها الإنسان بغير اختياره كما قد يرى الإنسان أشياء ويسمع أشياء بغير اختياره كما أن النظر لهم قياس ومعقول وأهل السمع لهم أخبار منقولات وهذه الأنواع الثلاثة هي طرق العلم: الحس والخبر والنظر وكل إنسان يستدل من هذه الثلاثة في بعض الأمور؛ لكن يكون بعض الأنواع أغلب على بعض الناس في الدين وغير الدين كالطب فإنه تجربات وقياسات وأهله منهم من تغلب عليه التجربة ومنهم من يغلب عليه القياس والقياس أصله التجربة والتجربة لا بد فيها من قياس؛ لكن مثل قياس العاديات لا تعرف فيه العلة والمناسبة وصاحب القياس من يستخرج العلة المناسبة ويعلق الحكم بها والعقل خاصة القياس والاعتبار والقضايا الكلية فلا بد له من الحسيات التي هي الأصل ليعتبر بها والحس إن لم يكن مع صاحبه

(١) سورة الأنعام، آية: ١١٢.

(٢) سورة الشعراء، آية: ٢٢١.

عقل وإلا فقد يغلط .

والناس يقولون: غلط الحس، والغلط تارة من الحس وتارة من صاحبه؛ فإن الحس يرى أمراً معيناً فيظن صاحبه فيه شيئاً آخر فيؤتى من ظنه فلا بد له من العقل .

ولهذا النائم يرى شيئاً وتلك الأمور لها وجود^(١) وتحقيق^(٢)؛ ولكن هي خيالات وأمثلة؛ فلما عذب^(٣) ظنّها الرائي نفس الحقائق كالذي يرى نفسه في مكان آخر يكلم أمواتاً ويكلمونه ويفعل أموراً كثيرة وهو في النوم يجزم بأنه نفسه الذي يقول ويفعل لأن عقله عذب عنه وتلك الصورة^(٤) التي رآها مثال صورته وخيالها؛ لكن غاب عقله عن نفسه حتى ظن أن ذلك المثال هو نفسه فلما تاب إليه عقله علم أن ذلك خيالات ومثالات، ومن الناس من لا يغيب عقله بل يعلم في المنام أن ذلك في المنام وهذا كالذي يرى صورته في المرأة أو صورة غيره فإذا كان ضعيف العقل ظن أن تلك الصورة هي الشخص حتى إنه يفعل به ما يفعل بالشخص . وهذا يقع للصبيان والبُله^(٥) كما يخيل لأحدهم في الضوء^(٦) شخص

(١) وجود أي: الثابت في الذهن وفي الخارج، فعلى سبيل المثال الشخص الميت الذي نعرفه ثابت

في الذهن وليس له وجود في الخارج .

(٢) تحقيق أي: الهيئة والشكل .

(٣) أي: غاب عقله .

(٤) أي: صورة الميت الذي رآه في النوم .

(٥) البُله: صيغة جمع ومفردا بُلّه .

(٦) انعكاس الظل .

يتحرك ويصعد وينزل فيظنونه شخصا حقيقة ولا يعلمون أنه خيال، فالحس إذا أحس حسا صحيحا لم يغلط لكن معه عقل لم يميز بين هذا العين والمثال؛ فإن العقل قد عقل قبل هذا أن مثل هذا يكون مثالا وقد عقل لوازم الشخص بعينه وأنه لا يكون في الهواء ولا في المرأة ولا يكون بدنه في غير مكانه وأن الجسم الواحد لا يكون في مكانين^(١).

ولهذا ينصح بعض الأطباء النفسيين أحيانا أسرة المريض الذهاني في الحالات المتقدمة بإبعاد المرأة عن المريض خشية أن يقوم بكسرها أثناء الاعتداء على صورته، وكذلك بعض مرضى الزهايمر حينما يتحدث أحدهم مع التلفاز أو يتحدث مع الصور المعلقة على الحائط التي تحتوي على أشخاص.

فرحم الله شيخ الإسلام وتلميذه ابن القيم عندما تحدثوا عن هذه الأمور من الأمراض النفسية فنجد أنهم سبقوا علم النفس المعاصر في ذلك بقرون عديدة، ذلك لأن علمهم وتقاريراتهم، وتأصيلهم للأشياء مستمد من كتاب الله عز وجل، وسنة نبيه ﷺ.

وعليه فالواجب هو الجمع بين ما كتبه الأوائل والمعاصرون بطريقة شرعية حسنة صحيحة لأن الطب بني على التجربة فيحصل من ذلك نفع للناس.

والواجب رد الأمور إلى نصابها الصحيح؛ لأن هذا هو السبب بعد الله

(١) مجموعة الفتاوى: (٤٣/٧).

عز وجل في الخروج من هذه المشكلات.

يستنتج من خلال سرد الأدلة والبراهين ما يلي:

- ١- إن حكمة الله عز وجل ورأفته بنا اقتضت حجب أنظارنا عن رؤية الجن، فلو انكشفوا لنا على هيئتهم الحقيقية التي خلقهم الله عز وجل عليها؛ لدب الرعب في قلوبنا ولم تستقم لنا الحياة .
 - ٢- ليست رؤية الجن مقصورة على المصاب بتلبس الجن فحسب، عندما يتمثل له الشيطان بصورة إنسان أو حيوان كما يعتقد بعض الرقاة، بل يراه كل من كان حوله سواءً أكان مسلماً أو كافراً كما شاهد المشركون الشيطان في يوم بدر حينما تمثل لهم بصورة سراقه بن مالك^(١).
 - ٣- إن الخيالات البصرية والأصوات الوهمية مرتبطة بالذهن، فمن المحال على كائن من كان أن يتوافق نظره مع ما ينظر إليه المريض الذهاني من الخيالات البصرية أو يستمع إلى ما يسمعه من الأصوات الوهمية.
 - ٤- إن الشيطان يكون على أضعف حال حينما يتشكل على هيئة إنسان أو حيوان، فيلوذ بالفرار على أدنى ضرب يسير كما فعل الصحابي قتادة رضي الله عنه عندما تمثل له الشيطان بصورة قنفذ^(٢).
 - ٥- إن الخيالات البصرية والأصوات الوهمية تنقسم إلى قسمين :
- القسم الأول:** الخيالات البصرية والأصوات الوهمية المزمنة.

(١) انظر: ص ١٣٥.

(٢) انظر: ص ١٣٦.

وهي التي تظهر على مرضى الفصام غالباً في الحالات المتقدمة كما وصفها شيخ الإسلام - رحمه الله - ^(١) وقد تختفي إلى حد كبير عند بعضهم أثناء انتظامهم على الأدوية النفسية .

القسم الثاني: الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة المؤقتة، وتنقسم إلى قسمين:

أ - الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة التي تظهر على المريض النفسي عند الاختلال الكيميائي في الجسم من أثر الرياضة على الجوع والعطش (سوء التغذية) والانطواء كما وصفها ابن القيم - رحمه الله - ^(٢) وقد تستمر الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة من فترة إلى أخرى وقد تختفي حينما يرجع المريض إلى الانتظام على الطعام والشراب ومخالطة المجتمع وقد تستمر إلى أن يشاء الله حتى بعد الانتظام على الطعام والشراب .

ب - الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة من أثر تعاطي المؤثرات العقلية، وقد تظهر على المريض في أثناء الاستمرار على التعاطي وقد تختفي عند الإقلاع .

فربما يجهل بعض الناس علاقة المؤثرات العقلية باختلال العقل خصوصاً حينما تظهر الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة على مرضى الإيمان هداهم الله وعافاهم .

(١) انظر: ص ٢٥٩ .

(٢) انظر: ص ٢٥٤ .

فيغلب على ظن أقاربهم أو من حولهم بأنهم مصابون بتلبس الجن أو السحر، ولا حظت على الكثير من مرضى الإدمان بأنهم يتوهمون إصابتهم بتلبس الجن أو السحر.

فقد يوافقني على كلامي هذا أدنى معالج يعمل في مستشفيات إرادة والصحة النفسية فضلاً عن الأطباء النفسيين لتكرار مثل هذه الحالات لديهم.

الخلاصة:

فالذي يظهر لي - والله أعلم - أن غالب من يكثُر الشكوى من رؤية أشخاص أو أشباح أو جن متكررة، أو يسمع أصواتاً مزعجة ومختلفة كمنبه هاتف، أو منبه سيارة، أو صوت تشويش مذياع، أو راديو، أو يسمع صوتاً كرنين الحديد، كما يحدث للأواني المنزلية حينما يضرب بعضها ببعض، أو يسمع شخصاً يكلمه ويأمره بفعل كذا وكذا، أو يسمع صوت كحة إنسان أو هاتف يهتف أنت مجنون ونحوه^(١)، بصفة مستمرة ويتصور أنه مضطهد أو أن أحداً يطارده، أو أن مؤامرة تُحاك ضده، هو غير مصاب بتلبس الجن أو السحر، والدلالة على ذلك أن هذه الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة تختفي إلى حدّ كبير عند بعض المرضى في أثناء ما يصرف الطيب مضادات

(١) فعلى سبيل المثال: إذا كان المريض مُحفّفاً في مادة دراسية، فربما ينشغل عقله بها ويكون هذياناً حولها فيكرر كلمة «اختباري» أو أي كلمة تتعلق بهذه المادة دون أن يستعد لإعادة الاختبار، وقد ينقطع كلياً عن المدرسة أو الجامعة، ويصور هذا المعنى شيخ الإسلام رحمه الله بقوله: الحس إذا أحس حسّاً صحيحاً لم يغلط، لكن معه عقل، انظر: ص ٢٦٠.

الذهان للمريض دون رقية، لكنها سرعان ما تظهر عندما يترك المريض العلاج.

بينما الخيالات بأنواعها عند بعض المصابين بتلبس الجن أو السحر لا تكاد تظهر، ونادراً ما يرى إنساناً أو حيواناً، أو يلمح خيلاً كالظل، أو يسمع صوتاً ينادي باسمه أو كأن أحداً يهمس في أذنه بكلام غير مفهوم، أو يسمع صوت نباح كلاب ونحوه، فتظهر له الأصوات المسموعة أحياناً بصفة متقطعة وفي أوقات مختلفة حتى في الحالات المزمنة منها، لكنها تتلاشى في الغالب مع الرقية وتذهب بلا عودة بإذن الله.



٢١ - نظرة حول المقارنة بين المصاب بتلبس الجن أو السحر

أو العين والمريض النفسي في أثناء الرقية

لا يظهر أي تفاعل على المريض النفسي في أثناء الرقية في الغالب - والله أعلم - ماعدا الحركات الإرادية مثل الإيحاء^(١) مع عدم ملاحظة أي إجهاد بدني حتى بعد الرقية سوى الراحة والاستقرار من جراء سماع القرآن وهذا يشترك فيه جميع المرضى وغير المرضى كما قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾^(٢).

هذا بخلاف التفاعل والحركات اللاإرادية في أثناء الرقية التي تعترى المصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين كالصراخ أو التخبُّط أو التجشؤ أو البكاء أو التقيؤ أو الإغماء أو الصرع الذي يريده أرضاً، بالإضافة إلى الإجهاد البدني الذي يعيق المريض عن النهوض لمدة تتراوح ما بين خمس دقائق إلى عشرين دقيقة بعد الانتهاء من الرقية في الغالب، أو تحريك أحد أصابع القدم.

فالعلاقة مرتبطة بين الإصابة المزمنة للمصاب بتلبس الجن أو السحر أو العين وما بين الأمراض النفسية ارتباطاً وثيقاً خصوصاً حينما يغلب المريض المصاب بتلبس الجن أو السحر جانب الرقية على جانب العلاج النفسي.

(١) انظر: ص ١٦٥.

(٢) سورة الأنفال: (آية ٢).

وكذلك المريض النفسي الذي يغلب جانب العلاج النفسي على جانب الرقية، كما عند أحدهم حينما يصاب بالفصام وتلبس الجن في آن واحد؛ فقد يتحسن بشكل واضح مع الاستمرار على الرقية ماعدا بعض الأعراض الذهانية التي قد تختفي مع العلاج النفسي مثل الخيالات البصرية والأصوات الوهميّة أو داء العظمة «البارانويا» الذي يتوهم المريض بأنه المهدي المنتظر، أو يتقمص المريض عدداً من الشخصيات البارزة التي تتوأكب مع بيئته^(١).

فربما غلب على ظن أسرة المريض أو بعض الرقاة في مثل هذه الحالات في أثناء الرقية والتحدث مع المريض أنه مصاب بتلبس مجموعة من الجن. فينبغي أن نتنبه إلى بعض الأعراض النفسية المصاحبة لدى المريض النفسي، مثل الخوف المرضي «الفوبيا» الذي ينتج عنه سرعة خفقان القلب وضيق في التنفس دون خلل طبي عضوي كحساسية الصدر أو الربو. فربما هذا الخوف يعترى المريض في أي لحظة سواءً عندما يتعرّض لموقف مخيف في مكان ما، أو نتيجة توتر تحت ضغوط نفسيّة، أو في أثناء الرقية أو قبلها، خصوصاً بعدما يسمع صراخ من كان قبله من المرضى بداخل غرفة الراقي أثناء الانتظار.

فقد يصاب بنوبة ذعر وتستمر مع المريض إلى حين مواجهة الراقي مع محاولة استنشاق الهواء بشدة، فيظن المريض حينما يعاني من هذه الأعراض أنها من أثر إصابته بالسحر أو تلبس الجن! كما سيأتي الكلام عن الخوف في العنوان التالي:

(١) سبق ذكره ص ٢٥٥.

٢٢ - نظرة حول أنواع الخوف

أولاً: خوف عبادة

وهذا لا يكون إلا من الله عز وجل، قال تعالى: ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا ذَلِكُمُ الشَّيْطَانُ يُخَوِّفُ أَوْلِيَائِهِ، فَلَا تَخَافُوهُمْ وَخَافُوا اللَّهَ إِن كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿وَلِئَلَّا فَارِهِبُونِ﴾^(٣).

وقال عامر بن قيس - رحمه الله -: «من خاف الله خافه كل شيء، ومن لم يخف الله أخافه الله من كل شيء»^(٤).

وقال الفضيل بن عياض - رحمه الله -: «إنما يهابك الخلق على قدر هيبتك الله»^(٥).

وقال ابن الجوزي - رحمه الله -: «الأمن والسلام في جناب الله، والخوف والذل في البعد عنه»^(٦).

(١) سورة السجدة، آية ١٦.

(٢) سورة آل عمران، آية ١٧٥.

(٣) سورة البقرة، آية ٤٠.

(٤) انظر: صفة الصفوة ٢ / ١٢٢.

(٥) حلية الأولياء لأبن نعيم (٨ / ١١٠).

(٦) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص ٣٨).

وقال ابن الوردي:

واتق الله فتقوى الله ما جاورت قلب امرئ إلا وصل
ليس من يقطع طرقاً بطلا إنما من يتقي الله البطل^(١).

ثانياً: خوف شرك بالله تعالى:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾^(٢).

وقال تعالى على لسان إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُ

وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُم بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزَّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا﴾^(٣).

وقال النبي ﷺ: «إِنَّ أَخَوْفَ مَا أَخَافُ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ»

قِيلَ: وَمَا الشُّرْكَ الْأَصْغَرُ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ " قَالَ: "الرِّيَاءُ"^(٤).

ثالثاً: خوف طبيعي

وهذا الخوف الجبلي لا يسلم منه أحد؛ لكنه لا يعدو لحظات يسيرة،
ويزول تأثيره على فساد الجوارح بزوال الموقف المخيف الذي يتعرض له
الإنسان وهو من طبيعة البشر.

قال تعالى مصوراً حال المؤمنين في غزوة الأحزاب وممتناً عليهم بقوله:

(١) فقه النفس من أقوال العلماء وأعمالهم ص ١٠٣

(٢) سورة النساء، آية: ٤٨.

(٣) سورة الأنعام، آية: ٨١.

(٤) أخرجه الإمام أحمد في مسنده من حديث محمود بن لبيد برقم ٢٣٦٣٠ (٣٩/٣٩)،

وصححه الألباني، صحيح الجامع.

﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿١﴾﴾ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلِإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونًا ﴿١﴾﴾.

والشاهد في هذا المقام قوله تعالى: ﴿وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ﴾.

قال الإمام البغوي - رحمه الله -^(٢): "فزالت عن أماكنها حتى بلغت الحلق من الفزع، والحنجرة جوف الحلقوم وهذا على التمثيل عبّر به عن شدة الخوف، قال الفراء: معناه أنهم جنبوا وسبيل الجبان إذا اشتد خوفه أن تنتفخ رتته فإذا انتفخت الرئة رفعت القلب إلى الحنجرة، ولهذا يقال للجبان: انتفخ سحره".

وقال ابن حزم - رحمه الله - : «أشد الأشياء على الناس: الخوف، والهم، والمرض، والفقر».

وأشدها كلها إيلا ما للنفس: الهم؛ للفقْد من المحبوب، وتوقع المكروه، ثم المرض، ثم الخوف، ثم الفقر.

ودليل ذلك:

- أن الفقر يستعجل ليطرد به الخوف؛ فيبذل المرء ماله كله ليأمن.
- والخوف والفقر يستعجلان ليطرد بهما ألم المرض؛ فيغتر الإنسان في

(١) سورة الأحزاب، آية ١٠.

(٢) تفسير البغوي (ص ١٠٣٠).

طلب الصحة، ويبدل ماله فيها إذا أشفق من الموت، ويود -عند يقينه به- لو بذل ماله كله، ويسلم ويفيق.

- والخوف يستسهل ليطرد به الهم؛ فيغرر المرء بنفسه ليطرد عنها الهم^(١).

رابعاً: خوف مرضي

وهذا النوع من الخوف ليس له أسباب ظاهرة للعيان، لكنه قد يؤثر على بعض أعضاء الإنسان تأثيراً ظاهراً، ولا يكاد ينفك عنها فترة من الزمن إلى أن تخف وطأته عن النفس يوماً بعد يوم على أثر كثرة قراءة القرآن الكريم، وإلى غير ذلك من الإكثار من الأدعية والأذكار الشرعية، والصدقات، أو استعمال العلاج الدوائي، أو العلاج السلوكي المعرفي.

قال العلامة الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله- : «وهناك ما يسمى بالوهم وليس بخوف، مثل أن يرى ظل شجرة تهتز، فيظن أن هذا عدو يتهدده، فهذا لا ينبغي للمؤمن أن يكون كذلك، بل يطارد هذه الأوهام لأنه لا حقيقة لها، وإذا لم تطاردها فإنها تهلكك»^(٢).

(١) القول المفيد على كتاب التوحيد، للشيخ محمد بن عثيمين (٢/ ١٦٧).

(٢) مداواة النفوس (ص ١٥١).

ويقول الدكتور/ أحمد عكاشة:

«ولذا نستطيع تعريف استجابة الخوف كالآتي:

١ - أنها غير متناسبة مع الموقف.

٢ - لا يمكن تفسيرها منطقياً.

٣ - لا يستطيع الفرد التحكم فيها إرادياً.

٤ - تؤدي إلى الهروب وتجنب الموقف المخيف»^(١).

ويقول الدكتور/ حجار محمد: «إن الخوف المرضي الرهاب، خوف غير

عقلاني، ويتميز الخوف المرضي بثلاث نقاط:

أ - أن الاستجابة (ردة الفعل) لا تتناسب مع المنبه (الشيء المخوف).

ب - أن هذا الخوف عند الفرد لا شعوري لا يعلم ما هي أسباب الخوف.

ج - أن الخوف يدفع المريض على الهروب وتجنب الشيء المخوف وأنواع

الرهاب كثيرة منها: رهاب الحيوانات، ورهاب العناكب، والخوف من

الأمكن المغلقة، أما ما يخص أسباب الخوف المرضي فما زالت الأسباب

غامضة، فبعض الباحثين يرون سببها الصراعات النفسية اللاشعورية التي

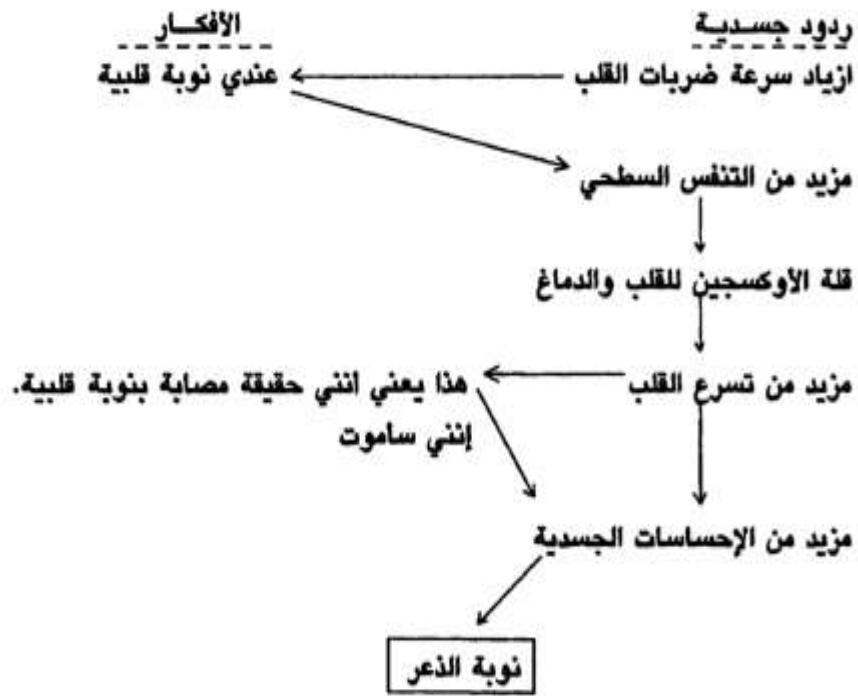
تكون مصدرها من الداخل فتتمثل المخاوف من الخارج، والبعض يراها من

المواقف المخيفة الماضية التي حصلت للفرد، وأصبحت هذه المواقف ملازمته

(١) الطب النفسي المعاصر (ص ١٣١).

في الكِبَر»^(١).

ولعل هذا الرسم^(٢) يتوافق مع وصف ابن القيم - رحمه الله - :



(١) العلاج النفسي الذاتي بقوة التخيل، د. حجار محمد، الطبعة الأولى، المركز العربي للدراسات الأمنية والتدريب، الرياض - السعودية.

(٢) الرسم من كتاب العقل فوق العاطفة (ص: ٣١).

قال الإمام ابن القيم -رحمه الله-: (وأصل الجبن من سوء الظن ووسوسة النفس بالسوء، وهو ينشأ من الرئة، فإذا ساء الظن ووسوست النفس بالسوء انتفخت الرئة فزاحت القلب (في مكانه، وضيق عليه حتى أزعجته عن مستقره)، فأصابه الزلازل والاضطراب لإزعاج الرئة له وتضييقها عليه، ولهذا جاء في حديث عمرو بن العاص الذي رواه أحمد وغيره عن النبي ﷺ: «**شَرُّ مَا فِي الْمَرْءِ جُبْنٌ خَالِعٌ وَشُحٌّ هَالِعٌ**» [أحمد: ٣٠٢ و ٣٢٠)، وأبو داود: (٢٥١١)].

فسمي الجبن خالِعاً لأنه يخلع القلب عن مكانه لانتفاخ السَّحَر وهو الرئة؛ كما قال أبو جهل لعتبة بن ربيعة يوم بدر: انتفخ سَحْرُكَ. فإذا زال القلب عن مكانه ضاع تدبير العقل، فظهر الفساد على الجوارح فوضعت على غير مواضعها^(١). (والجبان يلقي حتفه قبل أجله، ومن أمثال العرب: إن الجبان حتفه من فوقه)، أي: ينظر أمنيته كأنها تحوم على رأسه، كما قال تعالى في المنافقين إذ وصفهم بالجبن: ﴿يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ﴾^(٢) (٣).

قلت: إذا تأملنا جيداً تقرير العلامة ابن القيم -رحمه الله- عن قول النبي ﷺ (**جُبْنٌ خَالِعٌ**)، يتضح لنا عجز الفحص المخبري في الكشف عن صلة

(١) الروح: (ص ٢٩١).

قلت: بينما كنت أتناقش مع أحد الأطباء النفسيين حول منشأ الخوف فإذا به يقول معجباً:

كيف لابن القيم رحمه الله بهذا الكلام وليس لديه أدوات أو أجهزة طبية في زمنه!؟

(٢) سورة المنافقون، الآية: ٤.

(٣) انظر: الأمثال، القاسم بن سلام (٣١٦)، والعقد الفريد، لابن عبد ربه (٧٢/٣).

الخوف بفساد الجوارح حينما تظهر على شكل أمراض عضوية. وقد لاحظت على بعض المراجعين في أثناء الرقية بأنهم يشكون من الكحة دون سبب طبي ظاهر، فعندما أسألهم عن الخوف من حرمان الأم في الصغر نتيجة الخلاف بين الأبوين أو الطلاق أجد بأن بعضهم يندهشون من سؤالي هذا الذي تكون إجابتهم حوله في الغالب كما ذكر الدكتور أحمد عكاشة:

«**الربو الشعبي**: يشبه صفيّر أو أزيز مريض الربو في أثناء التنفس صرخة الطفل منادياً أمه، والحق أن كثيراً من مرضى الربو يعانون من علاقة سطحية فقيرة مع أمهاتهم، وأن أحد مسببات نوبات الربو هو التهديد بفقدان أو الانفصال عن الأم أو ما يقابلها من بديل كزوجة أو صديقة... إلخ، ويبدو التناقض الشديد في علاقة المريض بأمه أو من يقوم مقامها في الخوف من الابتعاد أو الانفصال، وفي الوقت نفسه الرغبة في الاستقلال وعدم الاعتمادية مما يؤدي إلى صراع نفسي يجعل الفرد عرضة لتقلصات الشعب الهوائية ونوبات ربوية^(١).

وفي هذا المقام أذكر قصة ربما تحكي عن علاقة الخوف بفساد الجوارح، كما قال ابن القيم - رحمه الله - وقد تعكس هذه القصة أيضاً نظرة حول مُعطيات هذا الكتاب على أرض الواقع بعد إصداره بفضل الله وتوفيقه. جاء أحد المراجعين بأخته التي لا تستطيع المشي على قدميها منذ ما

(١) الطب النفسي المعاصر: (ص ٥٣٩).

يقارب ثلاث سنوات حال ولادتها بالمولود الثالث .
 فتمكن منها الإحباط بعدما يُست من إجراء جميع الفحوصات
 المخبرية دون أن تظهر عِلَّة هذه الإعاقة على حدِّ قولها .
 وربما استسلمت طيلة هذه الفترة لرأي امرأة متطبِّبة قرأت عليها
 وقالت: إن في رجلِك مسًّا من الجن !!
 فاستتجت من خلال الحوار معها قبل الرقية أنها تعاني من خوف
 مَرَضِي نتيجة التشخيص الخاطئ من تلك المرأة المتطبِّبة، والله أعلم .
 وقرأت عليها ما تيسر من القرآن بحضرة أخيها وكانت تعاني من آلام
 في كلتا الرجلين في أثناء الرقية^(١) .
 وبعد ذلك ناولتُ أخاها نسخة من هذا الكتاب بعنوانه القديم^(٢)
 وأشارت إلى الموضوع الخاص بمرضها في صفحة (٢٦٧) .
 وأفادت بأن ما ذُكر في الرسم المشار إليه يتوافق إلى حدٍّ كبير مع
 الأعراض التي تشتكي منها، وهذه الأعراض تتوافق - أيضاً - مع كلام
 ابن القيم - رحمه الله - .
 ثم أشارت أيضاً إلى صفحة أخرى (٨٧) حتى إذا وقفنا على هذه
 الأعراض (السقوط، وعدم القدرة على الاستمرار واقفاً) تركت لهما حرية
 اختيار الإجابة فقلت لهما: هل ظهرت لكما العِلَّة الآن؟ فقالا: نعم،
 وكما قيل في الأمثال: «إذا عُرِف السبب بَطُلَ العجب» .

(١) انظر: ص ٢٢٨ .

(٢) نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية .

فسرعان ما تابعت مع الطيبة النفسية وأخذت العلاج المناسب، وبعد عدة أسابيع جاءت مع زوجها في الجلسة الأخرى وهي تمشي على قدميها والله الحمد والمنّة.

وهذا يدل على أن المريض لا يئأس من روح الله مهما كانت حالته المرضية، فإن لها دواء بإذن الله، ولهذا قال ﷺ: «**ما أنزل الله داء إلا أنزل له شفاء**»^(١).

وللإمام ابن القيم - رحمه الله - كلام نفيس ومهم جداً حول هذا الحديث؛ يقول رفع الله درجته في أعلى عليين: «في هذا الحديث تقوية لنفس المريض والطبيب، وحثُّ على طلب ذلك الدواء، والتفتيش عليه، فإن المريض إذا استشعرت نفسه أن لدائه دواء يزيله تعلق قلبه بروح الرجاء، وبردت عنده حرارة اليأس، وانفتح له باب الرجاء، وامتى قويت نفسه انبعث حرارته الغريزية، وكان ذلك سبباً لقوة الأرواح الحيوانية والنباتية والطبيعية، وامتى قويت هذه الأرواح قويت القوى التي هي حامل لها، فقهرت المرض ودفعته.

وكذلك الطبيب إذا علم أن لهذا الداء دواء أمكنه طلبه والتفتيش عليه، وأمراض الأبدان على وزن أمراض القلوب، وما جعل الله للقلب مرضاً إلا جعل له شفاء بضده، فإن علمه صاحب الدواء واستعمله، وصادف داء قلبه أبرأه بإذن الله تعالى»^(٢).



(١) سبق تخريجه ص ١٠.

(٢) زاد المعاد (١٧/٤).

٢٣ - نظرة حول التأثير النفسي السلبي

حينما يصاب أحد أفراد الأسرة بمرض عضوي، فالضرر قد لا يتعدى بقية أفراد الأسرة في الغالب مهما عانى المريض من شدة الألم ومهما تعاطفت معه الأسرة، بخلاف الضرر المتعدي مقارنةً مع المريض النفسي. فقد يُشكّل خطورة على الأسرة في أثناء ما يتتبعه من سلوك عدواني فربما تجاوز هذا الضرر إلى الأقارب أو الدائرة المحيطة به .

فرعاية المريض النفسي ليست كغيره خصوصاً إذا كان له السيطرة على الأسرة كالأب ونحوه حينما يتوهم مؤامرة تُحاك ضده أو أن أحداً يطاردّه أو خطراً يهدد حياته أو سحر بفعل فاعل، فقد يشترك في هذا الوهم بعض أفراد الأسرة .

ولعلي أستشهد بإحدى القصص حول هذا الموضوع: طلب مني أحد الزملاء الرقية على زوجة صاحبه بحضور زوجها بمنزلهم، وفي أثناء الرقية عليها صرخت الزوجة بأعلى صوتها تقول: السحر في مكان كذا وكذا .

فأجابها زوجها على الفور: من الذي عمله فلان أم فلانة؟ واشتدّ النقاش بينهما ولم يلتفت أحدٌ منهما إليّ، فاستأذنت للخروج من المنزل بعدما لاحظت بأن الزوج يعاني من بعض اضطرابات الإدمان^(١) .

(١) كما جاء عن أعراض التعاطي في نشرة مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض عن المنبهات من المواد المخدرة.

* زيادة الحركة والنشاط وارتفاع المزاج واليقظة لساعات طويلة وانعدام الشهية للأكل، ويعقب ذلك أوقات من الخمول والكسل والكآبة وربما لساعات طويلة.

وفي اليوم التالي أعاد زميلي الاتصال يطلب منّي الرقية مرة أخرى ويقول على لسان صاحبه: كاد الجنّي المتلبس بزوجتي أن يخرج أو يعترف بإمكان السحر بعدما عجز عنه بعض الرقاة؟

فقلت لزميلي: الذي يظهر لي والله أعلم بأن زوجة صاحبك تمر بحالة إجهاء نتيجة ضغوط نفسية ناتجة عن الاضطرابات النفسية التي يعاني منها زوجها.

قال: وما العمل؟ قلت: أخبره بما سمعت وسوف أتواصل معه.

وبالفعل حصل ما كنت أتوقع! اتصلت بي والدّة الزوجة تصف انهيار نفسية ابنتها من جراء شكوك زوجها، خصوصاً إصراره على وجود سحر بفعل فاعل للتفريق بينهما بعدما توترت العلاقة.

وبعد أن قابلت الزوج لم يُنكر التعاطي وجلست معه عدّة جلسات مناصحة فمنّ الله عليه بالهداية وقرر الإقلاع، فاستقرت نفسيته تدريجياً مع الوقت وانعكست على أسرته، وبعد فترة من الزمن طلب منّي الرقية على زوجته مره أخرى، ولما قرأت عليها كأنها لم ترَ بأساً قط والله الحمد والمنّة.



= * زيادة الكلام والرغبة والاندفاع للتحدث مع الآخرين.

* الاستمرار في تعاطيها يجعل مزاج المتعاطي حاداً ومتقلباً ويميل للشكوك والظنون وتنتابه الهواجس، ويصبح عدوانياً وميلاً للمشاجرات دون تحسب العواقب.

* إهمال المظهر العام وفقدان الدور الاجتماعي والجانب الديني.

٢٤ - نظرة حول أثر الألعاب الإلكترونية

باتت الألعاب الإلكترونية التي انتشرت في الآونة الأخيرة مصدر قلق لدى الكثير من الأسر حينما يرون أبناءهم يتعلقون بها تعلقاً شديداً، ويمكنون أمامها الساعات الطوال، وهذا من أعظم مشكلات هذا العصر التي تواجهها معظم دول العالم.

وإليك أيها القارئ الكريم بعضاً من الأمثلة:

«طالب عدد من الوزراء في الاتحاد الأوروبي بمنع ألعاب العنف والقتل، وفرض عقوبة موحدة لبيع هذه الألعاب للمراهقين»^(١).

وفي الصين أعربت السلطات عن قلقها المتزايد من الأعداد الكبيرة للمراهقين الذين يقضون ساعات طويلة، وربما أيام كاملة في اللعب بمقاهي الإنترنت، حيث قامت ثمانى إدارات حكومية بإصدار قواعد جديدة تجبر شركات اللعب على الإنترنت وشركات تشغيل الخدمة على تحميل وتشغيل برامج مضادة لإدمان هذه الألعاب^(٢).

وفي الصين أيضاً قامت أسرة صبي صيني في الثالثة عشرة من عمره، انتحر بعد أن أمضى ٣٦ ساعة يلعب لعبة على الحاسب، برفع دعوى قضائية ضد الموزع الصيني للعبة مطالبة بتعويض قيمته مئة ألف يوان، أي

(١) مجلة العالم الرقمي (ع ١٩٣) ٢٦ / ١ / ٢٠٠٧ م.

(٢) موقع البوابة العربية للأخبار التقنية ١٠ / ٤ / ٢٠٠٧ م.

ما يعادل ١٢٥٠٠ دولار^(١).

وقد شاهدت الكثير من المراجعين يطلبون الرقية على أطفالهم ويتوهمون أنهم مصابون بتلبس الجن أو السحر أو العين.

فكنت أبادر بالسؤال عن مدة الوقت الذي يمضي على المريض في ألعاب الإنترنت، وأتفاجأ بالإجابة غالباً أن المريض يمكث معظم وقته من خمس ساعات إلى تسع ساعات يومياً على ألعاب الإنترنت.

ولاحظت عليهم شيئاً يدمي القلب، أعراض القلق وسرعة الغضب وعدم القدرة على التركيز في واجباتهم المدرسية وكثرة الغياب والخوف والحزن مع عدم مفارقة الأم وعدم الاستقرار الانفعالي^(٢) وقلة النوم وضعف شهية الأكل مع أن أعمارهم تتراوح ما بين السنة الخامسة إلى الثانية عشرة تقريباً.

وأعتقد بأن بعض هؤلاء المرضى يحتاجون إلى إعادة تأهيلهم وفق برنامج علاجي سلوكي في عدم الإدمان على هذه الألعاب بالإضافة إلى الرقية، وستكون النتائج أفضل بإذن الله .

(١) مجلة العالم الرقمي (١٦٤).

(٢) وهو الميل للبكاء مع تقلب المزاج، وهذه الحالة معروفة لدى الأطباء النفسيين.

اضطرابات ألعاب الإنترنت:

(هو نمط من الإفراط المطوّل للعب على الإنترنت، حيث تشير نتائج عبر مجموعة من الأعراض المعرفية والسلوكية، بما في ذلك فقدان التدريجي للسيطرة على الذات/ مع ممارسة أكثر تلك الألعاب ويحدث التسامح، وأعراض الانسحاب، بصورة مماثلة لأعراض جوهر استخدام الاضطرابات. كما هو الحال مع مادة الاضطرابات ذات الصلة، لذا فإن الأفراد مع اللعب على الإنترنت المتواصل مع اضطراب الجلوس على الكمبيوتر والانخراط في أنشطة الألعاب على الرغم من إهمال كافة الأنشطة الأخرى.

وهم يكرسون عادة من ٨ إلى ١٠ ساعات أو أكثر في اليوم الواحد لهذا النشاط وعلى الأقل ٣٠ ساعة في الأسبوع، وإذا منعوا من استخدام جهاز كمبيوتر ومن ممارسة الألعاب، فإنهم يصبحون أكثر احتياجاً وغضباً. وهم غالباً ما يجلسون لفترات طويلة دون طعام أو نوم ومن الطبيعي إهمال الواجبات، مثل المدرسة أو العمل، أو الالتزامات العائلية الأخرى، وهذا الشرط هو فصل من اضطراب المقامرة الذي ينطوي على الإنترنت^(١).

وفي الختام أنقل هنا بإيجاز واختصار بعض الأذكار الشرعية والآداب التربوية التي لها بإذن الله أثر على الصحة النفسية للإنسان، وفيها فائدة عظيمة له في دينه وصحة بدنه، وهي على النحو التالي:

(١) الدليل التشخيصي والإحصائي الأمريكي الخامس للاضطرابات النفسية والعقلية (ص ١٤١٨)، الطبعة الأولى ١٤٣٦ دار الزهراء الرياض د. علي مصطفى د. محمد يوسف.

٢٥ - نظرة حول أثر استماع القرآن

من الأمور المتقررة المعلومة أن للقرآن الكريم خصائص اختصّه الله عز وجل بها وميزات ميّزه بها عن سائر الكتب السماوية فهو كتاب شفاء ورحمة وهدى وفرقان ونور إلى غير ذلك من الأسماء والأوصاف المبثوثة في ثنايا القرآن العظيم^(١) وسنة النبي الكريم عليه الصلاة والسلام. كما قال تعالى: ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَابًا يَفْشَعُ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَىٰ اللَّهِ يَهْدِي بِهِ ۖ مَنْ يَشَاءُ ۖ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾ [الزمر: ٢٣]. يقول تعالى: تفشعر من سماعه إذا تلى عليهم جلود الذين يخافون ربهم، ﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ يعني إلى العمل بما في كتاب الله والتصديق به^(٢).

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله -: «وأكمل السماع سماع من يسمع بالله ما هو مسموع من الله وهو كلامه، وهو سماع المحبين المحبوبين، كما في الحديث الذي في صحيح البخاري عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى أنه قال: «وما تقرب إلي عبدي بشيء أحب إلي مما افترضت عليه، وما يزال عبدي يتقرب إلي بالنوافل حتى أحبه، فإذا أحببته: كنت سَمْعَهُ الذي يسمع به، وبصره الذي يبصر به، ويده التي يبطش بها، ورجله التي يمشي بها، وإن سألني لأعطينه، ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت

(١) وقد جمعها الشيخ صالح البليهي رحمه الله في كتاب بعنوان: «الهدى والبيان في أسماء القرآن».

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان (١٧/ ١٤٠).

عن شيء أنا فاعله ترددي عن قبض نفس المؤمن، يكره الموت وأنا أكره مساءته»^(١).

والقلب يتأثر بالسماع بحسب ما فيه من المحبة، فإذا امتلأ من محبة الله، وسمع كلام محبوبه أي: بمصاحبته وحضوره في قلبه، فله من سماعه هذا شأن، ولغيره شأن آخر، والله أعلم^(٢).

وللقرآن تأثيره العجيب ومصدق ذلك ما قصّه الله عز وجل عن الجن كما في قوله تعالى: ﴿قُلْ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ اسْتَمَعَ نَفَرٌ مِّنَ الْجِنِّ فَقَالُوا إِنَّا سَمِعْنَا قُرْآنًا عَجَبًا ۝١ يَهْدِي إِلَى الرُّشْدِ فَآمَنَّا بِهِ وَلَن تُشْرِكَ بِرَبِّنَا أَحَدًا ۝٢﴾ [الجن: ١ - ٢].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ صَرَفْنَا إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ الْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ الْقُرْآنَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوا أَنصِتُوا فَلَمَّا قُضِيَ وَلَّوْا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ مُّنْذِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٢٩]. عن ابن عباس رضي الله عنه قال: لم تكن السماء تحرس في الفترة بين عيسى ومحمد عليه السلام، وكانوا يقعدون مقاعد للسمع؛ فلما بعث الله محمدا عليه السلام حرسَت السماء حرساً شديداً، ورُجِمَت الشياطين، فأنكروا ذلك، وقالوا: ﴿لَا تَنْدَرِي أَسْرَارِي يَمَنُ فِي الْأَرْضِ أَمْرًا أَرَادَ بِهِمْ رَبُّهُمْ رَشَدًا﴾ [الجن: ١٠]. فقال إبليس: لقد حدث في الأرض حدث، واجتمعت إليه الجن، فقال: تفرّقوا في الأرض، فأخبروني ما هذا الخبر الذي حدث في السماء، وكان أوّل بعث ركب من أهل نصيبين، وهي أشراف

(١) أخرجه البخاري في صحيحه، باب التواضع برقم (٦٥٠٢) (٨/ ١٠٥).

(٢) مدارج السالكين، ص (٥٨٩).

الجنّ وساداتهم، فبعثهم إلى تهامة، فاندفعوا حتى بلغوا الوادي، وادي نخلة، فوجدوا نبيّ الله ﷺ يصلي صلاة الغداة ببطن نخلة، فاستمعوا؛ فلما سمعوه يتلو القرآن، قالوا: أنصتوا، ولم يكن نبيّ الله ﷺ علم أنهم استمعوا إليه وهو يقرأ القرآن؛ فلما قضى ولوا إلى قومهم منذرين^(١).

و استماع القرآن أشد وقعاً على الكفار من ضرب السيوف قال تعالى:

﴿وَجَاهِدْهُمْ بِهِ جِهَادًا كَبِيرًا﴾ [الفرقان: ٥٢]. قال ابن عباس: بالقرآن^(٢).

ولما أدرك مشركو قريش قوة تأثير القرآن على قومهم سارعوا إلى

التشويش على قراءة النبي ﷺ قال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ

وَالْفَوَافِيهِ﴾ [فصلت: ٢٦]. أي: تواصلوا فيما بينهم ألا يطيعوا للقرآن، ولا

ينقادوا لأوامره، ﴿وَالْفَوَافِيهِ﴾ أي: إذا تُلي لا تسمعوا له. كما قال مجاهد:

﴿وَالْفَوَافِيهِ﴾ يعني: بالمكاء والصفير والتخليط في المنطق على رسول الله ﷺ

إذا قرأ القرآن قريش تفعله.

وقال الضحّاك، عن ابن عباسٍ: ﴿وَالْفَوَافِيهِ﴾ عيبوه.

وقال قتادة: اجحدوا به، وأنكروه وعادوه.

(لعلكم تغلبون) هذا حال هؤلاء الجهلة من الكفار، ومن سلك مسلكهم عند

سماع القرآن. وقد أمر الله -سبحانه- عباده المؤمنين بخلاف ذلك فقال: ﴿وَإِذَا

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاکر: (٢٢ / ١٣٤).

(٢) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاکر: (١٩ / ٢٨٠).

قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾ [الأعراف: ٢٠٤] ^(١).

فالعلاقة وثيقة ما بين السمع والقلب قال تعالى: **﴿وَنُطَبِّعُ عَلَى قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾** ^(٢).

وكذلك علاقة القلب بالبصر، قال تعالى: **﴿مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى﴾** ^(٣).

وقال تعالى: **﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ۝ أَبْصَرُهَا خَشِيعَةٌ﴾** ^(٤).

كما أن إعجاز القرآن الكريم منقطع النظير، ولا يزال على مرّ العصور إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها فقد ذكر د. محمود يوسف عبده في بحث له بعنوان «**المعجزة الصوتية للقرآن الكريم**» مايلي ^(٥):

«قام فريق عمل طبي بأبحاث قرآنية في (عيادات أكبر) في مدينة بنما سيتي بولاية فلوريدا بأمريكا، وقدم هذا البحث في المؤتمر العالمي الثالث للطب الإسلامي المنعقد في إسطنبول، تركيا. وكان هدف المرحلة الأولى من البحث هو إثبات ما إذا كان للقرآن تأثير من خلال المراقبة الإلكترونية المزودة بالكمبيوتر لقياس التغيرات الفسيولوجية في عدد من

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاکر: (٢١ / ٤٦٠).

(٢) سورة الأعراف: (آية ١٠٠).

(٣) سورة النجم، الآية: ١١.

(٤) سورة النازعات، الآيتان: ٨، ٩.

(٥) ينظر: «مجلة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة»، العدد (٩)، عام ١٤٢٢ هـ.

المتطوعين الأصحاء أثناء استماعهم لتلاوة قرآنية مسجلة، وقيام أثر القرآن عند عدد من المسلمين المتحدثين بالعربية وغير العربية وكذلك عند عدد من غير المسلمين. بعدما تليت عليهم مقاطع من القرآن الكريم باللغة العربية ثم تليت عليهم ترجمة هذه المقاطع باللغة الإنجليزية وقد أجرى البحث على مرحلتين.

لقد أظهرت النتائج المبدئية للبحوث القرآنية أن للقرآن أثراً إيجابياً مؤكداً لتهدئة التوتر، وأمكن تسجيل هذا الأثر نوعاً وكماً. وظهر هذا الأثر على شكل تغيرات في التيار الكهربائي في العضلات وتغيرات في قابلية الجلد للتوصيل الكهربائي، وتغيرات في الدورة الدموية وما يصحب ذلك من تغير في عدد ضربات القلب وكمية الدم الجاري في الجلد ودرجة حرارة الجلد. وفي المجموعة التي كانت تسمع وتفهم سواء كانوا مسلمين أو غير مسلمين أو كانوا يتحدثون العربية أم غيرها كانت النتائج إيجابية بنسبة ٩٧٪. وفي مجموعات المرحلة الثانية ثبت أن لسماع تلاوة آيات القرآن الكريم أثراً واضحاً على تهدئة التوتر ولو لم يفهم معناها إذ حقق إيجابية قدرها ٦٥٪.

كما أن نتائج هذه التجارب المقارنة تشير إلى أن كلمات القرآن بذاتها. وبغض النظر عن مفهوم معناها. لها أثر فسيولوجي مهدئ للتوتر في الجسم البشري فإذا اقترن سماع القرآن الكريم بفهم معناه كان غير محدود الأثر». قلت: ولهذا يحفظ بعض العجم من المسلمين القرآن عن ظهر قلب، وبعضهم يقرأونه مرتلاً ومجوداً بدون فهم معانيه، ويحصل لهم فيه الخير والبركة والأجر الكثير، وهذا من إعجاز القرآن وخصائصه، وهكذا

صغار الأطفال وبعض العوام من العرب الذين يقرأون القرآن بغير تدبر، قال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيً﴾^(١). قال ابن عباس رضي الله عنهما «لا يعلمون الكتاب، لا يدرون بها فيه»^(٢). وقال رسول الله ﷺ: "مَنْ قَرَأَ حَرْفًا مِنْ كِتَابِ اللَّهِ فَلَهُ بِهِ حَسَنَةٌ، وَالْحَسَنَةُ بِعَشْرِ أَمْثَالِهَا، لَا أَقُولُ الْم حَرْفٌ، وَلَكِنْ أَلِفٌ حَرْفٌ وَلَا مٌ حَرْفٌ وَمِيمٌ حَرْفٌ"^(٣).

وقد لاحظت أنا وغيري أثر سماع القرآن الكريم مباشرة دون مكبرات الصوت^(٤) على بعض المرضى المصابين بحالة إغماء في المستشفيات.

- أحدهم طفل لا يكاد يفقه شيئاً من القرآن أفاق من الغيبوبة والله الحمد والمنة على أثر سماع القرآن يوم أن وقف الطب عاجزاً عن علاجه.

- وشاب آخر فقد الوعي لعدة أشهر وقال حينما أفاق لم أعقل شيئاً أثناء غيبوتي غير الرقية الشرعية حينما يقرأ عليه أحد الزوّار آيات من القرآن

(١) سورة البقرة: (آية ٧٨).

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان (٢/ ٢٦٠).

(٣) سنن الترمذي ت شاكر (٥/ ١٧٥) رقم ٢٩١٠، وصححه الألباني في صحيح الترمذي.

(٤) الرقية عبر مكبرات الصوت، وعبر الهاتف، وعلى مجموعة من الناس. جاء في فتوى اللجنة الدائمة للإفتاء: (الرقية لا بد أن تكون على المريض مباشرة ولا تكون بمكبرات الصوت ولا بواسطة الهاتف، لأن ذلك يخالف ما فعله رسول الله ﷺ، وأصحابه رضي الله عنهم وأتباعهم بإحسان في الرقية، وقد قال ﷺ: من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو رد) (الفتوى رقمها ٢٣٦١ والحديث متفق عليه صحيح البخاري ٢٦٩٧، صحيح مسلم ١٧١٨).

الكريم.

قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «فلم يُنزل الله سبحانه من السماء شفاءً قطّ أعمُّ، ولا أنفع، ولا أعظم، ولا أشجع في إزالة الداء من القرآن»^(١).
ومما يمكن أن يقال أن بركة القرآن الكريم قد تكون ظاهرة للعيان، وقد تكون خفية التأثير، قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾^(٢).
ومن فضائل الأكتار من قراءة القرآن قال الشعبي - رحمه الله - : من قرأ القرآن لم يخرف. وقال عبد الملك بن عمير - رحمه الله - : أبقي الناس عقولاً قراءة القرآن^(٣).

وقال العلامة السعدي - رحمه الله -^(٤):

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ﴾ أي: عمّمكم وغمركم نعمه الظاهرة والباطنة التي نعلم بها؛ والتي تخفى علينا، نعم الدنيا، ونعم الدين، حصول المنافع، ودفع المضار، فوظيقتكم أن تقوموا بشكر هذه النعم؛ بمحبة المنعم والخضوع له؛ وصرفها في الاستعانة على طاعته، وأن لا يستعان بشيء منها على معصيته». وقال شيخ الإسلام - رحمه الله - : «ما رأيت شيئاً يغذي العقل والروح ويحفظ الجسم ويضمن السعادة أكثر من إدامة النظر في كتاب الله تعالى»^(٥).

(١) الداء والدواء ص (٨).

(٢) سورة لقمان، آية ٢٠.

(٣) العمر والشيب لابن أبي الدنيا (ص ٧٥).

(٤) تفسير السعدي = تيسير الكريم الرحمن (ص ٦٤٩).

(٥) مجموع الفتاوى (٧/ ٤٩٣).

قلت: وقد يكون القرآن لبعض الناس فتنة وضلالاً، كما قال تعالى:

﴿يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾^(١).

فكان فسقهم سبباً في إضلال الله لهم، وذلك بسبب إعراضهم عنه، قال

تعالى: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا عَمَّا أُنذَرُوا مُعْرِضُونَ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لَا

يُؤْمِنُونَ فِي آذَانِهِمْ وَقُرْ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى﴾^(٣)، وقال تعالى: ﴿وَمِنْهُمْ مَّنْ

يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِنْدِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ

طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ

الْمُجْرِمِينَ﴾^(٥).

قال الشيخ السعدي - رحمه الله -: «أي أدخلنا التكذيب وأنظمناه في

قلوب أهل الإجماع كما يدخل السلك في الإبرة فتشربه فصار وصفاً لهم

وذلك بسبب ظلمهم وجرمهم»^(٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ

حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾^(٧).

(١) سورة البقرة: (آية ٢٦).

(٢) سورة الأحقاف: (آية ٣).

(٣) سورة فصلت: (آية ٤٤).

(٤) سورة محمد: الآية: ١٦.

(٥) سورة الشعراء: الآية: ٢٠٠.

(٦) تفسير السعدي تيسير الكريم الرحمن (١/ ٥٩٧).

(٧) سورة الإسراء، الآية: ٤٥.

قال ابن القيم - رحمه الله - : « وقوله: ﴿وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَمِلُونَ﴾ ^(١)، وعلى أصح القولين.

والمعنى: جعلنا بين القرآن إذا قرأته وبينهم حجاباً يحول بينهم وبين فهمه وتدبره، والإيمان به، ويُنه قوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَنْ يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذُكِّرْتُمْ بَكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَوْ أَنَّ عَلَى آذَانِهِمْ نُفُورًا﴾ ^(٢). وهذه الثلاثة هي الثلاثة المذكورة في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا قُلُوبُنَا فِي أَكِنَّةٍ وَمَا نَدْعُونَ إِلَيْهِ فِي آذَانِنَا وَقْرًا وَمِنْ بَيْنِنَا وَبَيْنَكَ حِجَابٌ فَأَعْمَلْ إِنَّنَا عَمِلُونَ﴾ ^(٣) فأخبر سبحانه أن ذلك جعله.

فالحجاب يمنع من رؤية الحق، والأكنة تمنع من فهمه، والوقر يمنع من سماعه.

قال الكلبي: الحجاب هنا مانع يمنعهم من الوصول إلى رسول الله ﷺ بالأذى من الرعب ونحوه مما يصدّهم عن الإقدام عليه» ^(٤).

وقد ورد سؤال للجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء برقم (١٨٣٩٢) ما نصه: س: ماذا يصنع المعالج بالقرآن لو جيء إليه بشخص من أهل الكتاب يعاني من مس الشيطان؟ وهل يفيد العلاج؟ علماً بأنه لا يؤمن بالإسلام.

(١) سورة فصلت، الآية: ٥.

(٢) سورة الإسراء: الآية: ٤٦.

(٣) سورة فصلت: الآية: ٥.

(٤) شفاء العليل (١/٩٣).

ج: يجوز علاج غير المسلم بالقرآن؛ لأن ذلك من الإحسان، والله

يقول: ﴿وَأَحْسِنُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ﴾^(١)، وقال تعالى: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ

الَّذِينَ لَمْ يَقْنِلُواكُم فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُواكُم مِّن دِينِكُمْ أَنَّ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ

الْمُقْسِطِينَ﴾^(٢). وقد يكون شفاؤه بسبب الرقية سبباً لإسلامه.

وبالله التوفيق، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء

عضو عضو عضو نائب الرئيس الرئيس

بكر أبو زيد صالح الفوزان عبد الله بن غديان عبدالعزيز آل الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز

ومع هذا فالدعوة لا تزال قائمة لهم، قال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ

الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّى يَسْمَعَ كَلِمَ اللَّهِ ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنَهُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا

يَعْلَمُونَ﴾ [التوبة: ٦].

قال الطبري في تفسيره: يقول تعالى ذكره لنبيه: وإن استأمنك، يا محمد،

من المشركين، الذين أمرتك بقتالهم وقتلهم بعد انسلاخ الأشهر الحرم،

أحدٌ ليسمع كلام الله منك، وهو القرآن الذي أنزله الله عليه (فَأَجِرْهُ)،

يقول: فأمنه حتى يسمع كلام الله وتتلوه عليه (ثُمَّ اتْلُغْهُ مَأْمَنَهُ)، يقول: ثم

رُدّه بعد سماعه كلام الله إن هو أبي أن يسلم، ولم يتعظ لما تلوته عليه من

(١) سورة البقرة، الآية: ١٩٥.

(٢) سورة الممتحنة، الآية: ٨.

كلام الله فيؤمن (إلى مأمنه)، يقول: إلى حيث يأمن منك وممن في طاعتك، حتى يلحق بداره وقومه من المشركين (ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَعْلَمُونَ)، يقول: تفعل ذلك بهم، من إعطائك إياهم الأمان ليسمعوا القرآن، وردك إياهم إذا أبوا الإسلام إلى مأمهم، من أجل أنهم قوم جهلة لا يفقهون عن الله حجة، ولا يعلمون ما لهم بالإيمان بالله لو آمنوا، وما عليهم من الوزر والإثم بتركهم الإيمان بالله^(١).



(١) تفسير الطبري، جامع البيان، تحقيق شاکر: (١٤ / ١٣٨).

٢٦ - نظرة حول أثر الدعاء والأذكار

إن شأن الدعاء شأنٌ عظيم، وهو أعظم سلاح للمؤمن بتوفيق الله، كما قال تعالى: ﴿قُلْ مَا يَعْبَهُؤُا بِكُزِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ﴾^(١).

فهنيئاً لمن وفقه الله إلى كثرة الدعاء فقد أثنى الله - عز وجل - على إبراهيم عليه السلام فقال: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَأَوَّاهٌ حَلِيمٌ﴾^(٢).

قال أبو جعفر: اختلف أهل التأويل في (الأواه) وأولى الأقوال في ذلك عندي بالصواب: القول الذي قاله عبد الله بن مسعود رواه عنه زرّ: إنه الدعاء^(٣).

عن أنس رضي الله عنه قال: «دخل النبي صلى الله عليه وسلم المسجد ورجلٌ قد صلى وهو يدعو ويقول في دعاءه: اللهم لا إله إلا أنت المَنَّان، بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، فقال النبي ﷺ: أتدرون بما دعا الله؟ دعا الله باسمه الأعظم الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى»^(٤).

قال سعيد بن جبير - رحمه الله -: إني لأعرف آية ما قرأها أحد قط فسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه قوله تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ عَلِمَ

(١) سورة الفرقان: (آية ٧٧).

(٢) سورة التوبة: (آية ١١٤).

(٣) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر: (١٤ / ٥٢٣).

(٤) أخرجه الترمذي، رقم ٣٥٤٤، وصححه الألباني في صحيح الأدب المفرد.

الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١﴾ (٢).

وقال ابن القيم - رحمه الله - في قوله تعالى: ﴿وَأُتُوبُكَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ أَنِّي مَسَّنِيَ الضُّرُّ وَأَنْتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾ (٣) جمع في هذا الدعاء بين حقيقة التوحيد وإظهار الفقر والفاقة إلى ربه، ووجود طعم المحبة في المتعلق له، والإقرار له بصفة الرحمة وأنه أرحم الراحمين، والتوسل إليه بصفاته سبحانه، وشدة حاجته وهو فقره، ومتى وجد المبتلى هذا كشف عنه بلواه (٤).

كما أن الدعاء قرين السعادة كما وصف دعاء الله زكريا عليه السلام ﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾ (٥). أي: ولم أعهد فيك إلا الإجابة في الدعاء ولم تردني قط فيما سألتك (٦).

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ (٧).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله - : «وهذا القرب من الداعي هو قرب

(١) سورة الزمر، الآية: (٤٦).

(٢) الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٢٦٥).

(٣) سورة الأنبياء: (آية ٨٣).

(٤) الفوائد (ص ٢٠١).

(٥) سورة مريم: (آية ٤).

(٦) تفسير ابن كثير: (ص ٢١٢).

(٧) سورة البقرة: (آية ١٨٦).

خاص ليس قربا عاما من كل أحد، فهو قريب من داعيه وقريب من عابديه وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد»^(١).

وقال تعالى: ﴿أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ﴾^(٢).

وقال ابن عقيل -رحمه الله-: «ومن اشدّت فاقته فدعا، أو اشتدّ خوفه فبكى، فذلك الوقت الذي ينبغي أن يدعو فيه فإنه ساعة إجابة وساعة صدق في الطلب وما دعا صادق إلا أجيب»^(٣).

وقال ابن رجب -رحمه الله-: «المؤمن إذا استبطأ الفرج وأيس منه بعد كثرة دعائه وتضرعه، ولم يظهر عليه أثر الإجابة رجع إلى نفسه باللائمة، وقال لها: إنما أتيت من قبلك؟ ولو كان فيك خير لأجبت، وهذا اللوم أحب إلى الله من كثير من الطاعات»^(٤).

وقال ابن القيم -رحمه الله-: (الدعاء شفاء، والدعاء من أنفع الأدوية، وهو عدو البلاء، يدفعه ويعالجه، ويمنع نزوله، ويدفعه، أو يخففه إذا نزل، وهو سلاح المؤمن)^(٥).

(و في مستدرك الحاكم من حديث سعد عن النبي ﷺ: «ألا أخبركم بشيء

(١) مجموع الفتاوى (١٥/١٧).

(٢) سورة النمل: (آية ٦٢).

(٣) الآداب الشرعية لابن مفلح الحنبلي (٢/٢٨٢).

(٤) تفسير ابن رجب (٢/٥٩٥).

(٥) كتاب الداء والدواء: (ص ٩).

إذا نزل برجل منكم كرب أو بلاء من بلايا الدنيا، دعاء به ففرج الله عنه، ف قيل له: بلى، فقال: دعاء ذى النون ^(١) ﴿فَكَادَنِي الظُّلُمَاتُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ ^(٢) « ^(٣) .

ومن أوقات إجابة الدعاء كما أخبرنا النبي ﷺ:

عند الأذان، وبين الأذان والإقامة، وفي السجود، وفي أدبار الصلوات المكتوبات، وساعة في جوف الليل الآخر، ودعوة الصائم حين يفطر، ودعوة المسافر، وآخر ساعة من عصر يوم الجمعة، وعند شرب ماء زمزم، ودعوة المظلوم، ودعوة الوالد لولده، ودعوة المضطر، ودعوة الولد الصالح لوالديه بعد الممات ويوم عرفة وعند نزول الغيث.

وعندما اطلعت على بعض كتب الطب النفسي وتأملت أعراض الاكتئاب وجدت أنها تنحصر في هذه الاستعاذة النبوية، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ، قَالَ: دَخَلَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ الْمَسْجِدَ، فَإِذَا هُوَ بِرَجُلٍ مِنَ الْأَنْصَارِ يُقَالُ لَهُ: أَبُو أَمَامَةَ، فَقَالَ: «يَا أَبَا أَمَامَةَ مَا لِي أَرَاكَ فِي الْمَسْجِدِ فِي غَيْرِ وَقْتِ الصَّلَاةِ؟» فَقَالَ: هُمُومٌ لَزِمْتَنِي، وَدُيُونٌ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ: «أَلَا أَعْلَمُكَ كَلَامًا إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُ أَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمَّكَ وَقَضَى دَيْنَكَ؟» قَالَ: قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «قُلْ إِذَا أَصْبَحْتَ وَإِذَا أَمْسَيْتَ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحَزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعَجْزِ

(١) صححه الألباني في صحيح الجامع رقم ٢٦٠٥.

(٢) إسناده صحيح، السلسلة الصحيحة للألباني، رقم (١٧٤٤).

(٣) كتاب الداء والدواء: (ص ١٤).

وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ وَالْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدِّينِ وَقَهْرِ الرِّجَالِ»،
قال: فَفَعَلْتُ ذَلِكَ، فَأَذْهَبَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَمِّي، وَقَضَى عَنِّي دَيْنِي^(١).

قال ابن القيم -رحمه الله-: (فالهم والحزن قرينان، وهما من آلام الروح ومعذباتها، والفرق بينهما: أن الهم توقع الشر في المستقبل، والحزن: هو التألم على حصول المكروه في الماضي، أو فوات المحبوب، وكلاهما تألم وعذاب يرد على الروح، فإن تعلّق بالماضي سمي حزناً، وإن تعلّق بالمستقبل سمي همّاً.

والعجز والكسل قرينان، وهما من أسباب الألم؛ لأنهما يستلزمان فوات المحبوب، فالعجز يستلزم عدم القدرة، والكسل يستلزم عدم إرادته.

فتألم الروح لفواته بحسب تعلّقها به، والتذاذها بإدراكه لو حصل.

والجبن والبخل قرينان، لأنهما عدم النفع بالمال والبدن.

وهما من أسباب الألم؛ لأن الجبان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة، لا تنال إلا بالبذل والشجاعة، والبخل يحول بينه وبينها، فهذان الخُلُقَان من أعظم أسباب الآلام.

وضلع الدين، وقهر الرجال: قرينان، وهما مؤلمان للنفس معذبان لها.

أحدهما: قهر بحق، وهو ضلع الدين، والثاني: قهر بباطل، وهو غلبة الرجال.

وأيضاً: فضلع الدين، قهر بسبب من العبد في الغالب، وغلبة الرجال

(١) سنن أبي داود: (٩٣ / ٢) برقم (١٥٥٥)، والبيهقي في سننه برقم (١٧٩)، أما لفظ الدعاء فقد أخرجه البخاري (٦٠٠٢)، ضمن حديث طويل.

قهر بغير اختياره.

ومن ذلك تعوده ﷺ: «**من المأثم والمغرم**» فإنهما يسببان الألم العاجل^(١).

فهذا الدعاء يرفع هذه الآلام عن النفس ويدفعها بإذن الله.

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: أشد خلق ربك عشرة:

- ١ - الجبال الرواسي.
 - ٢ - والحديد يقطع الجبال.
 - ٣ - والنار تذيب الحديد.
 - ٤ - والماء يطفئ النار.
 - ٥ - والسحاب المسخر بين السماء والأرض يحمل الماء.
 - ٦ - والريح يقطع السحاب.
 - ٧ - وابن آدم يغلب الريح يستتر بالثوب أو الشيء ويمضي لحاجته.
 - ٨ - والشُّكر يغلب ابن آدم.
 - ٩ - والنوم يغلب السكر.
 - ١٠ - والهم يغلب النوم.
- «فأشد جنود الله همّ»، رواه الطبراني في الأوسط^(٢).

(١) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٥٢٥).

(٢) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي (١٣٢ / ٨).

والهمُّ سوء ظن بالله سبحانه وتعالى الذي بيده كل شيء.

قال تعالى: ﴿وَلَنَنْتُمْ ظَنِّيَ السَّوْءَ﴾^(١).

وسوء الظن بالله من ميراث الجاهلية الأولى.

قال تعالى: ﴿يُظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ﴾^(٢).

سُئِلَ الشافعي - رحمه الله - تعالى: كيف يكون سوء الظن بالله؟ قال: «الوسوسة، والخوف الدائم من وقوع مصيبة، وترقب زوال النعمة، كلها من سوء الظن بالرحمن الرحيم»^(٣).

وقال مالك بن دينار: «بقدر ما تحزن للعالم فكذلك يخرج هم الآخرة من قلبك، وبقدر ما تحزن للآخرة فكذلك يخرج هم الدنيا من قلبك»^(٤).
وقال الحسن البصري رحمه الله: «لا تحملنَّ على يومك همَّ غدك، فحسب كل يوم همُّه»^(٥).

قال عبد الله بن المعتز - رحمه الله -: «المرض سجن البدن، والهم سجن الروح»^(٦).

(١) سورة الفتح (آية ١٢).

(٢) سورة آل عمران (آية ١٥٤).

(٣) حلية الأولياء لأبي نعيم (١٢٣/٩).

(٤) الزهد، لابن أبي الدنيا (ص ٧٤).

(٥) أدب الدنيا والدين، (ص ٢٨٩).

(٦) الوافي بالوفيات ١٧ / ٢٤١.

ومما قيل في الهم:

وقال امرؤ القيس^(١):

وليلٍ كمَوجِ البحرِ أرخى سُدُولَهُ عَلَيَّ بأنواعِ الهمومِ ليبتلي

ويقول أبو الطيب المتنبي^(٢).

والهمُّ يخترمُ الجسيمَ نحافةً ويشيبُ ناصيةَ الصبي ويهرم

وقال آخر^(٣):

يا صاحب الهمِّ إن الهمَّ منفرجٌ	أبشر بخير فإن الفارج الله
اليأس يقطع أحياناً بصاحبه	لا تيأسنَّ فإن الكافي الله
الله يحدث بعد العسر ميسرة	لا تجزعنَّ فإن الصانع الله
وإذا بُليتَ فثق بالله وارض به	إن الذي يكشف البلوى هو الله
والله مالِك غير الله من أحدٍ	فحسبُك الله .. في كلِّ لك الله



(١) ديوان امرؤ القيس (١/ ١٥).

(٢) الأمثال السائرة من شعر المتنبي (١/ ٣٣).

(٣) لم أقف على قائل هذه الأبيات في مظانها، وهي مشهورة على ألسن بعض الوعاظ والخطباء.

٢٧- نظرة حول أثر الصدقة

الصدقة من أفضل أعمال البر والإحسان وهي باب من أبواب الجنة، وهي ركن من أركان الإسلام الخمسة، وهي علاج ناجح لجميع الأمراض القلبية والبدنية، قال ﷺ: «**داووا مرضاكم بالصدقة...**»^(١)، فالصدقة لها أثر عظيم في حياة المسلم وفي الآخرة، وفي هذا المعنى يقول فضيلة الشيخ عبدالمحسن القاسم وفقه الله: «الصدقة تقي مصارع السوء، وتدفع البلاء، وتحفظ المال، وتجلب الرزق، وتفرح القلب، وتوجب الثقة بالله وحسن الظن به، وتُرَكِّي النفس وتُنَمِّيها، وتُحَبِّب العبد إلى ربه وتستتر عليه كل عيب، وتزيد في العمر، وتدفع عن صاحبها عذاب القبر، وتكون عليه ظلاً يوم القيامة، وتشفع له عند الله، وتهون عليه شدائد الدنيا والآخرة، وتدعوه إلى سائر أنواع البر فلا تستعصي عليه.

الصدقة وقاية بين العبد وبين النار، والمخلص المسرُّ بها يستظل بها يوم القيامة، ويدعى من باب الصدقة، قال النبي ﷺ: «**ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة**»^(٢).

الصدقة ترفع البلاء وتنفرج بها بإذن الله الكروب.

(١) حسنه الشيخ الألباني، صحيح الجامع، رقم ٣٣٥٨.

(٢) أخرجه البخاري، كتاب الصوم، باب: الريان للصائمين، رقم (١٨٩٧)، ومسلم، كتاب الزكاة، باب: من جمع الصدقة، وأعمال البر، برقم (١٠٢٧).

قال ابن القيم - رحمه الله - ^(١): «للصدقة والإحسان تأثير عجيب في دفع البلاء ودفع العين وشر الحاسد، ولو لم يكن في هذا إلا تجارب الأمم قديماً وحديثاً لكفى به، فما يكاد العين والحسد والأذى يتسلط على محسن متصدق وإن أصابه شيء من ذلك كان معاملاً فيه باللطف والمعونة والتأييد، وكانت له فيه العاقبة الحميدة فالمحسن المتصدق في خفارة إحسانه وصدقته، عليه من الله جنة واقية وحصن حصين».

ويقول أيضاً ^(٢): «فإن للصدقة تأثيراً عجيباً في دفع أنواع البلاء ولو كانت من فاجر أو من ظالم؛ بل من كافر، فإن الله تعالى يدفع بها عنه أنواعاً من البلاء، وهذا أمر معلوم عند الناس خاصتهم وعامتهم، وأهل الأرض كلهم مقرون به، لأنهم جربوه» أ.هـ.

والمتصدق كلما تصدق بصدقة انشرح لها قلبه وانفسح بها صدره.
قال ابن القيم - رحمه الله - ^(٣): «ولو لم يكن في الصدقة إلا هذه الفائدة وحدها لكان العبد حقيقاً بالاستكثار منها والمبادرة إليها، وقد قال تعالى:

﴿وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩]» أ.هـ.

والبخيل محبوس عن الإحسان، ممنوع عن البر، ممنوع من الانشراح،

(١) بدائع الفوائد ٢/ ٤٦٧.

(٢) الوابل الصيب ص ٤٩.

(٣) الوابل الصيب ص ٥١.

ضيق الصدر، صغير النفس قليل الفرح، كثير الهمّ والغمّ والحزن، لا يكاد تقضى له حاجة، ولا يعان على مطلوب.

فتصدق في يومك ولو بشيء يسير، فأفضل الصدقة جهد المقلّ، وفي صبيحة كل يوم ينزل ملكان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقاً خلفاً، ويقول الآخر اللهم أعط ممسكاً تلفاً.

والصدقة قرض مسترد مضاعف قال عليه الصلاة والسلام: «ما نقصت صدقة من مال» رواه مسلم، وقال جل وعلا: ﴿مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ أَضْعَافًا كَثِيرَةً وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْصُطُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٥]، فابذل للفقير بسخاء نفس، وجود يد، وحسن ظن بالله بمضاعفة الثواب والمال» ا.هـ^(١).

وقال علي بن أبي طالب رضي الله عنه: «لا تستحي من إعطاء القليل، فإن الحرمان أقل منه»^(٢).

وقال بعض الحكماء: «من أيقن بالخلف جاد بالعطية»^(٣).

قال تعالى: ﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾^(٤). «يقول: وما أنفقتم

(١) خطوات إلى السعادة، د. عبدالمحسن القاسم ص ٧٣-٧٤.

(٢) فقه النفس من أقوال العلماء وأعمالهم (ص ١٣٧).

(٣) بهجة المجالس (٢/ ٦٢٧).

(٤) سورة سبأ، (آية ٣٩).

أيها الناس من نفقة في طاعة الله، فإن الله يخلفها عليكم.

فعن سعيد بن جبير - رحمه الله - قال: ما كان في غير إسراف ولا تقثير^(١).

وقال الخطيئة:

من يفعل الخير لا يعدم جوازيه لا يذهب العرف بين الله والناس^(٢)
ومن عجائب الصدقة أن عبد الله بن المبارك سأله رجل عن قرصة
خرجت في ركبته منذ سبع سنين، وقد عالجتها بأنواع العلاج وسألت
الأطباء، فلم أنتفع به.

فقال له: اذهب، فاحفر بئراً في مكان حاجة إلى الماء، فإني أرجو أن
ينبع هناك عين، ويمسك عنك الدم.
ففعل الرجل، فبرأ^(٣).



(١) تفسير الطبري، جامع البيان (٤١٣/٣٠).

(٢) ديوان الخطيئة (ص ١٢٠).

(٣) سير أعلام النبلاء، ٨/ ٤٠٧.

٢٨- نظرة حول أثر عيادة المريض

عيادة المريض هي من الحقوق المشتركة بين المسلمين، فهي من حق المسلم على أخيه المسلم، وهي سنة نبينا محمد ﷺ، والشرع الحنيف حين شرع عيادة المريض؛ لما في ذلك من الآثار الحميدة على صحة المريض، وهي ضربٌ من العلاج لما في ذلك تطيب نفوس المرضى وتقوية قلوبهم. ويصف العلامة ابن القيم - رحمه الله - هذا بأنه «من أشرف أنواع العلاج وهو الإرشاد إلى ما يطيب نفس العليل من الكلام الذي تقوى به الطبيعة، وتنتعش به القوة، وينبعث به الحار الغريزي، فيتساعد على دفع العلة أو تخفيفها الذي هو غاية تأثير الطبيب.

وتفريح نفس المريض، وتطيب قلبه، وإدخال ما يسره عليه، له تأثيرٌ عجيب في شفاء علته وخفتها، فإن الأرواح والقوى تقوى بذلك، فتساعد الطبيعة على دفع المؤذي، وقد شاهد الناس كثيراً من المرضى تنتعش قواه بعيادة من يحبونه، ويعظمونه، ورؤيتهم لهم، ولطفهم بهم، ومكالمتهم إياهم، وهذا أحد فوائد عيادة المرضى التي تتعلق بهم، فإن فيها أربعة أنواع من الفوائد: نوع يرجع إلى المريض، ونوع يعود على العائد، ونوع يعود على أهل المريض، ونوع يعود على العامة»^(١).

هذا وينبغي للعائد أن يكون لبقاً مراعيًا آداب عيادة المرضى، ومن ذلك:

١ - أن يراعي حال المريض والوقت المناسب للعيادة، قال سفيان الثوري

(١) الطب النبوي، لابن قيم الجوزية (ص ٨٤).

- رحمه الله -: « حمق العَوَّاد أَشَدَّ على المرضى من أمراضهم: يجيئون في غير وقت ويطيلون الجلوس »^(١).

٢ - إظهار الابتسامة للمريض، مع الدعاء له وتطمينه ومواساته.

٣ - عدم ذكر الأخبار المحزنة، بخلاف (قصة الرجل الذي دخل على عمر بن عبدالعزيز - رحمه الله - يعود في مرضه، فسأله عن علته، فلما أخبره قال: من هذه العلة مات فلان، ومات فلان. فقال له عمر: إذا عدت المرضى فلا تنع إليهم الموتى، وإذا خرجت عنا فلا تعد إلينا. وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «إذا دخلتم على الرجل وهو في الموت فبشروه ليلقى ربه وهو حسن الظن، ولقنوه الشهادة، ولا تضجروه»^(٢).

وختاماً: أنقل بشارة نبوية كريمة لعائدين المرضى، يقول ﷺ في الحديث القدسي: « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ: يَا ابْنَ آدَمَ مَرَضْتُ فَلَمْ تَعُدْنِي، قَالَ: يَا رَبِّ كَيْفَ أَعُودُكَ؟ وَأَنْتَ رَبُّ الْعَالَمِينَ، قَالَ: أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ عَبْدِي فَلَانًا مَرَضَ فَلَمْ تَعُدَّهُ، أَمَا عَلِمْتَ أَنَّكَ لَوْ عُدْتَهُ لَوَجَدْتَنِي عِنْدَهُ؟.... »^(٣).

فهنيئاً لعائدي المرضى فهم في معية الله سبحانه وتعالى.
وقال ﷺ: « أَنَّ الْمُسْلِمَ إِذَا عَادَ أَخَاهُ الْمُسْلِمَ لَمْ يَزَلْ فِي خُرْفَةِ الْجَنَّةِ حَتَّى

(١) العقد الفريد، لابن عبد ربه (٢/ ٢٨٤).

(٢) المرجع السابق.

(٣) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض (٤/ ١٩٩٠)، رقم ٢٥٦٩.

يَرْجِعُ»^(١).

وقد سمعت سؤال موجّه للشيخ عبدالله الجبرين رحمه الله في دورة الإعداد الدعوي بمستشفى القوات المسلحة بالرياض ما نصه: «هل يشمل هذا الفضل العاملين في الرعاية الصحية للمرضى؟ فأجاب: نعم». وبهذه المناسبة أناشد إخواني وزملائي الكرام العاملين في المستشفيات والقطاعات الصحية بأن يستشعروا هذا الفضل، وأن لا يجرموا أنفسهم هذا الأجر العظيم، محتسبين الأجر والثواب من عند الله بالمرور على المريض، فيسلّم عليه ويدعو له، ويسأل عن حاله، وهل له من حاجة يقضيها، مع مراعاة عدم الإزعاج، وهذا لا يستغرق زمناً يسيراً، قال تعالى: ﴿وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَفِسُونَ﴾^(٢).

فَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِفْرَاغُكَ مِنْ دَلُوكَ فِي دَلْوِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَأَمْرُكَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهْيُكَ عَنِ الْمُنْكَرِ صَدَقَةٌ، وَتَبَسُّمُكَ فِي وَجْهِ أَخِيكَ صَدَقَةٌ، وَإِمَاطَتُكَ الْحَجَرَ وَالشَّوْكَ وَالْعِظْمَ عَنْ طَرِيقِ النَّاسِ لَكَ صَدَقَةٌ، وَهَدَايَتُكَ الرَّجُلَ فِي أَرْضِ الضَّالَّةِ صَدَقَةٌ»^(٢).



(١) رواه مسلم في صحيحه، باب فضل عيادة المريض (٤/١٩٨٩).

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه برقم (٨٩١)، قال الألباني: صحيح.

٢٩- نظرة حول أثر مجالس الذكر

مجالس الذكر هي رياض الجنة، وفيها الراحة والسرور، قال تعالى:

﴿الَّذِينَ ءَامَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ ^(١).
 عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَلَائِكَةً سَيَّارَةً، فَضُلًّا يَتَّبِعُونَ مَجَالِسَ الذِّكْرِ، فَإِذَا وَجَدُوا مَجْلِسًا فِيهِ ذِكْرٌ قَعَدُوا مَعَهُمْ، وَخَفَّ بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِأَجْنِحَتِهِمْ، حَتَّى يَمْلَأُوا مَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ السَّمَاءِ الدُّنْيَا، فَإِذَا تَفَرَّقُوا عَرَجُوا وَصَعِدُوا إِلَى السَّمَاءِ، قَالَ: فَيَسْأَلُهُمُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِهِمْ: مِنْ أَيْنَ جِئْتُمْ؟ فَيَقُولُونَ: جِئْنَا مِنْ عِنْدِ عِبَادِكَ فِي الْأَرْضِ، يُسَبِّحُونَكَ وَيُكَبِّرُونَكَ وَيُهَلِّلُونَكَ وَيَحْمَدُونَكَ وَيَسْأَلُونَكَ، قَالَ: وَمَاذَا يَسْأَلُونِي؟ قَالُوا: يَسْأَلُونَكَ جَنَّتِكَ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: لَا، أَيُّ رَبِّ قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا جَنَّتِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَجِيرُونَكَ، قَالَ: وَمِمَّ يَسْتَجِيرُونَني؟ قَالُوا: مِنْ نَارِكَ يَا رَبِّ، قَالَ: وَهَلْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: لَا، قَالَ: فَكَيْفَ لَوْ رَأَوْا نَارِي؟ قَالُوا: وَيَسْتَغْفِرُونَكَ، قَالَ: فَيَقُولُ: قَدْ غَفَرْتُ لَهُمْ فَأَعْطَيْتُهُمْ مَا سَأَلُوا، وَأَجْرْتُهُمْ مِمَّا اسْتَجَارُوا، قَالَ: فَيَقُولُونَ: رَبِّ فِيهِمْ فُلَانٌ عَبْدٌ خَطَاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ: فَيَقُولُ: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ» ^(٢).

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليكم بذكر الله فإنه شفاء،

(١) سورة الرعد: (آية ٢٨).

(٢) صحيح مسلم، كتاب: العلم، باب: فضل مجالس الذكر، رقم ٢٦٨٩، ٤/ ٢٠٦٩.

وإياكم وذكر الناس فإنه داء»^(١).

وقال مالك بن دينار - رحمه الله -: «ما تلذذ المتلذذون بمثل ذكر الله عز وجل، فليس شيء من الأعمال أقل مؤونةً منه، ولا أعظم لذّة، وأكثر فرحةً وابتهاجاً للقلب»^(٢).

وقال ابن الجوزي رحمه الله: «قد ثبت في الحكمة أن شفاء الأمراض قصد أسبابها، فمن استشفى بمرضه بغير ذلك فقد أتى البيوت من غير أبوابها، فمن كان دأؤه المعصية فشفاؤه الطاعة، ومن كان دأؤه الغفلة فشفاؤه اليقظة، ومن كان دأؤه كثرة الاشتغال فشفاؤه في تفريغ البال من تفرغ من هموم الدنيا قلبه قلّ تعبهُ وتوفّر من العبادة نصيبه، واتصل إلى الله مسيره، وارتفع في الجنة مصيره، وتمكن من الذكر والفكر والورع والزهد والاحتباس من غوائل النفس ووساوس الشيطان، ومن كثر في الدنيا شغله اسود قلبه، وأظلم طريقه، وكثر همُّه، ونصب بدنه وصار مهون الوقت، طائش العقل معقود اللسان عن الذكر، مقيّد الجوارح عن الطاعة من قلبه في كل واد شعبة، ومن عمره لكل شغل حصّة، فاستعذ بالله من فضول الأعمال والهموم، فكل ما شغل العبد عن الرب فهو مشؤوم، ومن فاته القرب من مولاه فهو لو جازت يده نعيم الخلد محروم، كل العافية في الذكر والطاعة، وكل البلاء في الغفلة والمخالفة، وكل شفاء في الإنابة والتوبة»^(٣).

(١) الزهد، لأحمد بن حنبل رحمه الله (ص ١٠١).

(٢) الوابل الصيّب لابن القيم (ص ٨١).

(٣) التذكرة في الوعظ لابن الجوزي (ص ٥٢).

ومن فوائد مجالسة أهل الذكر إتساع الإدراك، قيل للإمام الشافعي - رحمه الله - : أخبرنا عن العقل، يولد به المرء؟ فقال: لا، ولكنه يلحق من مجالسة الرجال ومناظرة الناس^(١).

وقال عبدالله بن المعتز - رحمه الله - : (العقل غريزة تربيها التجارب)^(٢). هذا من جهة تنمية العقل وتغذيته بالأمور النافعة شرعاً، ولكن له مدى يصل إليه كما قال الشافعي - رحمه الله - : إن للعقل حداً ينتهي إليه كما أن للبصر حداً ينتهي إليه^(٣).

وليس خروج الجن المتلبس بالإنس مقصوراً على الرقية فحسب، بل إن بعض المصابين بتلبس الجن لا يستطيعون المكوث طويلاً في مجالس الذكر وهذا مشاهد في بعض المقاطع أثناء ما يُصرع أحدهم في صلاة التراويح. قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي﴾^(٤).

وقال تعالى: ﴿فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ﴾^(٥). قال الإمام ابن القيم - رحمه الله - : «منزلة الذكر وهي منزلة القوم الكبرى، التي منها يتزودون، وفيها يتجرون، وإليها دائماً يترددون. والذكر منشور الولاية الذي من أعطيه اتصل ومن منعه عزل، وهو قوت قلوب القوم الذي متى فارقتها صارت الأجساد لها قبوراً، وعمارة

(١) حلية الأولياء (٩ / ١٢١).

(٢) الوافي بالوفيات (١٧ / ٢٤١).

(٣) آداب الشافعي ومناقبه لابن أبي حاتم (ص ٢٠٧).

(٤) سورة طه: (آية ١٤).

(٥) سورة ق: (آية ٤٥).

ديارهم، متى تعطلت عنه صارت بوراً، وهو سلاحهم الذي يقاتلون به قطاع الطريق، وماؤهم الذي يطفئون به التهاب الحريق، ودواء أسقامهم الذي متى فارقهم انتكست منهم القلوب، والسبب الواصل، والعلاقة التي كانت بينهم وبين علام الغيوب.

إذا مرضنا تداوينا بذكرهم فنترك الذكر أحياناً فننتكس
قال الحسن - رحمه الله -: تفقدوا الحلاوة في ثلاثة أشياء: في الصلاة، والذكر، وقراءة القرآن، فإن وجدتم، وإلا فاعلموا أن الباب مغلق.
وبالذكر يصرع العبد الشيطان، كما يصرع الشيطان أهل الغفلة والنسيان.

قال بعض السلف رحمهم الله: إذا تمكّن الذكر من القلب، فإن دنا منه الشيطان صُرع كما يُصرع الإنسان إذا دنا منه الشيطان، فيجتمع عليه الشياطين، فيقولون: ما لهذا؟ فيقال: قد مسّه الإنسي.
وهو روح الأعمال الصالحة، فإذا خلا العمل عن الذكر كان كالجسد الذي لا روح فيه، والله أعلم^(١).

ولعلي أذكر قصة حول هذا الموضوع:

كنت في أحد مجالس الذكر مع المرضى داخل أقسام الإدمان بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض، وصرخ مريض بأعلى صوته يقول: اخرج وهو ينظر إليّ، فلم أخرج من المجلس إلى أن خرج وهو يتقهقر^(٢)

(١) مدارج السالكين ص (٥٩٥ - ٥٩٦).

(٢) يرجع إلى الوراء.

بطريقة غريبة ويمشي على أطراف قدميه.

وبعدما فرغنا من مجلس الذكر فإذا بمريض آخر يقول بأن المريض الذي ارتفع صوته أثناء الجلسة يطلب الرقية؛ فأتيته وقرأت عليه الفاتحة والمعوذات فقام يتخبط ويقول كلاماً غير مفهوم^(١).

وفي اليوم الثالث بعد إجازة الاسبوع قال زميلي الذي شاهد الموقف، كان المريض يتقيأ طيلة يومه بعد الرقية، ثم بعد ذلك قرأت عليه مرة أخرى فلم ألاحظ عليه شيئاً بفضل الله وكتب له الطبيب خروجاً.

وهذا مصداق حديث النبي ﷺ أَنَّهُ قَالَ: «لَا يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرُونَ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ إِلَّا حَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ، وَذَكَرَهُمُ اللَّهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ»^(٢).

فإذا حضرت الملائكة في هذه المجالس فرّت الشياطين.

ومجالس الذكر تُقَرِّبُ من الله عز وجل والطاعة، ولهذا أمر الله نبيه ﷺ

بلزوم أهل الخير والصالح فقال تعالى: ﴿وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدْوَةِ وَالْعَشيِّ يُرِيدُونَ وَجْهَهُ، وَلَا تَعْدُ عَيْنَاكَ عَنْهُمْ تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا يُطِيعِ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا﴾^(٣).



(١) انظر: ص ١٤٦.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار رقم ٢٧٠٠ (٤ / ٢٠٧٤).

(٣) سورة الكهف: (آية ٢٨).

٣٠- نظرة حول أثر الفراغ

حياة المؤمن مليئة بالأعمال الصالحة ولا يوجد فيها فراغ، قال تعالى: ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ ۖ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾^(١)، أي: إذا فرغت من أمور الدنيا وأشغالها وقطعت علائقها فانصب في العبادة وقم إليها نشيطاً فارغ البال، وأخلص لربك النية والرغبة^(٢).

عن عبدالله بن بسر رضي الله عنه أن رجلاً قال: يا رسول الله، إن شرائع الإسلام قد كثرت عليّ، فأخبرني بشيء أتشبّث به؟ قال: (لا يزال لسانك رطب بذكر الله)^(٣).

قال تعالى: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ۖ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَرَ الْجُودِ﴾^(٤). ولا شك أن الفراغ داء قاتل؛ لأنه مخالف لطبيعة الإنسان، فإن الإنسان بطبيعته همّام وحارث، قال النبي ﷺ: (خير الأسماء عبد الله وعبد الرحمن ونحو هذا، وأصدق الأسماء الحارث وهمّام، حارث، لديناه ولدينه، وهمّام بهما...) ^(٥).

قال شيخ الإسلام -رحمه الله- : فالسكوت بلا قراءة ولا ذكر ولا دعاء، ليس عبادة ولا مأموراً به، بل يفتح باب الوسوسة، فلاشتغال بذكر

(١) سورة الشرح: (آية، ٧، ٨).

(٢) تفسير ابن كثير (٨/ ٤٣٣)، تحقيق: د. محمد إبراهيم البنا.

(٣) أخرجه الترمذي، رقم ٣٣٧٥، وصححه الألباني.

(٤) سورة الطور: (آية: ٤٨، ٤٩).

(٥) الجامع لابن وهب، باب الأسماء، حديث رقم (٥٣)، وهو مرسل صحيح.

الله أفضل من السكوت^(١).

وصح عنه ﷺ أنه قال: **(نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ)**^(٢)، فكثير من الناس يفرط في صحته وعدم الاستعانة بها على الأعمال الصالحة في وقت فراغه، وهذه هي الخسارة الكبيرة، والغبن العظيم، ولهذا يقول هذا المفرط عند حضور أجله: **﴿رَبِّ ارْجِعُونِ (١١) لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ﴾**^(٣).

قال ابن جزي المالكي رحمه الله:

لكل بني الدنيا مراد ومقصد وإنه مرادي صحة وفراغ
لأبلغ في علم الشريعة مبلغاً يكون به لي في الحياة بلاغ
فما العيش إلا في نعيم مؤبد به العيش رغد والشراب يساغ^(٤)

وقال ابن مسعود رضي الله عنه: إني لأمقت الرجل أراه فارغاً، لا في أمر دنياه ولا في أمر آخرته^(٥).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: «العبد سائر لا واقف فإما إلى فوق وإما إلى أسفل، وإما إلى الأمام وإما إلى وراء، وليس في الطبيعة ولا في الشريعة

(١) الفتاوى الكبرى (٢/ ٢٩٨).

(٢) أخرجه البخاري، باب لا عيش إلا عيش الآخرة، حديث رقم (٦٤١٢) (٨/ ٨٨).

(٣) سورة المؤمنون (آية: ٩٩، ١٠٠).

(٤) كتاب حياة السلف بين القول والعمل (ص ٤٠٩).

(٥) الزهد لأبي داود (ص ١٧١).

وقوف البتة»^(١).

والفراغ من أسباب انحراف الشباب كما قال أبو العتاهية:

إن الشباب والفراغ والجدّة مفسدة للمرء أي مفسدة^(٢)

قال الشيخ محمد بن عثيمين -رحمه الله-: «الفراغ داء قتال للفكر والعقل والطاقات الجسمية، إذ النفس لا بد لها من حركة وعمل، فإذا كانت فارغة من ذلك تبدّل الفكر، وتخن العقل، وضعفت حركة النفس، واستولت الوسوس والأفكار الرديئة على القلب، وربما حدث له إرادات سيئة شريرة ينفس بها عن هذا الكبت الذي أصابه من الفراغ.

وعلاج هذه المشكلة أن يسعى الشاب في تحصيل عمل يناسبه من قراءة أو تجارة أو كتابة أو غيرها مما يحول بينه وبين هذا الفراغ، ويستوجب أن يكون عضواً سليماً عاملاً في مجتمعه لنفسه ولغيره»^(٣).

والنفس البشرية يعتريها الضعف، فيا أخي الكريم اعمل بوصية الرسول ﷺ: **(اغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ: شَبَابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ، وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ، وَغِنَاكَ قَبْلَ فَقْرِكَ، وَفَرَاغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ، وَحَيَاتِكَ قَبْلَ مَوْتِكَ)**^(٤).

(١) مدارج السالكين (١/٢٧٨).

(٢) خزانة الأدب وغاية الأرب لابن حجة الحموي (٢/٢٦٦).

(٣) من مشكلات الشباب، للشيخ محمد بن صالح العثيمين (ص ٢٣).

(٤) أخرجه النسائي في السنن الكبرى، كتاب المواعظ، حديث رقم (١١٨٣٢) (١٠/٤٠٠)، وأخرجه البيهقي في كتاب الآداب، باب من قصر الأمل وبادر بالعمل قبل بلوغ الأمل، حديث رقم ٨٠٩ (١/٣٢٧)، وصححه الألباني، صحيح الجامع رقم ١٠٧٧.

قال الجنيد: «ما طلب أحد شيئاً بجد وصدق إلا ناله، فإن لم ينله كلّه نال بعضه»^(١).

وقال بعض أصحاب عمر القدامى لعمر: «لو تفرغت لنا، فقال: وأين الفراغ؟ ذهب الفراغ، فلا فراغ إلا عند الله»^(٢).

وقال يحيى بن معاذ - رحمه الله -: «لا يزال العبد مقروناً بالتواني ما دام مقيماً على وعد الأمانى»^(٣).

وقال قتادة - رحمه الله -: «ابن آدم! إن كنت لا تريد أن تأتي الخير إلا بنشاط فإن نفسك إلى السامة وإلى الفترة وإلى الملل أميل، ولكن المؤمن هو المتحامل، والمؤمن هو المتقوي»^(٤).

وقال حبيب أبو محمد: «لا تقعدوا فُرَاغاً، فإن الموت يطلبكم»^(٥).

وقال الدكتور محمد كامل حسين، والدكتور عبد الحلیم العقبي عن رأي الطبيب الرازي بأن أكثر أسباب الماخيوليا^(٦) هو الفراغ قول يجب أن يتدبره كل إنسان مريضاً كان أو معالجا^(٧).

(١) الجامع لأخلاق الراوي (١٧٩ / ٢).

(٢) طبقات ابن سعد (٣٩٧ / ٥).

(٣) الزهد الكبير للبيهقي (ص ٢٣١).

(٤) حلية الأولياء (٣٣٥ / ٢).

(٥) الزهد لابن أبي الدنيا (ص ٤٦).

(٦) سبق تعريفها (ص ٢٤).

(٧) انظر: (ص ٢٥).

٣١- نظرة حول أثر ممارسة الرياضة

الرياضة بأنواعها عامل ضروري في حياة الإنسان، سواء أكانت رياضة بدنية أو رياضة ذهنية، ونظراً لأهمية هذه الرياضة فقد اعتنت بها الشريعة الإسلامية، ففي مجال العقل والنظر والتدبر آيات كثيرة في القرآن تحث على التعقل والتدبر والتفكير والنظر، وذلك من أجل تحقيق العبادة لله وحده، وفي مجال رياضة البدن والنفس فإن كثيراً من العبادات فيها من الفوائد البدنية والصحية والنفسية.

قال تعالى: ﴿نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ﴾^(١).

قال ابن زيد، سمعته يعني خلاداً، يقول: سمعت أبا سعيد وكان قرأ القرآن على أبي هريرة قال: ما قرأت القرآن إلا على أبي هريرة، هو أقرأني، وقال في هذه الآية (وَشَدَدْنَا أَسْرَهُمْ) قال: هي المفاصل، وقال آخرون: بل هو القوة^(٢).

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: شكا ناسٌ إلى النبي ﷺ المشي فدعا بهم، فقال: "عَلَيْكُمْ بِالنَّسْلَانِ" ^(٣) فَوَجَدْنَاهُ أَحَفَّ عَلَيْنَا ^(٤).

(١) سورة الإنسان: ٢٨.

(٢) تفسير الطبري = جامع البيان، باب القول في تأويل قوله تعالى: (نَحْنُ خَلَقْنَاهُمْ وَشَدَدْنَا) (٥٧٦/٢٣).

(٣) النسلان هو مقارنة الخطو مع الإسراع، غريب الحديث لابن قتيبة (١/٥١٧)، وكذلك قوله تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا فَتَحْتَ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ وَهُمْ مِّنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ﴾ قوله: (ينسلون) يعني أنهم يخرجون مشاة مسرعين في مشيهم، كما قال الشاعر:
عَسَلَانَ الذَّبِّ أَمْسَى قَارِباً بَرَدَ اللَّيْلِ عَلَيْهِ فَنَسَلَ.
ينظر: جامع البيان (١٨/٥٣٢).

(٤) رواه البيهقي في السنن الكبرى برقم ١٠٣٤٦ (٥/٤٢٠)، وقال الألباني في السلسلة

يقول العلامة الشيخ عبد الرحمن السعدي - رحمه الله -: «أما الرياضة البدنية فبتقوية البدن بالحركات المتنوعة وبالمشي وبالركوب وأصناف الحركات المتنوعة، ولكل قوم عادة لا مشاحة في الاصطلاحات فيها إذا لم يكن فيها محذور، وإذا تدبّرت العوائد الشرعية في الحركات البدنية عرفت أنها مغنية عن غيرها، فحركات الطهارة والصلاة والمشي إلى العبادات ومباشرتها، وخصوصاً إذا انضاف إلى ذلك تلذذ العبد بها وحركات الحج والعمرة والجهاد المتنوعة، وحركات التعلم والتعليم والتمرين على الكلام والكتابة وأصناف الصناعات والحرف كلها داخلية في الرياضة البدنية، ويختلف نفع الرياضة البدنية، باختلاف الأبدان قوة وضعفاً ونشاطاً وكسلاً، ومتى تمرن على الرياضة البدنية قويت أعضاؤه واشتدت أعصابه وخفت حركاته وزاد نشاطه واستحدثت قوة إلى قوته يستعين بها على الأعمال النافعة، لأن الرياضة البدنية من باب الوسائل التي تقصد لغيرها لا لنفسها، وأيضاً إذا قويت الأبدان وحركاتها ازداد العقل وقوي الذهن وقلّت الأمراض أو خفّت، وأغنت الرياضة عن كثير من الأدوية التي يحتاجها أو يضطر لها من لا رياضة له.

فعلينا جميعاً بعد كل هذه المعلومات والنصائح الدينية والاجتماعية والنفسية والصحية والرياضية أن نغير أنماط حياتنا وسلوكياتنا اليومية،

ونمارس الرياضة والنشاط البدني.

وهذا لا ينبغي أن تكون الرياضة البدنية هي جُلّ غايته ومقصوده.
وأما رياضة الأذهان فهي الاشتغال بالعلوم النافعة وكثرة التفكير فيها والابتداء فيما يسهل على العبد منها؛ ثم يتدرج به إلى ما فوقه، وتعويد الذهن السكون إلى صحيح العلوم وصادقها، وذوده عن فاسدها وكاذبها وما لا نفع فيه منها، فإن من تعود السكون إلى الصدق والصحيح، والنفور من ضده، فقد سلك بفكره وذهنه المسلك النافع، وليداوم على كثرة التفكير والنظر، كما حثَّ الله على ذلك في كتابه في عدة آيات.
فكثرة تدبُّر كتاب الله وسنة رسوله أفضل الأمور على الإطلاق، ويحصل فيها من تفتيح الأذهان، وتوسع الأفكار والمعارف الصحيحة، والعقول الرجيحة، ما لا يمكن الوصول إليه بدون ذلك، وكذلك التفكير فيما دعا الله عباده إلى التفكير فيه، من السموات والأرض وما أودع فيهما من المخلوقات والمنافع لِيُستدل بها على التوحيد والمعاد والنبوة وبراهين ذلك، وليستخرج منها ما فيها من المنافع النافعة للناس في أمور دينهم ودنياهم، فمن عوّد نفسه ودربها على كثرة التفكير في هذه الأمور وما يتبعها، فلا بد أن تترقى أفكاره وتتسع دائرة عقله وينشحن ذهنه، ومن ترك التفكير جمدت قريحته وكلَّ ذهنه، واستولت عليه الأفكار التي لا تسمن ولا تغني من جوع، بل ضررها أكثر من نفعها^(١).

(١) الرياض الناضرة للعلامة عبدالرحمن بن سعدي، ص ١٧٣، بتصرف.

ولعلي أختتم موضوع ممارسة الرياضة بهذه اللطائف الطبية:

«من أجل القضاء على الاضطرابات النفسية ... الاكتئاب ... القلق
... الخوف ... مارس النشاط الرياضي.

لقد أكدت دراسات وأبحاث قام بها علماء الطب الحديث أن تأثير التمارين والألعاب الرياضية وممارسة أي من الأنشطة البدنية لا يقل بأي حال من تأثير العلاج النفسي وخاصة المشي والجري والهرولة والألعاب وتمارين اللياقة البدنية والحمية مع مراعاة عامل السن وإنما تبذل المجهود خلال الممارسة.

فعند تخصيص عشر دقائق (١٠) من الوقت يومياً للقيام بهذه الأنشطة الرياضية التي تعمل على إفراز أكبر كمية من العرق من الجسم مما يساعد في إزالة أي تأثير للاضطرابات النفسية ويكون له تأثيرات لا تقل أهمية عن العلاجات النفسية المعروفة.

أما السبب في ذلك فيعود إلى أنه في حال تعرض الجسم لأي جهد فإن هذا الجسم يبدأ بإفراز كميات مضاعفة من هرمون أندروفين الذي يسمّى هرمون السعادة، وأيضاً في نفس الوقت فإن هذه التمارين والألعاب تساعد في تنشيط الهرمونات العصبية في الجسم وتزيد من إنتاجها^(١).

(١) مطوية توعوية صادرة من مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض.

٣٢- نظرة حول أثر المعصية

للمعصية أثرها السيئ على الدين والدنيا والأبدان والعقول والمشاعر والأنفس والبلدان، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾^(١).

قال ابن زيد: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ﴾ قال: الذنوب^(٢).
وقد وصف الله ﷻ حال قوم لوط في قوله تعالى ﴿إِنَّهُمْ فِي سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ "والسكرة: ذهاب العقل"^(٣).

وكما قال ابن القيم - رحمه الله -: «الخمير والغناء شقيقان من الرضاعة، فالخمير تذهب العقل، والغناء يذهب القلب»^(٤).

وقال ابن حزم - رحمه الله -: «وقد نص الله تعالى في غير موضع من كتابه: على أن من عصاه لا يعقل؛ قال تعالى حاكيا عن قوم: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^(٥)، ثم قال تعالى مصدقا لهم: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لِأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾^{(٦)(٧)}.

(١) سورة الروم: (آية ٤١).

(٢) التفسير القيم لابن القيم (ص ٣٩١).

(٣) التفسير الوسيط الطنطاوي (٦٦/٨).

(٤) إغاثة اللفهان (ص ٤٣٩) بتصرف واختصار.

(٥) سورة الملك (آية ١٠).

(٦) سورة الملك (آية ١١).

(٧) مداواة النفوس (ص ١٠٦).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا﴾ (١)(٢).

أي: خالف أمري وما أنزلته على رسول أعرض عنه وتناساه، وأخذ من غير هداة، فإن له معيشة ضنكاً أي في الدنيا، فلا طمأنينة له ولا انشراح ل صدره، بل صدره ضيق حرج لضلاله وإن تنعم ظاهره ولبس ما شاء وأكل ما شاء، وسكن ما شاء (٣).

وقال الوزير العباسي بن هبيرة الدوري: (احذروا مصارع العقول عند التهاب الشهوات) (٤).

وقال ابن القيم - رحمه الله -: (لو خرج عقلك من سلطان هواك عادت الدولة له) (٥).

وقال - رحمه الله - في موضع آخر: (الذنوب جراحات ورب جرح وقع في مقتل) (٦).

هذا وأن الإنسان ليستغرب من بعض حالات الانتحار وكيف الإنسان يهلك نفسه بمحض إرادته والله عز وجل قد أودع في الناس العقل وحب الحياة، لكنه لما ضعف اليقين بالله، وضاعت عليه الأرض بما رحبت، أقدم على

(١) سورة طه (آية ١٢٤).

(٢) سورة طه (آية ١٢٤).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٢٢).

(٤) ذيل طبقات الحنابلة (١/ ٢٧٥).

(٥) الفوائد (ص ٥٤).

(٦) المرجع السابق.

هذا العمل، قال تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ بِهِ وَإِنْ أَصَابَهُ فِتْنَةٌ أُنْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ خَسِرَ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ﴾^(١).

وعلى هذا يدرك المسلم الفرق العظيم بين شؤم المعصية وبركة الطاعة، نسأل الله السلامة.

قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُم كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً نَّجْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾^(٢)، وفي هذا المعنى يقول الإمام ابن القيم: «ولو فتش العاصي عن قلبه لوجده حشوه المخاوف والانزعاج والقلق والاضطراب»^(٣).

قال تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينٌ﴾^(٤).

قال السعدي رحمه الله: «من أعمال السوء وأفعال الشر (رهينة) بها موثوقة بسعيها، قد ألزم عنقها، وغلّ في رقبتها، واستوجب به العذاب»^(٥).

وقال تعالى: ﴿كُلُّ أَمْرٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٦).

وربنا عز وجل لا يظلم أحداً فالجزاء من جنس العمل قال تعالى:

(١) سورة الحج، (آية ١١).

(٢) سورة الجاثية: (آية ٢١).

(٣) الروح ص ٢٧٢.

(٤) سورة المدثر، الآية: ٣٨.

(٥) تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٨٧٩).

(٦) سورة الطور، الآية: ٢١.

﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ﴾^(١)، وفي المقابل قوله تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾^(٢)، وقال تعالى: ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ﴾^(٣).

وشتان بين حياة المؤمن وحياة الكافر، قال تعالى: ﴿أَوْ مَن كَانَ مِثْلًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾^(٤).

(فجمع له بين النور والحياة كما جمع لمن أعرض عن كتابه بين الموت والظلمة. قال ابن عباس وجميع المفسرين: كان كافراً ضالاً فهديناه)^(٥).

وقال تعالى: ﴿أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ﴾^(٦).

فكلما انغمس العبد في المعاصي كلما زادته بعداً عن طاعة الله عز وجل قال تعالى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾^(٧).

كما أن للمعصية أثراً على القلب قال تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾^(٨).

(١) سورة البقرة: (آية ١٥٢).

(٢) سورة التوبة: (آية ٦٧).

(٣) سورة الحشر: (آية ١٩).

(٤) سورة الأنعام: (آية ١٢٢).

(٥) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٢٨٤).

(٦) سورة السجدة: (آية ١٨).

(٧) سورة الصف: (آية ٥).

(٨) سورة المطففين: (آية ١٤).

قال مجاهد: العبد يعمل بالذنوب فتحيط بالقلب، ثم ترتفع، حتى تغشى القلب^(١).

وقال تعالى: ﴿إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾^(٢).

وقال تعالى: ﴿أَسْتَحْذِرُ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانَ فَأَنسَهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾^(٤).

وَلَا يَنْفَعُهُمْ لِيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ^(٥).

وقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۖ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾^(٦).

قال ابن القيم - رحمه الله -: (قد أفلح من كبرها و أعلاها بطاعة الله، وأظهرها وقد خاب وخسر من أخفأها، وحقرها وصغرها بمعصية الله. وأصل التدسية: الإخفاء).

ومنه قوله تعالى: ﴿أَمْرٌ يُدْسِيهِ فِي التُّرَابِ﴾؛ فالعاصي يدس نفسه بالمعصية، ويخفي مكانها ويتوارى من الخلق من سوء ما يأتي به، قد انقمع عند نفسه وانقمع عند الله وانقمع عند الخلق.

فالتدسية والبر تكبر النفس وتُعزّها وتُعْلِيها، حتى تصير أشرف شيء وأكبره، وأعلاه وأزكاه ومع ذلك فهي أذل شيء وأحقّره وأصغره لله تعالى. وبهذا

(١) تفسير الطبري، جامع البيان، ت شاكر: (٢٤ / ٢٨٧).

(٢) سورة الإسراء: (آية ٣٦).

(٣) سورة المجادلة: (آية ١٩).

(٤) سورة الزخرف: (الآيتان ٣٦-٣٧).

(٥) سورة الشمس: (الآيتان ٩-١٠).

الذل لله حصل لها العزّ والشرف والنمو، فما صغر النفس مثل معصية الله، وما كبرها وشرفها ورفعها مثل طاعة الله .

وقال رحمه الله في موضع آخر: في النفس كبر إبليس، وحسد قابيل، وعتو عاد، وطغيان ثمود، وجرأة نمرود، واستطالة فرعون، وبغي قارون، وقحة هامان، وهوى بلعام، وحيل أصحاب السبت، وتمرد الوليد، وجهل أبي جهل.

وفيها من أخلاق البهائم حرص الغراب، وشره الكلب، ورعونة الطاووس، ودناءة الجعل، وعقوق الضب، وحقد الجمل، ووثوب الفهد، وصوله الأسد، وفسق الفأرة، وخُبث الحية، وعبث القرد، وجمع النملة، ومكر الثعلب، وخفة الفراش، ونوم الضبع، غير أن الرياضة والمجاهدة تذهب ذلك.

فمن استرسل مع طبعه فهو من هذا الجند، ولا تصلح سلعته لعقد ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنْ لَهُمُ الْجَنَّةُ﴾^(١)؛ فما اشترى إلا سلعة هذبا بالإيمان^(٢).

قال الشيخ محمد حامد الفقي - رحمه الله -: (تزكية النفس إنما تكون بالإيمان بآيات الله الشرعية وسننه الكونية وآياته العلمية التي وصفها في قوله: ﴿سَتْرِيَهُمْ إِيْنَتَنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾)^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَمَا أَصْبَحْكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ

(١) سورة التوبة، الآية (١١١).

(٢) الفوائد لابن القيم (ص ١٠٦-١٠٧).

(٣) التفسير القيم، لابن القيم: (ص ٤٩٣).

كثير ﴿١﴾.

وقال تعالى: ﴿وَلَنَذِيقَنَّهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَى دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ

يَرْجِعُونَ ﴿٢﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما: يعني بالعذاب الأدنى مصائب الدنيا وأسقامها وآفاتهما، وما يحل بأهلها مما يتلى الله به عباده ليتوبوا إليه ^(٣).

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْفَوْنا أَنْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤﴾. آسفونا: أغضبونا ^(٥).

قال شيخ الإسلام - رحمه الله -: (كان في كلام الشيوخ: الناس يطلبون العز بأبواب الملوك ولا يجدونه إلا في طاعة الله، وكان الحسن البصري رحمه الله، يقول: وإن هملجت ^(٦) بهم البراذين ^(٧)، وطقطقت بهم ذُلُّ البغال، فإن ذل المعصية في رقابهم، أبى الله إلا يذل من عصاه، ومن أطاع الله فقد والاه فيما أطاعه فيه، ومن عصاه ففيه قسط من فعل عاداه بمعاصيه، وفي دعاء القنوت (إنه لا يذل من واليت ولا يعز من عاديت) ^(٨).

(١) سورة الشورى: (آية ٣٠).

(٢) سورة السجدة: (آية ٢١).

(٣) تفسير ابن كثير (٥/ ٣٦٩).

(٤) سورة الزخرف: (آية ٥٥).

(٥) تفسير الطبري، جامع البيان، ط هجر (٢٠ / ٦١٧).

(٦) هملج: مشى مشية سهلة في سرعة، حسن سير الدابة.

(٧) البرذون: دابة معروفة.

(٨) مجموعة الفتاوى (٨ / ٢٤٧)، أخرجه البيهقي في السنن (٢ / ٢٠٩)، وأخرجه أبو داود في الوتر

(١٤٢٥) والترمذي في الصلاة (٤٦٤) كلاهما دون قوله: (ولا يعز من عاديت)، وصححه

ومن أنجع الأدوية لأصحاب المعاصي نصيحتهم بضرب الأمثال، فإن ضرب الأمثال منهج شرعي، وفي نصوص الكتاب العزيز والسنة أمثال كثيرة جداً، وهو منهج دعوي للإنسان حتى يتصور ويتخيل مآله وحاله، سواء أكان عند الموت وحضور الأجل، قال تعالى: ﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلُقُومَ ﴿٨٣﴾ وَأَنْتُمْ حِينِيذٍ تَنْظُرُونَ ﴿٨٤﴾ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْكُمْ وَلَكِنْ لَا بُدَّ مِنْكُمْ ﴿٨٥﴾﴾^(١) وخروج النفس من البدن، قال تعالى: ﴿حَقَّ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿٢﴾﴾.

أو في مواقف القيامة ومشاهدها، قال تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الْمُجْرِمُونَ ﴿١﴾ نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ ﴿٢﴾ وَأَهْوَاهَا، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَحْشُرُ الْمُتَّقِينَ إِلَى الرَّحْمَنِ وَفْدًا ﴿٨٥﴾ وَتَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ إِلَىٰ جَهَنَّمَ وَرْدًا ﴿٨٦﴾﴾^(٤). وقال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ كَأَن لَّمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِّنَ النَّهَارِ يَتَعَارَفُونَ بَيْنَهُمْ قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِقَوْلِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ ﴿٥﴾﴾^(٥). أو في النار وسعيرها، قال تعالى: ﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَلْتَنَتْنَا أَطْعَمْنَا

الألباني في إرواء الغليل، ٤٢٩.

(١) سورة الواقعة، آية: ٨٣، ٨٥.

(٢) سورة المؤمنون، آية: ٩٩.

(٣) سورة السجدة، آية: ١٢.

(٤) سورة مريم، آية: ٨٥، ٨٦.

(٥) سورة يونس، آية: ٤٥.

اللَّهُ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿١﴾، وقال تعالى: ﴿وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ ﴿٢﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ شَقُوا فِي النَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ﴿١٠٦﴾ خَلِدُوا فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِمَا يُرِيدُ ﴿١٠٧﴾﴾.

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ ﴿٣﴾﴾.

وقال تعالى على لسان الكافر: ﴿رَبِّ ارْجِعُونِ ﴿١١﴾ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ ﴿٤﴾﴾ وقال تعالى: ﴿يَوْمَ نُقَلِّبُ وُجُوهَهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ بَلَّيْتُنَا أطَعْنَا اللَّهَ وَأَطَعْنَا الرَّسُولَ ﴿٥﴾﴾.

أو في الجنة ونعيمها للمؤمنين مشاهد، قال تعالى: ﴿وَأَمَّا الَّذِينَ سَعِدُوا ففِي الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ عَطَاءٌ غَيْرَ مَجْدُوزٍ ﴿٦﴾﴾. وقال تعالى: ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ ﴿٢٣﴾ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى

(١) سورة الأحزاب، آية: ٦٦.

(٢) سورة فاطر، آية: ٣٧.

(٣) سورة الملك: (آية ١٠).

(٤) سورة المؤمنون: ٩٩ - ١٠٠.

(٥) سورة الأحزاب: ٦٦.

(٦) سورة هود الآيات: ١٠٨.

الدَّارِ ﴿١﴾.

والقرآن الكريم يصوّرُها ويعرضها للإنسان في هذه الحياة وكأنه يراها رأي العين، وفي الحديث القدسي يقول الله تعالى: «أنا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء»^(٢).

وأعتقد أنه ليس من المناسب، بل ولا يجوز تأنيب المريض النفسي عن أثر المعاصي كما يجتهد أهله أو بعض الرقاة في المناصحة في أثناء الرقية خصوصاً في الحالات النفسية المتقدمة ومنها الاكتئاب، فالمناصحة التي في غير وقتها ربما تتحوّل إلى تثريب بالنسبة للمريض يُثير القلق، فيخالط العقل، ويزيد من حِدّة الاكتئاب.

قال ابن القيم -رحمه الله-: (النصيحة إحسان إلى من تنصحه بصورة الرحمة له والشفقة عليه، والغيرة له وعليه، فهو إحسان محض يصدر عن رحمة ورقة، ومراد الناصح بها وجه الله ورضاه والإحسان إلى خلقه، فيتلطف في بذلها غاية التلطف، ويتحمل أذى المنصوح ولائتمه ويعامله معاملة الطبيب العالم المشفق للمريض المشبع مرضاً وهو يتحمل سوء خلقه وشراسته ونفرتة، ويتلطف في وصول الدواء إليه بكل ممكن، فهذا

(١) سورة الرعد: ٢٣-٢٤.

(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده، من حديث وائلة رقم ١٦٠١٦، ٣٩٨/٢٥، وصححه الألباني، صحيح الجامع رقم ٤٣١٦..

شأن الناصح^(١).

وكما قيل: بدلاً من أن تشير إلى الظلام أشعل شمعة .

فالمريض بمثابة الجريح الذي ينزف دماً نتيجة حادث مروري، فينبغي على المُسعف في مثل هذه الظروف، نقل المصاب على الفور إلى أقرب مستشفى في الحال، بدلاً من معاتبة المصاب التي لا تجدي على تهوُّره في القيادة، فالحدث بالنسبة للمصاب في حد ذاته كفيل على أن يرتدع عن أي مخالفة مرورية مرة أخرى.

فالتصرف السليم مع المريض هو معاملته بالتّي هي أحسن فعبارة المريض بإصابته بالمرض أبلغ من مناصحته عن التفريط فربما يحتاج إلى من يأخذ بيده ويرشده إلى كيفية التعامل مع معاناته وكيفية تجاوز ما قد يعيد عافيته لكي تطمئن نفسه لمقاومة الاكتئاب ويتعرّف على طبيعة مرضه إلى جانب الرقية، ويُحثّ على دوام الصلّة بالله عز وجل من خلال الصلوات والأدعية والأوراد والأذكار وقراءة القرآن؛ لأن من لازمها نهته عن الفحشاء والمنكر قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ﴾^(٢).



(١) الروح: (ص ٣٢٠).

(٢) سورة العنكبوت: (آية ٤٥).

٣٣- نظرة حول أثر جليس السوء

الإنسان اجتماعي بطبعه ولا يمكن أن يعيش وحده فلا بد له من جليس وأنيس.

والإنسان بطبعه يتأثر ويؤثر بعادات وأخلاق جليسه فالمجالسة لها أثر واضح في عقول الناس، وسلوكهم، وطباعهم، ومعاملاتهم، وعقائدهم وأعمالهم، فهي سبب رئيسي في شقاء الناس أو سعادتهم في الدنيا والآخرة.

سواء كانوا زملاء في العمل، أو في المدارس والمجالس، أو في الأحياء أو في الاستراحات وما أكثرها اليوم.

والنصوص من كتاب الله العظيم وسنة رسوله الكريم، عليه أفضل الصلاة والتسليم متوافرة في الحث على مجالسة أهل الخير، والابتعاد والتحذير من جلساء السوء، وسوء عاقبتهم في الآخرة.

قال الله سبحانه في وصف حالهم في مواقف القيامة: ﴿الْأَخِلَاءُ

يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ فهو لاء الأشرار بلاء وشر في

الدنيا وفي الآخرة، فكم جليس أصبح رهين السجون، وكم جليس أودع في المصححات النفسية على أثر تعاطي المخدرات.

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «عليك بإخوان الصدق فعش في اكنافهم

فإنهم زينة في الرخاء وعدة في البلاء» (١).

ووصف الله عز وجل أصحاب الجنة في قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ

إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَهْلَكَ لِمَنِ الْمَصِيرُ ﴿٥٢﴾ أَهَذَا مِنَّا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظْلًا أَهَذَا لَمَدِينُونَ ﴿٥٣﴾ قَالَ هَلْ أَنْتُمْ مُّظْلِمُونَ ﴿٥٤﴾ فَأُطْلِعَ فَرَّاهُ فِي سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدْتَ لَتَزِدِينَ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنْتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَنَا الْأُولَى وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ ﴿٥٩﴾ إِنَّ هَذَا هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾﴾ (٢).

ومع هذا فالمؤمن لا يصيبه يأس ولا قنوط مهما فعل من المعاصي فعليه الندم وتجديد التوبة مع الله فهو الذي يقبل التوبة عن عباده ويعفو عن السيئات.

وعليه ألا ينقاد إلى مكامن الداء ومجالس السوء وصحبة الأشرار والله سبحانه وتعالى يناديه فاتحاً له باب التوبة: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ (٣).

وعليه أن يأخذ بوصية رسول الله ﷺ في الحث على مجالسة الصالحين والابتعاد عن مجالسة الأشرار قال ﷺ: «مثل المجلس الصالح والمجلس السوء كحامل المسك ونافخ الكير فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحاً طيباً، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما

(١) روضة العقلاء (ص ٩٠).

(٢) سورة الصافات، الآية: ٥١ - ٦٠.

(٣) سورة الزمر: ٥٣.

أن تجد منه ريحاً خبيثة» الحديث متفق عليه ^{(١)(٢)}.

وكان قتادة - رحمه الله - إذا قرأ: ﴿فَمَالَتَا مِنْ شَفِيعِينَ ﴿٣٠﴾ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ﴾ قال: يعلمون والله أن الصديق إذا كان صالحاً نفع، وأن الحميم إذا كان صالحاً شفع ^(٣).

وفي القرآن الكريم تصوير واضح للتحذير من جليس السوء وعاقبته في الآخرة، قال تعالى: ﴿وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُ عَلَى يَدَيْهِ يَقُولُ يَلَيِّنَنِي أَنْتُمْ مَعَ الرُّسُولِ سَيِّئًا ﴿٣٧﴾ يَتَوَلَّى لَيِّنِي لَمْ أَخِذْ فَلَانًا خَلِيلًا ﴿٣٨﴾ لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنْسَانِ خَذُولًا ﴿٤٠﴾﴾ ^(٤).

وختاماً: إذا كان الحديث هنا عن جليس السوء وأضراره، فماذا اليوم عن القنوات الفضائية وبعض وسائل التواصل الاجتماعي والأجهزة الذكية وسائر هذه الصناعات التي خرجت للناس براً وبحراً وجواً في جميع أنحاء الدنيا.

فمثلاً جهاز صغير بقدر كف اليد يديره الإنسان بينانه باللمس الخفيف وهو في يد الصغير والكبير، والذكر والأنثى، يتنقل به بين دول العالم وقاراته، وقد يدخل به مواقع المتنديات المشبوهة، بل المحظورة شرعاً، وهو جالس وحده أو مع غيره يعرض فيه كل شيء موجود في الدنيا.

(١) أخرجه البخاري، باب: المسك، رقم ٥٥٣٤، ٢٩٦/٧، ومسلم، باب: استحباب مجالسة الصالحين ومجانبة قرناء السوء، رقم ٢٦٢٨، ٢٠٢٦/٤.

(٢) وللمزيد الجليس الصالح والجليس السوء، لعبد العزيز ناصر العبد الله، وهو مفيد في هذا الباب.

(٣) تفسير الطبري (١٩/٣٦٩).

(٤) سورة الفرقان، الآية: ٢٧ - ٢٩.

فإن استعمله الإنسان فيما يعود عليه بالخير والنفع في دينه ودنياه ولاخوانه المسلمين، وفي الدعوة ونشر الخير، فهنيئاً له فهذا على نور من ربه، ويسير على صراط مستقيم، أما من استعملها في غير ذلك مما لا يعود عليه بالنفع الديني والدنيوي فهذا والله هو الهلاك والخسارة، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وهذا من الابتلاء والامتحان في هذه الحياة الدنيا، يقول تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَبِئْسَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ يَشَاءُ مِنَ الْعَبِيدِ أَنْ يَقُولُوا رَبِّهِمْ لَعَلَّكَ اللَّهُ مِّنْ خَافَتُهُ بِالْغَيْبِ ۚ فَمَنۢ عَلَّزَٰهُۥٓ أَفۢفَدَٰى بِذٰلِكَ فَلَهُۥٓ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝﴾^(١).

قال ابن القيم - رحمه الله -: «فأما ما تُؤثره كثرة الخلطة: فامتلاء القلب من دخان أنفاس بني آدم حتى يسودّ، ويوجب له تشتتاً وتفرقاً وهماً وغماً وضعفاً، وحماً لما يعجز عن حمله من مؤنة قراء السوء، وإضاعة مصالحه، والاشتغال عنها بهم وبأمورهم، وتقسّم فكره في أودية مطالبهم وإراداتهم فماذا يبقى منه لله والدار الآخرة؟

هذا وكم جلبت خلطة قراء السوء من نقمة ودفعت من نعمة؟ وأنزلت من محنة وعطّلت من منحة، وأحلت من رزية وأوقعت في بليّة؟ وهل آفة الناس إلا الناس؟ وهل كان على أبي طالب - عند الوفاة - أضر من قراء السوء؟ لم يزالوا به حتى حالوا بينه وبين كلمة واحدة توجب له سعادة الأبد^(٢).



(١) سورة المائدة: ٩٤.

(٢) مدارج السالكين، ص ٢٨٢.

٣٤- نظرة حول أثر الأسرة:

الأسرة هي نواة المجتمع، وأساسها الاختيار الأمثل للزوجين، قال تعالى: ﴿وَالطَّيِّبَاتُ لِلطَّيِّبِينَ وَالطَّيِّبُونَ لِلطَّيِّبَاتِ﴾^(١) ومنها ينشأ الأولاد بتوفيق الله.

والشريعة الإسلامية عيّنت بنظام الأسرة الصغيرة منذ بداية نشأتها، كما جاء عن النبي ﷺ في اختيار الزوجة المثلى، «فاظفر بذات الدين تربت يداك»^(٢)، وما ذاك إلا لأن الأسرة لها تأثير على سلوك الأولاد، سواء أكان في ديانتهم، أو عقيدتهم، كما قال ﷺ: «مَا مِنْ مَوْلُودٍ إِلَّا يُولَدُ عَلَى الْفِطْرَةِ، فَأَبَوَاهُ يَهُودَانِهِ أَوْ نَصْرَانِهِ، أَوْ يَمَجَّسَانِهِ»^(٣)، أو على سلوكهم وأخلاقهم وطباعهم كما قال أبو العلاء المعري:

وينشأ ناشئ الفتيان منا على ما كان عودده أبوه

وقال الشاعر حافظ إبراهيم:

الأم مدرسة إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

وجاء عنه ﷺ: «...وَالرَّجُلُ رَاعٍ فِي أَهْلِهِ وَهُوَ مَسْئُولٌ عَنْ رَعِيَّتِهِ، وَالْمَرْأَةُ

(١) سورة النور: ٢٦.

(٢) رواه البخاري في صحيحه، باب الأكفاء في الدين برقم (٥٠٩٠) ٧/٧، ومسلم، باب استحباب نكاح ذات الدين برقم (١٤٦٦) ٢/١٠٨٦.

(٣) رواه البخاري في صحيحه، باب إذا أسلم الصبي فمات، هل يصلى عليه، وهل يعرض على الصبي الإسلام؟ برقم (١٣٥٨) ٢/٩٤، ومسلم، باب معنى كل مولود يولد على الفطرة وحكم موت أطفال الكفار وأطفال المسلمين برقم (٢٦٥٨) ٤/٢٠٤٧.

رَاعِيَةً فِي بَيْتِ زَوْجِهَا وَمَسْئُولَةً عَنْ رَعِيَّتِهَا...»^(١).

ومن عناية الشريعة أن الولد إذا بلغ سبع سنين يؤمر بالصلاة، وإذا بلغ عشر سنين يضرب على تركها، وإذا تعود الولد على الصلاة في صغره سهلت عليه المحافظة عليها في كبره، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ﴾^(٢)، وكذلك يلزم الوالدين زرع الصفات الحميدة، وقبل ذلك وبعده فعلى المسلم الالتجاء إلى الله بالدعاء بصدق وعزيمة، قال تعالى: ﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾^(٣). ولا شك أن صلاح الوالدين واستقامتهما سبب من أسباب التوفيق، قال تعالى: ﴿وَكَانَ أَبُوهُمَا صَالِحًا﴾^(٤). فعند ذلك - وبتوفيق الله - تحصل الطمأنينة النفسية، وتنشأ أسرة مطمئنة، عاقبتها قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ﴾^(٥).



(١) رواه البخاري في صحيحه، باب الجمعة في القرى والمدن برقم (٨٩٣) ٢ / ٥.

(٢) سورة العنكبوت: ٤٥.

(٣) سورة الفرقان: ٧٤.

(٤) سورة الكهف: ٨٢.

(٥) سورة الطور: ٢١.

كيف نتخلص من القلق؟

انتقيت بحثاً مفيداً ممتعاً ومعالجاً للقلق: للشيخ / زيد بن عبد العزيز
الفياض - رحمه الله - ما نصه:

«والحقيقة أن الدين هو أعظم علاج للقلق وأقوى سبب للنجاة منه، ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ﴾ [الرعد: ٢٨]، إن الدين المتمكن من النفس يبعث على الرضى بالقضاء ويشير في النفس الطمأنينة والسكينة، ويقوي الإيمان الذي يغرس التوكل على الله، وأن ما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، وأن ما أصاب العبد لم يكن ليخطئه، وما أخطأه لم يكن ليصيبه، وأن هذه الدنيا ما هي إلا مزرعة للآخرة ووسيلة إلى عمل الخير والتزود بالتقوى ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم.

والصلاة التي هي إحدى ثمرات الدين والإيمان من أعظم الأسباب في سكينة القلب وراحة البال، ولذلك يقول النبي ﷺ: «يا بلال أقم الصلاة أرحنا بها»^(١)، وفي القرآن الكريم: ﴿وَأَسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلَّا عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]، وفي آية أخرى: ﴿يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾ [البقرة: ١٥٣]، وقراءة القرآن بخشوع وتفكير من عجائب ما يُطمئن النفس، ويُسكن الروح، ويملاً المؤمن ثقة بالله

(١) أخرجه أبو داود رقم ٤٩٨٥، وصححه الألباني، صحيح الجامع رقم ٧٨٩٢.

واستسهالاً بالمصاعب حتى تتضائل عن ما هي عليه حتى لكأنها أشياء هينة سهلة، قال تعالى: ﴿مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى﴾^(١).

إن إعراض كثيرين من الناس عن تلاوة القرآن وعن الصلاة واشتغالهم بمطالعة كتب التشكيك والإلحاد، وضعف الإيمان في نفوسهم، وقلة التوكل على الله هي التي تجعل القلق يتمكن من ضحاياه حتى لتُظلم الدنيا في وجوههم، وإن كانوا أصحاب أغنياء، لهم الجاه العريض، والمكانة المرموقة، ومهما بحثوا عن العلاج من غير هذا الطرق - طريق الإيمان والدين - فسوف يرجعون بخفي حنين، فليوفروا على أنفسهم عناء البحث العقيم، وليجربوا هذه الوصفة - التي تحدثنا عنها - وأنهم لواجدون بهذه الوصفة - بإذن الله - ما يصبون إليه من هدوء وأمن واستقرار بال.

قال الحسن البصري - رحمه الله -: «نزل القرآن ليتدبر ويعمل به، فاتخذوا تلاوته عملاً، فليس شيء أنفع للعبد في معاشه ومعاده، وأقرب إلى نجاته من تدبر القرآن، وإطالة التأمل فيه، وجمع الفكر على معاني آياته... تعطيه قوة في قلبه، وحياة وسعة وانشراحاً وبهجة وسروراً، فيصير في شأن والناس في شأن آخر»^(٢).

ويقول الشيخ زيد الفياض - رحمه الله -: وقد قرأت في كتاب يبحث في

(١) سورة طه: ٢.

(٢) مدارج السالكين ص (٢٧٩ - ٢٨٠).

علم النفس عنوانه (حقيقة النفس وأمراضها) هذه الجملة، ورأيت أن أنقلها للقراء لفائدتها واتفاقها مع ما جاءت به الشريعة الإسلامية.

يقول مؤلف الكتاب في صدد علاج مرض الحرمان: «بالنسبة للبالغين يكون علاج المرض بعقيدة يؤمن بها الشخص، وهي أن الناس مهما بلغوا من ثراء أو جاه فإنهم لا ينفعون ولا يضررون، وما كتب للإنسان من رزق فلا بد أن يوفي عدد أيامه. ولينظر الإنسان إلى من هو دونه عندما تحيب له ثورة شهوة ويضع نصب عينيه مستقبلاً سعيداً ينتظره، ويحاول جاهداً أن يكون من أهل الطموح، فالشخص الذي لا يعبأ بك في فترة من الفترات تستطيع أن تجعله يصفق لك إعجاباً وتقديراً في وقت لاحق. فالأيام تمر وحاول أن تتقدم في كل يوم^(١): إن كنت طالباً فضع نصب عينيك أن تكون من الأوائل، وإن كنت موظفاً فبجانب عملك الذي تؤديه بإخلاص اجتهد أن تخترع، أو تكتب أو تصنع شيئاً يرفع من قدرك ولو في محيط مجتمعك الصغير (الحي) الذي تعيش في وسطه».

(١) قلت: وكذلك على المؤمن أن يتزود من الأعمال الصالحة في كل يوم، كما قال تعالى: ﴿لِمَن شَاءَ مِنكُمْ أَن يَتَقَدَّمَ أَوْ يَتَأَخَّرَ﴾ [المدثر: ٣٧] قال السعدي رحمه الله في تفسيره: «فمن شاء منكم أن يتقدم فيفعل بما يقربه من ربه، ويؤدنيه من رضاه، ويذلفه من كرامته، أو يتأخر (عما خلق له و) عما يحبه الله (ويرضاه) فيعمل بالمعاصي ويتقرب إلى نار جهنم كما قال تعالى: ﴿وَقُلْ لِّلَّذِينَ آمَنُوا مِن رَّبِّهِمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [الكهف: ٢٩]» تيسير الكريم الرحمن (٦/ ٨٩٧).

فما أحوج أهل هذا العصر القلق المضطرب إلى التداوي بأمثال هذه الأدوية الناجعة، فهل يوفقون لها؟! ليستريحوا من عناء القلق وتشتت الخواطر وتراكم الهموم» ا.هـ^(١).

هذا وقد وصف الإمام ابن القيم -رحمه الله- المراحل التي يتدرّج بها القلق إلى نفس الإنسان شيئاً فشيئاً فيقول: «اعلم أن الخطرات والوساوس تؤدي متعلقاتها إلى الفكر، فيأخذها الفكر فيؤدّيها إلى التذكّر، فيأخذها التذكّر فيؤدّيها إلى الإرادة، فتأخذها الإرادة فتؤدّيها إلى الجوارح والعمل، فتستحكم، فتصير عادةً، فردّها من مبادئها أسهل من قطعها بعد قوّتها وتماها.

فإذا دفعت الخاطر الوراد عليك؛ اندفع عنك ما بعده، وإن قبلته صار فكراً جوّالاً؛ فاستخدم الإرادة، فتساعدت هي والفكر على استخدام الجوارح، فإن تعذّر استخدامها رجعا إلى القلب بالمنى والشهوة وتوجّهه إلى جهة المراد.

ومن المعلوم أن إصلاح الخواطر أسهل من إصلاح الأفكار، وإصلاح الأفكار أسهل من إصلاح الإرادات، وإصلاح الإرادات أسهل من تدارك فساد العمل، وتداركه أسهل من قطع العوائد.

فأنفع الدواء: أن تشغل نفسك فيما يعينك دون ما لا يعينك، فالفكر فيما

(١) في سبيل الإسلام، للشيخ زيد الفياض (ص ٢٤٩)، بتصرف.

لا يعني باب كل شرٍّ، ومن فكر فيما لا يعنيه فاته ما يعنيه، واشتغل عن أنفع الأشياء له بما لا منفعة له فيه.

فالفكر والخواطر والإرادة والهمة أحقُّ شيء بإصلاحه من نفسك، فإن هذه خاصّتك، وحقيقتك التي تتعدّها أو تقرّب من إلهك ومعبودك الذي لا سعادة لك إلا في قربهِ ورضاه عنك، وكل الشقاء في بُعدك عنه وسخطه عليك.

ومن كان في خواطره ومجالات فكره دنيئاً خسيساً لم يكن في سائر أمره إلا كذلك.

وإياك أن تُمكن الشيطان من بيت أفكارك وإرادتك؛ فإنه يُفسدها عليك فساداً يصعبُ تداركه، ويُلقي إليك أنواع الوسوس والأفكار والمضرة، ويحوّل بينك وبين الفكر فيما ينفعك، وأنت الذي أعتته على نفسك بتمكينه من قلبك وخواطرك؛ فتملّكها عليك»^(١).



(١) الفوائد، للإمام ابن القيم ص (٢٢٥ - ٢٢٨) بتصرف.

رسالة من مريض

نصها: (شكراً لأصحاب الصراحة مهما كانت مؤلمة)

كم رفعت هذه الرسالة من معنوياتي لما كاد اليأس أن يدب في نفسي نظير عدم اقتناع بعض المراجعين في المقرأة الذين يعانون من اضطرابات نفسية ضرورة مراجعة الطبيب النفسي لأخذ العلاج المناسب قبل تدهور الحالة.

وكما قيل «إن بالإمكان هدم مبانٍ شاهقة لكن من الصعب هدم قناعات».

صاحب هذه الرسالة ربط إصابته بالعين مع إصابته بجلطة في القلب بعدما كادت تودي بحياته لولا أن الله - عز وجل - لطف به؛ فأصرّ على الاستمرار بالرقية فقط بعدما حاولت إقناعه (بأن القشة هي التي قصمت ظهر البعير)^(١)، بمعنى أن هذه الإصابة سببها ضغوط نفسية متراكمة بعدما ظهر لي من خلال الحوار معه بأنه يعاني من قلق مزمن؛ فما كان منه في الجلسة الأخرى إلا أن أتى بعينات من الأدوية التي كان يتناولها ومن بينها علاج منوّم صرفه له طبيب القلب لشدة ما يعاني من الأرق .

ثم طلب منّي استشارة نفسية فالتقيت في اليوم التالي في أثناء الدوام

(١) هذا مثل يشير إلى حدث صغير يحدث أثراً كبيراً (معنوياً عادةً) ليس بذاته فقط بل لأنه جاء بعد تراكم كثير من الأحداث. كالبعير الذي يُحمّل الأحمال الثقالة حتى لم يعد يحتمل شيئاً آخر، ثم تضع فوقه حملاً صغيراً (كالقشة مثلاً) فينقسم ظهره، ظاهرياً بسبب القشة، ولكن حقيقةً بسبب عدم مقدرته على حمل كل الأحمال السابقة. (المصدر: الشبكة العنكبوتية).

بأحد الإخوة من الأطباء النفسيين أثابه الله وأخبرته بما حصل وعرضت عليه الأدوية.

فقال: إن هذا الدواء المنوم الذي من بينها عليه اعتماد (بمعنى أنه يسبب إدمان) ولا يفي بالغرض المطلوب، فلا بد من متابعة الطبيب النفسي لصرف مضادات الاكتئاب المناسبة لمعالجة السبب الرئيس (القلق) حتى تستقر حالته ومن ثم تختفي هذه الأعراض ومن أهمها الأرق بإذن الله.

فنقلت له استشارة الطبيب مع الإشادة بالمبادرة عاجلاً للوقاية بإذن الله من إصابة مماثلة، وما هي الا بضعة أشهر فإذا به يرسل هذه الرسالة القيّمة.

حينها أيقنت بصعوبة استيعاب خبر إحالتي لبعض المراجعين في المقرأة إلى الطبيب النفسي مهما انتقيت أرقى العبارات، واكتشفت أن هذا هو سر اصطدامي مع بعضهم حينما يتهمّ عليّ أحدهم قائلاً: (أنا لست بمجنون أو مجنونه ونحوها) خصوصاً من بعض النساء حينما تحوّل مشاكلها الاجتماعية مع زوجها على إثر معاناتها النفسية المتقدمة إلى عين أو سحر.

وربما أخذتها عزة النفس بالإثم في رفضها للعلاج؛ فقد يؤدي هذا إلى تصاعد الخلافات الأسرية، فقد تصبح حياة زوجها معها صعبة، والعكس صحيح بالنسبة للزوج حينما يعاني من اضطرابات نفسية متقدمة، فربما تكون حياة زوجته معه صعبة.

وأعتقد أن المسؤولية بالدرجة الأولى تقع على الأسرة؛ لأن المريض قد

يكون غير مستبصر، وفي هذه الحالة فهو ليس مسؤولاً عن تصرفاته فيجب على الأسرة في مثل هذه الحالات النفسية المتقدمة إرغام المريض بشتى الطرق على مراجعة الطبيب النفسي وأخذ العلاج المناسب.

فقد يقول قائل: لماذا هذا التشاؤم، الذي تناقض مع إشراقة الأمل التي ذكرتها في مقدمة الكتاب؟

الجواب: الجمع بين العلاج بالقرآن والعلاج النفسي إشراقة أمل. كما أنني لم أتطرق إلى ذكر محاولة بعض المرضى النفسيين للانتحار والعنف! ولكني لا أنسى أبداً هذه العبارة التي خرجت من القلب لأحد المراجعين في المقراءة (لا تتركني ... أطفالي في ذمتك) فربما تكالبت عليه الهموم والأحزان والوساوس والأفكار الانتحارية^(١) - والعياذ بالله - من شدة ما يعاني من الاكتئاب، فاجتهد في دفعها بمفرده، وأخذت مقاومتها جُل وقته حتى اجهدته، وسيطرت على عقله، فاستسلم للوحدة وعدم الرغبة في مخالطة الناس حتى آل به الانطواء إلى ترك الوظيفة.

فأخذت بيده وذكرته بالله وتلوت عليه شيئاً من القرآن كقوله تعالى:

﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٢﴾ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿١٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا يَبْدِيلُ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٤﴾ وَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ

(١) سبق ذكره ص ٩٤.

جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿[يونس: ٦٢-٦٥]؛ فهدأ روعه، ونصحته بمراجعة الطبيب النفسي، ثم بعد ذلك تابعت معه الطبيب هاتفياً إلى أن صرف له الدواء المناسب، فكان لا يفارقني في أثناء دوامي في المقرأة، ويجلس بجانبني إلى حين مقابلة مراجع آخر، فيخرج ثم ينتظر حتى يخرج المراجع، ثم يعود مرةً أخرى... وهكذا عدّة أيام إلى أن بدأ مفعول العلاج النفسي بفضل الله.

فلعلك تنظر أيها القارئ الكريم بعين الاعتبار! كيف تضافرت جهود الراقي مع الطبيب النفسي وأسهمت في مساعدته على الخروج من هذه المرحلة الحرجة بتوفيق الله.

وكذلك إعادة النظر في القياس ما بين آثار الأدوية النفسية الإيجابية وبين آثارها السلبية على مثل هذا المريض الذي كان يفكر في الانتحار.

وفي نهاية المطاف:

لعلك لاحظت أيها القارئ الكريم أن الإشكال الذي وقع فيه بعض المرضى، ومضت على بعضهم السنوات، وتعطلت عنهم المصالح الكثيرة في حياتهم^(١)، يدور حول التشخيص الذي أشرت إليه

(١) لاحظت على بعض المرضى النفسيين الانطواء الذي ترتب عليه الانقطاع عن الصلاة مع الجماعة في المسجد، وكذلك الوظيفة أو المدرسة أو الأعمال التجارية، وكذا العجز عن القيام بمتطلبات الأسرة ورعايتها، إلى غير ذلك من فوات المصالح التي رجعت إلى بعضهم بفضل الله بعد الجمع بين الرقية الشرعية والعلاج النفسي، كما أشار إلى ذلك الدكتور: محمد بن جمال حولدار عن العلاج النفسي: «فكم من مريض أنقذه الله برحمته ثم بالعلاج النفسي المناسب

سابقاً^(١).

فأتمنى من الأطباء الفضلاء^(٢) أن لا يجرموا مرضاهم من الاستشفاء بكلام الله - عز وجل - وسنة الرسول محمد ﷺ، مع بذل الأسباب الطبية المادية، فالكل من عند الله شرعاً وكوناً.

وأطلع إلى التحاق الإخوة الفضلاء من الرقاة بدورات تأهيلية عن الاضطرابات النفسية واضطرابات الإدمان.

وأختتم كلام كتابي هذا بهذا الدعاء المبارك، يقول الله عز وجل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ﴾^(٣).

وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي بُنِيتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾^(٤) أُولَئِكَ الَّذِينَ نَنْقَبِلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصَّادِقُ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ^(٥).

من الانتحار، وآخر عاد إلى ممارسة حياته بشكل طبيعي، وثالث كادت حياته الأسرية أن تنهار، فله الحمد من قبل ومن بعد.

(١) تقدم ذكره ص ٣٨.

(٢) انظر إلى هذا النموذج من الأطباء النفسيين ص ١٧٣.

(٣) سورة النمل، الآية: ١٩.

(٤) سورة الأحقاف، الآية: ١٥، ١٦.

تزكيات وشهادات وخطابات شكر

نظراً لما تقتضيه المصلحة بشأن الخبرة في مجال الرقية الشرعية. رأيت أن أسلك طريقاً يحمل الإيحاء والتأثير إلى القارئ الكريم، ويُعزّز الثقة بالكاتب نوعاً ما، وهذا منهج قد سلكه كثير من المؤلفين كلٌّ في مجال تخصصه^(١)، وذلك بعرض شيء من التزكيات وشهادات الشكر والتقدير التي حصلت عليها، وكذلك الشهادات والمشاركات والدورات وخطابات الشكر، وكذلك التقديم، وكل ذلك بتوفيق الله، وهي مرتبة على تاريخ الحصول عليها على النحو التالي:

- ١ - تزكية بقلم فضيلة الشيخ / عبدالرحمن بن عبدالله آل فريان - رحمه الله - رئيس الجمعية الخيرية لتحفيظ القرآن عام ١٤٢١هـ.
- ٢ - شهادة من المركز الخيري لتعليم القرآن وعلومه بالرياض بإشراف وزارة الشؤون الإسلامية خلال أربع سنوات من العام الدراسي بتاريخ ١٩ / ١٤٢٠هـ إلى العام الدراسي ٢٢ / ١٤٢٣هـ.
- ٣ - شهادة شكر وثناء من المشرف العام على مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض نظير أعمال تستحق الثناء عام ١٤٢٢هـ.
- ٤ - مشاركة في مؤتمر أطباء الحرمين الثالث المعتمد من الهيئة السعودية للتخصصات الصحية تحت شعار (الطب والدعوة قريتان) المنعقدة في

(١) انظر: ص ٣٥.

- مستشفى الملك خالد التخصصي للعيون بالرياض عام ١٤٢٣ هـ.
- ٥ - دورة معتمدة من الهيئة السعودية للتخصصات الصحية في الإعداد الدعوي المقامة بمستشفى القوات المسلحة بالرياض عام ١٤٢٤ هـ.
- ٦ - حضور دورة معتمدة من قبل الهيئة السعودية للتخصصات الصحية في الاضطرابات النفسية واضطرابات الإدمان للمرشدين الدينيين والتي أقيمت بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٢٤ هـ.
- ٧ - حضور دورة (فقه المريض) المنعقدة بمستشفى الإيمان العام لعام ١٤٢٤ هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ٨ - حضور الاجتماع وورشة العمل لدعوة المرضى المقام بمستشفى الملك سلمان بن عبدالعزيز آل سعود حفظه الله عام ١٤٢٥ هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ٩ - شهادة شكر وتقدير للمساهمة في نجاح دورة أخلاقيات العاملين في المجال الصحي المقامة في مدينة الملك فهد الطبية عام ١٤٢٥ هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ١٠ - حضور الندوة العلمية المقامة بمناسبة الاحتفال باليوم العالمي للصحة النفسية تحت شعار (العلاقة بين الصحة النفسية والجسدية) بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٢٥ هـ.
- ١١ - حضور ندوة المعاملة الحسنى مع المرضى المقامة في مركز الملك فهد الثقافي عام ١٤٢٧ هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ١٢ - شهادة شكر وتقدير من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض على المشاركة مع المرضى في أعمال الحج والبرنامج العلاجي مع نزلاء منتصف الطريق عام ١٤٢٩ هـ.

- ١٣ - شهادة شكر من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل على المشاركة الفاعلة في تفعيل البرنامج العلاجي مع المرضى من خلال دعوتهم وتقويم سلوكهم الديني عام ١٤٣١هـ.
- ١٤ - شهادة اجتياز من قسم الدراسات الإسلامية بكلية المعلمين بالتعاون مع إدارة التوعية الدينية بالشؤون الصحية بمنطقة الرياض في كتاب (شرح طهارة المريض وصلاته) لفضيلة الشيخ أ.د. عبدالسلام بن محمد الشويعر ١٤٣٢هـ.
- ١٥ - شهادة مشاركة في الدورة التدريبية بعنوان التفكير الإبداعي (الكورت لتعليم التفكير) عام ١٤٣٢هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ١٦ - تزكية بقلم فضيلة الشيخ / عبدالله بن عبدالرحمن آل فريان وفقه الله عضو الدعوة والإرشاد سابقاً بالرياض عام ١٤٣٥هـ.
- ١٧ - تزكية بقلم فضيلة الشيخ أ.د. سعد بن تركي الخثلان وفقه الله، عضو هيئة كبار العلماء سابقاً، والأستاذ بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية عام ١٤٣٥هـ.
- ١٨ - خطاب شكر من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض على القيام بالرقية الشرعية وأثرها الإيجابي في العملية العلاجية عام ١٤٣٥هـ.
- ١٩ - شهادة شكر وتقدير من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض على القيام بدعوة وتقويم سلوك المرضى الديني عام ١٤٣٥هـ.
- ٢٠ - شهادة حضور دورة (الأساليب الشرعية في تقديم الدعم الديني للمرضى المنومين) بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٣٧هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ٢١ - شهادة حضور دورة بعنوان (إدمان المخدرات وأهم الطرق العلاجية) بمركز مطمئنة عام ١٤٣٩هـ.

- ٢٢- شهادة حضور اللقاء العلمي بعنوان: (زاد أهل الأعذار من أحكام طهارة المريض وصلاته) بإشراف إدارة التوعية الدينية بالشؤون الصحية بمنطقة الرياض، والذي ألقاه عضو هيئة كبار العلماء الشيخ الدكتور: صالح بن عبدالله العصيمي بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض عام ١٤٣٩هـ.
- ٢٣- شهادة حضور دورة: (خطة الإخلاء والطوارئ وكيفية استخدام طفايات الحريق والتعامل مع شفرات الطوارئ بقسم الأمن والسلام بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض).
- ٢٤- تقديم فضيلة الشيخ الدكتور/ حمد بن محمد الوهيبي وفقه الله لهذا الكتاب بعنوانه القديم «نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية» بتاريخ ١٥/٩/١٤٣٩هـ.
- ٢٥- تقديم فضيلة الشيخ/ محمد بن عبد الله النابيل، وفقه الله رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض بعنوانه القديم «نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية»، بتاريخ ١٤/١١/١٤٣٩هـ.
- ٢٦- حضور دورة تنمية مهارات المرشد الديني في المجال الصحي المقامة بمنطقة الرياض عام ١٤٤٠هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ٢٧- شهادة حضور ملتقى داعم التطويري الخاص بمنسوبي ومنسوبات أقسام الإرشاد الديني والروحي بالمستشفيات والقطاعات الصحية عام ١٤٤٠هـ بإشراف إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض.
- ٢٨- شهادة شكر وتقدير للإسهام الفاعل في تدريس منسوبي دورة (التوعية الإسلامية ومكافحة المخدرات والمسكرات) بمعهد الشؤون الدينية للقوات المسلحة عام ١٤٤٠هـ.
- ٢٩- شهادة شكر وتقدير وترشيح كتابي هذا بعنوانه القديم ضمن اليوم العالمي

للكتاب ٢٠١٩م، من مجمع الأمل للصحة النفسية بمدينة الرياض بتاريخ ٢٣/٨/١٤٤٠هـ.

٣٠- شهادة شكر وتقدير من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية، على تأليف الإصدار الموسوم بعنوانه القديم: (نظرات حول العين والسحر والاضطرابات النفسية) عام ١٤٤٠هـ.

٣١- شهادة حضور اللقاء العلمي بعنوان: الدعم الديني للمرضى والاستشفاء بالقرآن والذي عقد بالقاعة الكبرى بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض بتاريخ ٢٨-٣٠/٣/١٤٤١هـ.

٣٢- درع تكريمي من المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض ممثلة بإدارة التوعية الدينية على المشاركة الفاعلة في إثراء ملتقى الدعم الديني للمرضى والاستشفاء بالقرآن الكريم من خلال إلقاء المحور الخاص بعنوان (الخلط في التشخيص بين الأمراض الروحية والنفسية + الرقية الشرعية في مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض، جهود وثمرات) بتاريخ ٢٨-٣٠/٣/١٤٤١هـ.

٣٣- تقديم هذا الكتاب في طبعته الأولى لفضيحة الشيخ أ.د. محمد بن عبد الله السمهوري، وفقه الله الأستاذ بقسم العقيدة والمذاهب المعاصرة بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، بتاريخ ١٨/٤/١٤٤١هـ.

٣٤- شهادة حضور محاضرة بعنوان: (الإدمان وعلاقته بالاضطرابات النفسية) بمركز مطمئنة بتاريخ ٢٨/٥/١٤٤١هـ.

٣٥- شهادة شكر وتقدير من إدارة التوعية الدينية بصحة الرياض على إلقاء دورة تدريبية في الرقية الشرعية على المرضى، وذلك لمنسوبي أقسام التوعية الدينية بمنطقة الرياض بتاريخ ١٩/٦/١٤٤١هـ.

- ٣٦- دورة أون لاين بصحة الأحساء تحت عنوان: مهارات المرشد الديني في استخدام التقنية لمرضى كورونا بتاريخ ١٠/٩/١٤٤١هـ.
- ٣٧- دورة أون لاين بصحة الأحساء تحت عنوان: دورة المرشد الديني في الإبداع والابتكار في خدمة مرضى كورونا بتاريخ ١٣/٩/١٤٤١هـ.
- ٣٨- برقية شكر من صاحب السمو الملكي الأمير: فيصل بن بندر بن عبدالعزيز آل سعود أمير منطقة الرياض حفظه الله على إهداء نسخة من هذا الكتاب بتاريخ ٢٤/١١/١٤٤١هـ.
- ٣٩- خطاب شكر على هذا الكتاب من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض، فضيلة الشيخ الدكتور/ محمد بن عبد الله النليل وفقه الله بتاريخ ١١/٢/١٤٤٢هـ.
- ٤٠- شهادة حضور دورة بعنوان: (الرعاية الصيدلانية والتثقيف الصحي) بتاريخ ١٤/٣/١٤٤٢هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٤١- خطاب شكر من معالي وزير الصحة سابقاً الدكتور/ توفيق بن فوزان الربيعة وفقه الله على إهداء نسخة من هذا الكتاب بتاريخ ٢٣/٥/١٤٤٢هـ.
- ٤٢- خطاب شكر من معالي وزير الشؤون الإسلامية والدعوة والإرشاد، الشيخ الدكتور/ عبد اللطيف بن عبد العزيز آل الشيخ وفقه الله على إهداء نسخة من هذا الكتاب، بتاريخ ٢٩/٥/١٤٤٢هـ.
- ٤٣- شهادة حضور دورة أون لاين تحت عنوان: (إدارة الضغوط في الخدمات الصحية) معتمدة من هيئة التخصصات الصحية بتاريخ ٢٨ - ٢٩/٦/١٤٤٢هـ.
- ٤٤- شهادة حضور دورة أون لاين تحت عنوان: (إدارة المستشفيات وسلامة المرضى) معتمدة من هيئة التخصصات الصحية، بتاريخ ١٠ - ١٣/٧/١٤٤٢هـ.

- ٤٥ - شهادة حضور دورة أون لين تحت عنوان: الاستعداد للأزمات الطارئة وإدارتها للممارسين الصحيين، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية بتاريخ ١٠ - ١٢ / ٨ / ١٤٤٢ هـ.
- ٤٦ - شهادة شكر وتقدير من إدارة مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض بمناسبة صدور هذا الكتاب، بتاريخ ١٢ / ٩ / ١٤٤٢ هـ.
- ٤٧ - شهادة حضور دورة بعنوان: (إدارة الإجهاد والضغط في الخدمات الصحية) بتاريخ ٢٩ / ٦ / ١٤٤٢ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٤٨ - شهادة حضور دورة (إدارة المستشفى وسلامة المرضى) بتاريخ ١٤ / ٧ / ١٤٤٢ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٤٩ - شهادة حضور دورة بعنوان: (التأهب للأزمات الطارئة وإدارتها للممارسي الرعاية الصحية) بتاريخ ١٠ / ٨ / ١٤٤٢ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٥٠ - شهادة حضور دورة بعنوان: (الانتحار) بمركز مطمئنة بتاريخ ٦ / ٢ / ١٤٤٣ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٥١ - شهادة حضور دورة تدريبية بعنوان: (تشخيص الأمراض النفسية) بمركز مطمئنة بتاريخ ٢٨ / ٢ / ١٤٤٣ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٥٢ - شهادة حضور دورة بعنوان: (مهارات التواصل وفن التعامل مع المريض) بتاريخ ٢٥ / ٣ / ١٤٤٣ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٥٣ - شهادة حضور دورة تدريبية بعنوان: (فهم الشخصيات)، بمركز مطمئنة بتاريخ ٢٦ / ٤ / ١٤٤٣ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٥٤ - شهادة حضور دورة إدارية بعنوان: (الموظف المحترف في التواصل مع الجمهور) بتاريخ ٢٤ / ٥ / ١٤٤٣ هـ من مجمع إرادة النفسية بالرياض.
- ٥٥ - شهادة حضور دورة تدريبية بعنوان: (الإلقاء وفن التأثير) بتاريخ

- ٢٤ / ٥ / ١٤٤٣ هـ، بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض.
- ٥٦ - خطاب شكر على قناة (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) بتاريخ ١٦ / ٩ / ١٤٤٣ هـ من رئيس قسم الإرشاد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض.
- ٥٧ - شهادة حضور دورة بعنوان: (الأخطاء الدوائية) بتاريخ ١٣ / ٨ / ١٤٤٤ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٥٨ - شهادة حضور دورة بعنوان: (السلامة الدوائية) بتاريخ ١٤ / ٨ / ١٤٤٤ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٥٩ - شهادة حضور دورة بعنوان: (إدارة جودة الرعاية الصحية وسلامة الأدوية) بتاريخ ١٥ / ٨ / ١٤٤٤ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٠ - شهادة حضور دورة بعنوان: (تعزيز الصحة والوقاية من الأمراض) بتاريخ ٢٧ / ١٠ / ١٤٤٤ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦١ - شهادة حضور دورة بعنوان: (الوقاية من مشاكل الحج الشائعة وحالات الطوارئ وعلاجها) بتاريخ ٢٣ / ١١ / ١٤٤٤ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٢ - شهادة حضور دورة بعنوان: (مهارات القيادة في الرعاية الصحية) بتاريخ ٢١ / ١ / ١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٣ - شهادة حضور دورة بعنوان: (القيادة ورضى المرضى) بتاريخ ٢٢ / ١ / ١٤٤٥ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٤ - شهادة حضور دورة بعنوان: (الممارسات القيادية الجيدة) بتاريخ ٢٣ / ١ / ١٤٤٥ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٥ - شهادة حضور دورة تدريبية بعنوان: (دور القيادة في الجودة) بتاريخ

- ٣٠ / ١ / ١٤٤٥ هـ، معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٦ - شهادة حضور دورة: استراتيجيات التخفيف من مخاطر الرعاية الصحية بتاريخ ١ / ٤ / ١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٧ - شهادة حضور دورة: التخطيط التشغيلي في منظمات الرعاية الصحية بتاريخ ١٢ / ٥ / ١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٨ - شهادة حضور دورة: ترجمة المعرفة في المجال الطبي بتاريخ ٩ / ٧ / ١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٦٩ - شهادة شكر من رئيس قسم الإرشاد الديني معتمدة من مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض على اللقاء مع د. حسن الخضير في بودكاست ألم بعنوان (الرقية الشرعية والطب: تكامل أم تعارض) بتاريخ ١١ / ٧ / ١٤٤٥ هـ.
- ٧٠ - شهادة حضور دورة: إدارة التغيير والتعامل معه من إدارة الشؤون الإدارية والتدريب والأبحاث بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض بتاريخ ١٨ / ٧ / ١٤٤٥ هـ.
- ٧١ - شهادة حضور البرنامج التدريبي بعنوان (أساليب الدعم الروحي لمرضى الرعاية التلطيفية) بتاريخ ١٨ - ١٩ / ٧ / ١٤٤٥ هـ.
- ٧٢ - شهادة حضور دورة: تشجيع مشاركة المرضى في العلاج بتاريخ ٢٣ / ٨ / ١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٧٣ - شهادة حضور دورة: وعي المرضى بمرضهم بتاريخ ٧ / ٣ / ١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٧٤ - شهادة حضور دورة: مقدمة العلاج السلوكي المعرفي بتاريخ ٨ / ٩ / ١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٧٥ - شهادة حضور دورة: إدارة التثقيف الصحي بتاريخ ٧ / ١٠ / ١٤٤٥ هـ معتمدة

من هيئة التخصصات الصحية.

- ٧٦- شهادة حضور دورة: مهارات التعامل مع خوف المرضى بتاريخ ٢٧/١١/١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٧٧- شهادة حضور دورة: مهارات إدارة الغضب في بيئة العمل بتاريخ ٢٨/١١/١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٧٨- شهادة حضور دورة: الدفاع عن المرضى بتاريخ ١٤/١١/١٤٤٥ هـ.
- ٧٩- شهادة حضور اجتياز لاختبار برنامج الكفايات التعليمية والمهارات لمقدمي الخدمات الإصلاحية (سُج) بتاريخ ١١/١١/١٤٤٥ هـ لمدة ١٥ يوم من جمعية ميراث العلمية بمحافظة جدة.
- ٨٠- شهادة الدبلوم المهني في الإرشاد الروحي للمرضى لمدة عام دراسي بتقدير امتياز بتاريخ ٢٧/١١/١٤٤٥ هـ من جمعية بصيرة بالتعاون مع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية ووزارة الصحة.
- ٨١- شهادة حضور دورة: التعاون في صنع القرار بين المريض والرعاية الصحية بتاريخ ٢٦/١٢/١٤٤٥ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٨٢- شهادة حضور دورة: بناء عقلية إبداعية لقادة القطاع الصحي بتاريخ ١٦/١/١٤٤٦ هـ.
- ٨٣- شهادة حضور دورة: الأهداف الدولية لسلامة المرضى بتاريخ ٢٥/١/١٤٤٦ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٨٤- شهادة حضور الإرهاق النفسي بين العاملين في مجال الرعاية الصحية: نظرة عامة والوقاية بتاريخ ١٨/٥/١٤٤٦ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.
- ٨٥- شهادة حضور دورة: جمع البيانات وتحليلها في أبحاث الرعاية الصحية بتاريخ

١٤٤٦/٦/٧ هـ معتمدة من هيئة التخصصات الصحية.

- ٨٦- خطاب شكر من معالي الشيخ الدكتور/ عبدالسلام بن عبدالله السليمان وفقه الله، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى على إهداءه نسخة من مختصر (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) بتاريخ ١٤٤٦/٧/١٣ هـ.
- ٨٧- خطاب شكر من معالي الشيخ الدكتور عبدالله بن محمد بن إبراهيم آل الشيخ وفقه الله رئيس مجلس الشورى على إهداءه نسخة من مختصر (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) بتاريخ ١٤٤٦/٧/١٦ هـ.
- ٨٨- خطاب شكر من معالي الشيخ محمد بن حسن بن عبدالرحمن آل الشيخ وفقه الله عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى على إهداءه نسخة من مختصر (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) بتاريخ ١٤٤٦/٧/٢٢ هـ.
- ٨٩- خطاب شكر من صاحب السمو الملكي الأمير تركي الفيصل بن عبد العزيز آل سعود حفظه الله، رئيس مجلس إدارة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية بتاريخ ١٤٤٦/٩/٤ هـ.

بسم الله الرحمن الرحيم
 نصادق على صحة الشيخ محمد
 بن زيد الكثيري وعياله عن لا ينفي
 قاله وكتبه محمد بن زيد الكثيري والسلام
 محمد بن زيد الكثيري وعياله وصلى الله عليه وسلم

بسم الله الرحمن الرحيم
 الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وبعد
 أفيد وأصدق على عدالة الشيخ محمد بن زيد الكثيري واستقامته
 وكفائه في العمل وحرصه على هديته دينه وحقه وحسن خلقه
 أمه كزله والله ميسر ولا أزكي على الله أمه
 وصلى الله على نبي محمد وعلى آله وصحبه وسلم
 قاله وكتبه الفقير إلى الله عبد الله بن الشيخ عبد الرحمن آل فريان
 عضو الدعوة والارشاد والبيان



١٤٣٥/٦/٦

الحمد لله والصلاة والسلام
 على رسول الله وبعد: فإني أذيع
 به زيدا الكثيري معروفا له نيا بالخير
 والمرص على نفع الحكيم وله جهود كبيرة
 في مجال المراقبة الشرعية... أما والله أنه يبارك
 فيه وينفع به

أ.د. سعد بن تركي الغشيان
 عضو هيئة كبار العلماء

سعد الكنتلا
 ١٤٣٥/٧/١٠

Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Health
General Directorate of Health
Affairs in Riyadh Region
275/100
Al-Amal Complex of Mental Health



المملكة العربية السعودية
وزارة الصحة
المنيرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض
١١٠١٧٧٥
مجمع الأمل للصحة النفسية بالرياض

المرشد الديني الشيخ / محمد بن زيد الكنيري سلمه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأسأل الله لكم دوام التوفيق والسداد ، ، ،

فقد سرنا ما تقدمونه للمرضى من رقية شرعية وفق الضوابط والأحكام الشرعية مما كان له الأثر الإيجابي في العملية العلاجية وإننا لنشكر لكم هذا العمل ، ونسأل المولى أن ينفع بكم ويبارك في جهودكم وأن يوفقنا وإياكم للعلم النافع والعمل الصالح .

والله يحفظكم ويرعاكم ، ، ،

رئيس الإرشاد الديني
وخطيب جامع ابن نوفل
محمد بن عبد الله النابيل



الرقم : / / التاريخ : / / الملاحظات :

م. ب. ٨٧٩٠٤ الرياض ١١٦٥٢ هاتف : ٤٨٠٤٥٤٨ الفاكس : ٤٨٠٤٦٤٠ P.O.Box 87904 RIVADH 11652 TEL : 4804548 FAX: 4804640
www.alamal.med.sa

07-01-2012 13:46:1442
1442-917611



Kingdom of Saudi Arabia
Ministry of Education (MOW)

المختوم

المكرم الأستاذ / محمد بن زيد الكليري

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

بمزيد من التفصيل لتلقيب إهداءكم المتمثل في نسخة من كتابكم بعنوان "نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي" في طبعته الثالثة.

يطيب لي أن أشكركم على هذا الإهداء المتميز والقيم، متمنياً لكم مزيداً من التوفيق والسداد.

وَقُلُّوا لِعَالِي

وزير الصحة

نوفيل بن فوزان الربيعه

توفيلي بن قوران الربيعة



وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
مكتب الوزير

رقم الصادر: ٥٤٩ / ١ / ١٩

تاريخ الصادر: ١٤٤٢/٥/٢٩ هـ

المرفقات:



الملك عبدالعزيز بن عبد الله آل سعود
وزارة الشؤون الإسلامية والأوقاف
مكتب الوزير
(٢٦١)

فضيلة الشيخ / محمد بن زيد الكثيري

المرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض
وفقه الله
سلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، أما بعد :

فقد تلقيت ببالغ التقدير كتابكم المؤرخ في ٢٣/٥/١٤٤٢ هـ ، المدرج معه نسخة
من مؤلفكم المعنون بـ : (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) في
طبعته الثانية .

وإذ أعرب لكم عن شكري وتقديري على اهتمامكم بتزويدي بذلك .. أسأل الله تعالى
لكم العون والتوفيق لما فيه الخير والساد .
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

التوقيع
٥١

أخوكم

وزير الشؤون الإسلامية والأوقاف والإرشاد

عبدالله بن عبدالعزيز آل سعود

د. عبد اللطيف بن عبدالعزيز آل الشيخ

الرسالة العامة للبحوث العلمية والافتاء
مكتب الشيخ عبدالسلام بن عبدالله السليم
رقم المعاملة 46014484
التاريخ 1446/07/13
المرفقات

الرقم

التاريخ

المشغوعا

الموضوع:



المجلس الأعلى للبحوث الإسلامية
الدراسة العامة للبحوث العلمية والافتاء

١٠٢

فضيلة الشيخ / محمد بن زيد الكثيري - حفظه الله -

المُرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ... وبعد:

تلقيت خطابكم المؤرخ بتاريخ ١٤٤٦/٧/٦هـ، والمتضمن إهداء نسخة من كتابكم

(مختصر نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي).

أشكر فضيلتكم على هذا الإهداء، داعياً الله أن ينفع به، وأن يبارك في جهودكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ...

د. عبدالسلام بن عبدالله السليمان

عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للفتوى



1227 v 17



بسم الله الرحمن الرحيم



المملكة العربية السعودية
الرسالة العامة للبحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

سعادة الأخ المكرم/ محمد بن زيد الكثيري

المرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض وفقه الله

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

أسأل الله تعالى لسعادتكم العافية والتوفيق والسداد.. وبعد،

فإشارة لخطاب سعادتكم، المشفوع به إهداء كتابكم الموسوم بـ:
(مختصر نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي)،
يسرني أن أشكر وأقدر لسعادتكم الإهداء، سائلاً الله تعالى أن يزيدكم علماً
وتقاً وثباتاً وصلاًحاً وسداداً وتوفيقاً، وأن ينفع بهذا الجهد المبارك،
وأن يجعل ذلك بميزان حسناتكم ووالديكم، وأن يحفظكم ويرعاكم.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

أخوكم

عضو هيئة كبار العلماء

عضو اللجنة الدائمة للفتوى

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ

محمد بن حسن بن عبد الرحمن آل الشيخ



المملكة العربية السعودية
وزارة الصحة
المديرية العامة للشؤون الصحية بمنطقة الرياض
١٠٠ / ٢٧٥

سلمه الله

المكرم الشيخ / محمد بن زيد الكثيري

المُرشد الديني بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وأسأل الله لكم دوام التوفيق والسداد ،،،

فقد اطلعت على مقاطعكم التوعوية في قناتكم: (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من منظور شرعي) حول الاعتلالات النفسية والأعراض الروحية وما قد يلحق بها من تعاطي المؤثرات العقلية ، والتي كان طرحكم لها يتسم بالوسطية والموضوعية والحياد والتأصيل العلمي المبني على الأدلة الشرعية والقواعد المرعية والشواهد التطبيقية ، فإني أشكر لكم هذا الجهد المميز والذي أرجو أن يسد فراغاً عانى منه كثير من ابتلاهم الله عز وجل بهذه الأدوية ، ويردم الثغرة بين المتصدرين لعلاج هذه القضايا بكافة تخصصاتهم وتوجيهاتهم ، وأوصيكم بالاستمرار لتوعية الناس وفق المنهج الصحيح ، فجزاكم الله خير الجزاء وأوفاه .

والله يحفظكم ويرعاكم ،،،

أخوكم
رئيس الإرشاد الديني

مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض

د. محمد بن عبدالله النابيل

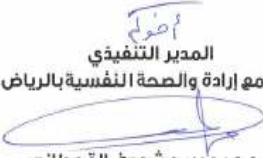


مَشَارِقُ

الأستاذ / محمد بن زيد الكثيري

يتقدم مجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض بالتهنئة
 لكم بمناسبة صدور كتابكم
 (نظرات حول اضطرابات النفس وعلاجها من المنظور الشرعي)
 ونشيد بتميزكم وندعو الله أن ينفع بما تقدمون
 متمنين لكم دوام النجاح والتوفيق...




 المدير التنفيذي
 بمجمع إرادة والصحة النفسية بالرياض
 د. محمد بن مشعوف القحطاني

١٤٤٣/٩/١٣

١٤٤٣/٩/١٣



وأختم كلام كتابي بهذا الدعاء المبارك، يقول الله عز وجل: ﴿رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ﴾، وقال تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَلَدَيْهِ إِحْسَنًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمَلُهُ وَفِصْلُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَلَدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ (١٥) **أُولَئِكَ الَّذِينَ نَقَبَلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا وَنَتَجَاوَزُ عَنْ سَيِّئَاتِهِمْ فِي أَصْحَابِ الْجَنَّةِ وَعَدَ الصِّدْقِ الَّذِي كَانُوا يُوعَدُونَ**.

وأخيراً: أسأل الله عز وجل أن يُعزِّز الإسلام والمسلمين، وأن يحفظ بلادنا وولادة أمرنا وعلماءنا من كل سوء ومكروه، وأن يكفيننا شر الأشرار وطوارق الليل والنهار إلا طارقاً يطرق بخير يا رحمن، إن ربي قريب سميع مجيب. و صلى الله وسلم على نبينا محمد، وعلى آله وصحبه أجمعين، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

يتطرق الكتاب إلى العلاقة
بين أعراض الاضطرابات
النفسية والعين والسحر
والمس من الجن التي
أشكلت على فئام من الناس
ويهدف إلى تأصيل العلاقة
تأصيلاً علمياً مبنياً على الأدلة
الشرعية والشواهد التطبيقية